علي حسين الجابري

الانسان المعاصر

بين غروب الحضارة واغترابه

دراسة في جدلية الخوف



الإنسان المعاصر

بين غروب الحضارة واغترابه

دراسة في جدلية الخوف

الإنسان المعاصر

بين غروب الحضارة واغترابه

دراسة في جدلية الخوف

الدكتور

علي حسين الجابري

استاذ فلسفة الحضارة

والفكر العربي المعاصر

كلية الاداب - جامعة بغداد



الطبعة الأولى

1426هـ / 2005م

رقم الإيداع: 2005/7/1650

رقم الإجازة: 2005/7/1617

ردمك: ISBN 9957 – 02 – 197 – 4

دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

تليفاكس : ٥٣٤٩٤٩٧ – ٥٣٤٩٤٩٩

ص . ب ١٧٥٨ الجبيهة ١١٩٤١

عمان – الاردن

Dar Majdalawi Pub.& Dis.

Telefax: 5349497 - 5349499

P.O.Box: 1758 Aljubaiha

11941 Amman- Jordan

www.majdalawibooks.com

E -mail: customer@majdalawibooks.com

تنفيذ وطباعة برجي بيروت-لبنان-تلفاكس:009611272225 خليوي:009613/-312124-334648

المحتويات

موضوع	صفحة
المحتويات	5
توطئة...	9
الباب الأول	13
الفصل الأول **مصير الحضارة الغربية في المنظور الحيوي للتاريخ وموقف العقلانية العربية النقدية**	15
المقدمة...	17
الغرب وازمة الحضارة في القرن العشرين (شهادات غربية) من اشبنجلر الى جارودي و وآخرين	19
ازدواجية الغرب بين النزوع العقلاني و السلوك اللاعقلاني..............	27
عولمة النظام الدولي الجديد و فلسفته الفوضوية...........................	39
ليبرالية الحضارة الغربية و النزعة الكيوسية...........................	39
الماركسية و المال الحضاري الغربي..................................	44
خلاصة القول..	49
الفصل الثاني **العرب و الغرب رأي فلسفي في الغربة والاغتراب**	51
المقدمة..	53
في المصطلح و تطوره في الفكرين العربي والغربي....................	57

موضوع	صفحة
الاغتراب وتطوره في التراث العربي من اللغة الى المفهوم الاصطلاحي ..	57
شهاب الدين علي بن احمد الدلجي: من الفلاكة الى الاغتراب في التراث العربي	62
فلسفة الدلجي العمرانية...	64
شهاب الدين الدلجي فيلسوف الاغتراب..................................	68
مفهوم الاغتراب غرباًّ في الماضي والحال..............................	72
اغتراب العرب ام عرب الاغتراب......................................	85
العالم ناقصا الغرب الرأسمالي..	85
العرب من اغتراب الهوية الى اغتراب العصر.........................	88
الاغتراب الزماني...	88
الاغتراب المكاني...	89
الخلاصة...	99
الفصل الثالث **اشكالية الاغتراب في الفكر العربي المعاصر ومؤثرات العولمة نماذج وامشاج**	103
المقدمة..	105
الاتجاه المغترب (المنفعل) زمانا...	109
الاغتراب الزماني والنزعة السيانية – التاريخية..........................	109
الاسلام والمسلمون من السيانية الى التجديد............................	112
الاغتراب المكاني ونزعة الانبهار بالاخر (الجغرافيا).....................	117

موضوع	صفحة
خلاصة القول	127
الخاتمة الباب الأول	129
الباب الثاني	
الخطاب العربي المعاصر وجدلية الخوف دراسة في واقع التجربة العراقية	131
الفصل الرابع **الخطاب العربي في ظل العولمة والعامل الغائب (أو مقامة بغداد الما قبل والما بعد)**	133
المقدمة...	135
الميمر الاول: لماذا المقامة الفلسفية؟ لبغداد-الما قبل و كيف هي؟......	137
شواهد الاحوال...	139
اولاً: الاحوال...	139
ثانياً: المقامات...	143
الميمر الثاني: الامركة و اسباب غياب العامل الثالث..................	147
حقيقة المقال: ارهاب الدولة, ام ارهاب العقائد, في خطاب الامركة......	147
الاخر: واسباب الشرور- شهادات محايدة..............................	155
الميمرالثالث: مقامة الما بعد و الكشف عن حقيقة ما جرى و يجري في بغداد	161
خلاصة المقال...	167

موضوع	صفحة
الفصل الخامس **الخطاب الثقافي الإعلامي العربي وجدلية الخوف**	169
المقدمة...	171
الخوف لغة واصطلاحا...	175
الخوف في الذاكرة..	179
جدلية الخوف من وجهة نظر علم النفس................................	185
الخوف الانفعالي..	185
الصدمة...	187
جدلية الخوف في عصر العولمة..	197
شهادات من الشمال \ الغرب عن حقيقة الخوف.........................	198
العولمة الاحتكارية وجدلية الخوف....................................	210
الخطاب العربي الثقافي الاعلامي بين الخوف و الشر المحض..........	212
خلاصة القول...	215
الفصل السادس **الاعلام ومشكلات الشباب العراقي دراسة في مخاطر ثقافة العنف والفضائيات والمخدرات**	217
المقدمة	219
الشباب بين صعوبات الواقع والضغط الخارجي	221
المعضلة الشبابية تركة الماضي الثقيلة على الحاضر الإنتقال المشوش ..	221
الشباب وسبل مواجهة العقبات الحيوية	223

موضوع	صفحة
مراكز الشباب وأدوارها الثقافية المنشودة	227
أبعاد البناء المنشود للشباب في المرحلة الإنتقالية	227
الفتيات والتحدي الأخطر	229
الحملة الوطنية لأعمار الشباب ومعيقاتها	233
أعمار النفوس قبل الأبدان والإنسان قبل الهياكل والبنايات	233
التذكير بقيمة المواطنة وعدم الإغتراب	235
الصحة العقلية أو الشباب القوي (مخاطر المخدرات)	237
مراكز الشباب ودورها الثقافي / التربوي: خطة عملية	243
خلاصة القول	251

توطئة

بين غروب الحضارة المعاصرة، واغتراب الانسان، صلة وصل، طردية، كشفت عن ازمة (المدنية) بعامة! والعلاقات الدولية على وجه الخصوص! للتأثير المتبادل بين (الدولة/ الدول) – بعدها المؤسسات، الاكثر اهمية في حياة الانسان؛ كما رآها هيجل؛ ومن سبقه من الفلاسفة، والمفكرين؛ تنظم علاقات البشر وتصل بهم الى لحظة تجلي المطلق/ العقل؛ في قرارات القادة والمسؤولين، وتحولها، الى تطبيق عملي يمس، حياة الناس ويرتقي بهم نحو الاحسن!

ولما كانت (السعادة الانسانية) هي الحلم الانساني المشروع، في مجمل مسيرة البشر؛ اقترنت، فيها الفلسفات والاديان، والعلوم والنظريات، بهذا الطموح المشروع! حتى يكاد (المشروع الحلم) في تحقيق الانقاذ الانساني، والوصول به الى ملاذ آمن؛ يجتمع على هدف نبيل هو تحقيق السعادة، والتخفيف من مأساة الكثرة والارتقاء بها الى نوع من (التعاقد) الذي يقلل الفوارق، ويختفي فيها التمايز والتفوق، بجميع صوره، ما عدا التفوق في الحياة الكريمة والفكرة النبيلة والانجاز الجمالي والاخلاقي والروحي، والواقعي! والعلمي!.

فأين انسان اليوم من هذه الغايات النبيلة وهو يعيش بين مطرقة (العولمة السوبر امبريالية/ التوراتية) وسندان، الغروب الحضاري، و(التضخم المدني/ التقني) المعلوماتي؟ تلك هي موضوعة هذا الكتاب وفصوله الستة التي دار الفصل منها حول (مصر- الحضارة الغربية في المنظور الحيوي للتاريخ) وتناول الثاني: (العرب والغرب، رأي فلسفي في الغربة والإغتراب) ووقفنا في الفصل الثالث عند (إشكالية الإغتراب في الفكر العربي المعاصر ومؤثرات العولمة). هذا هو محتوى الباب الأول.

أما الباب الثاني: فتناولنا فيه الخطاب العربي المعاصر وجدلية الخوف، موزعاً على فصول ثلاثة، دار الرابع منها حول: الخطاب العربي في ظل العولمة والعامل الغائب أما الفصل فدرسنا فيه، الخطاب الثقافي والإعلامي العربي، وجدلية الخوف، ووقفنا في الفصل السادس عند الإعلام ومشكلات الشباب العراقي دراسة في ثقافة العنف.

فعسانا نؤكد حضور الفلسفة الشريدة في ميدان المعاناة الانسانية.

و اللـه الموفق

المؤلف بغداد في 2004

الباب الأول

الفصل الأول

مصير الحضارة الغربية في المنظور الحيوي للتاريخ
و
موقف العقلانية العربية النقدية

المقدمة

كان الانجاز المادي (التقني – المعلوماتي) للحضارة ممثلاً (بالمدنية) بمثابة الجسد الذي يستمد حيويته من القيم، الاعتبارية (الروحية والاخلاقية) لتلك الحضارة، لانها تنطوي على دلالات الطريق الصاعدة نحو الاحسن والافضل والاعدل، في القول والسلوك والعمل، افراداً وجماعات ودول.

المنظور الحيوي للحضارة؛ وسيلة بيد الباحثين الفلسفيين، لمعرفة مصير الحضارة اليوم ومآلها وهي تدخل الالفية الثالثة للميلاد، بعده واحداً من الاجوبة التي يفحص بها – فلسفياً – سير التاريخ وواقع الحضارة، من حيث المحركات، والوسائل والاهداف، رافق هذا المنظور، الفكر الانساني، وما يزال منذ قرون خلت، كان حظ الفكر العربي الاسلامي، منه، وفيراً، ممثلاً بالدراسات (العمرانية) التي تيسرت (لابن خلدون 808 هـ/ 1406م) فيها فرصة بناء فلسفته الحضارية في (المقدمة) وهو يتأمل الانجاز الحضاري بشقيه (المادي = المدني) و(الاعتباري = القيمي – الثقافي) على اساس كينونته، أي (كالكائن الحي) غير المنفصل عن ظروفه الذاتية والموضوعية المتشابكة، سلباً كان ذلك ام ايجابياً!

فالكائن الحي – كما هو الانسان – يبدأ وليداً ناشئاً، يستمد حيويته من ظروفه (الطبيعية والاجتماعية) حتى يكبر معها، وتكبر به، الى ان يكتسب كامل طاقاته، واقصى قدراته، ليبدو (مكتملاً) فيأخذه الزهو بقوته وان كانت الحكمة تستحثه على التوازن والاعتدال! لكن مثل هذين الامرين المتناقضين، ينتهيان بتلك الحضارة الى الانحدار وذلك هو المصير الذي ينتظر (الحضارة) بعد استكمال سيرورتها فينعكس على اقوال وسلوكات ومواقف الحكام والدول لمرحلة ما قبل الفناء ان هذه (الوضعية) تأتي حصيلة تفاعل مجموعة كبيرة من العوامل والمؤثرات، بعضها (عضوي) والاخر (جدلي)، والاخير، يعطي اكله حين يكون (ايجابياً) .. لكنه يفقد فائدته حين يصبح (سلبياً)! فالحضارة، حين تكون في طور (التراخي والنكوص). تتجه مسرعة نحو مصيرها المحتوم بعد ان تتبدد عناصر القوة الروحية فيها، وتفكك حبال التماسك في البنى القيمية والاجتماعية والسياسية .. وبات كل شيء فيها معرضاً (للسقوط!) والتشظي على ما يبدو فيها من مظاهر القوة المادية!

ومثلما تدب الشيخوخة في الجسد القوي؛ عبر مظاهر وعوامل ومتغيرات داخلية، يـدب في الحضارة الكثير من (فيروسات) الشيخوخة والضعف! (القيمي) لا سيما حين يفارق انجازها المادي (المدني = التقني) ... انجازها (الاخلاقي والروحي)!... وتبدو مظاهر ذلـك التفكـك في سـلوك (الكبـار) مـن القـوى السياسـية؛ حـين يشـعرون بملامـح (الغـروب) تحـاصر خططهـم الجهنمية ضد الاخرين! لذلك يلجأ هؤلاء الكبار الى القوة (بسبب غياب الحكمة) عـن رؤوس قادتهم؛ فيتوسلون – (حفاظاً) على اهدافهم (غير المشـروعة) – بوسـائل الهمجيـة والارهـاب والاستبداد والقمع... تأكيداً لقوتهم الافلة ويقع الكثير مـن (الظلـم) و (الجـور) والحماقـات؛ وتسيل الكثير من الدماء (على قاعدة ان لم تأكل تؤكل) وتزهق ملايين الارواح؛ ويحصل الكثير من التجني على الشعوب والدول. بسبب هـذه النزعـة الاسـتبدادية (الاسـتكبارية)! (السـوبر امبريالية) وجميعها ينبئ بعاصفة تفوّض مرتكـزات (تلـك الحضـارة) مادامـت قـد اسـتنفذت طاقاتها (الروحية والانسانية) وعناصر تماسكها.

عندها يتأكد للجميع، ان هـذه الحضـارة قـد دخلـت نفـق ازمتهـا.. المفضيـ الى المصـير المحتوم! لتخلي الطريق – بالضرورة – لحضارة اكثر انسانية وتشـبثاً بحقـوق الانسـان، وسـعياً من اجل حياة كريمة! وهو ما تعيشه الحضارة الغربية اليوم، بسبب النزعات (الكيوسية) التي عصفت بهـا منـذ حـين! وازدادت مـع غيـاب (المعـادل الكـوني) وبقيـت تتـأرجح عـلى حافـة (الهاوية)! طوال السنوات العشر الاخيرة!.. لا ينقذها الا اصلاح انسـاني مـن داخلهـا، او بـديل حضاري يسد الفراغ ويكمل المسيرة.

هذه هي فرضية البحث الذي بين يديك عزيزي القارئ؛ الـذي يـدور حـول (ازدواجيـة الحضارة الغربية)، وحقيقة النظام الدولي الجديد (العولمـة) ومؤثراتـه عـلى المواقـف الامميـة والاقليمية لا سيما (الفكر العربي السياسي والفلسفي).. الذي كان للعقلانية العربيـة النقديـة، لها فيه رأي وموقف ممثلاً بهذا الفصل الذي بين يديك عزيز القارئ فهو مفصلاً من مفاصـلها فعسانا نوفق.

أولاً:

الغرب اوزمة الحضارة في القرن العشرين (شهادات غربية)
(من اشبنجلر الى جارودي واخرين)

لم تكن الروح المتشائمة التي اسبغها نيتشه[1] على الفلسفة وهو يودع القرن التاسع عشر ببعيدة عن المكونات الفلسفية التي شكلت الازمة العالمية في الفكر والسياسة والاقتصاد (الحضارة)، وطغت عليها الدوافع التنافسية داخل اوربا وخارجها، كانت (الولايات المتحدة) خلالها تمارس دور المراقب والمتحفز (لتأليب الجميع ضد بعضهم البعض) ووراثة الجميع، بعد نصف قرن، عن طريق (الطبخ على نار هادئة) - كما يقال في عالم السياسة – او اللعب على الاجنحة – كما يقال في عالم الرياضة – ولكلا القولين مغزى فلسفي! ظهرت نتائجه الفكرية والسياسية في النصف الثاني من القرن العشرين.

(1) ولعل نظرية اشبنجلر الحيوية (الدائرية) في فلسفة التاريخ، اوجزت لنا مجمل (التصرف) اللاحق (كولونياليا – وامبرياليا – وسوبر امبريالياً) – لا سيما تجاه الشعوب النامية، ومنها شعبنا العربي حالت دون تمكن العرب (بخاصة) من دورهم الحضاري المنتظر مع يقظتهم ثم نهضتهم! وتحولهم الى جزء من (الارث) الذي استورثته (امريكا) بالقوة حين خرجت من حروب الانهاك، الى تراجع الشريكات الامبرياليات، وتفردها على كرسي (الاقتصاد الرأسمالي) ومكوناته السياسية والفكرية والاجتماعية، بالحيلة تارة وبالقوة اخرى!

---

(1) فردريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت / ترجمة فيليكس فارس، القاهرة ب.ت: ص 47 – 313.
أيضاً الفلسفة في العصر المأساوي الأغريقي تعريب سهيل القش (المؤسسة العربية) ط1 بيروت 1981 ص 37 – 43 وص 70-97.
راجع ما سجله بدوي في نيتشه: ط3 القاهرة 1956 ص 155-258.
وما سجلناه نحن في: فلسفة التاريخ بين هيجل ونيتشه في المصادر العربية مجلد / 5 (مجلة زانكو العلمية) عدد 2 السليمانية 1980 ص 98-118.
وكتابنا: فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر (ق/1) بغداد 1993 ص 245 – 247.

(2)

أ. فيرى اشبنجلر ممثل (الحيوية – العضوية) في الربع الاول من القرن العشرين "ان الحضارة الغربية الحديثة قد دخلت مرحلة التدهور والانهيار، ومع تسارع تدهورها ستدخل مرحلة تقوم فيها انظمة قيصرية لتفسح الطريق لغيرها، انها مقدمات مصرع الحضارة الغربية"[(1)]! التي هي اخطر مرحلة من مراحل صيرورتها التاريخية.

ب. ولبيان كيفية التعامل مع (واقع هذه الحضارة) اقترح اشبنجلر مجموعة من الوسائل والاليات والمناهج، في سياق نقده للمنهج السائد في اوربا، قائلاً "وبفضل تقسيمنا التاريخ الى قديم ووسيط وحديث- وهذا التقسيم هو منهاج تافه سقيم غير ذي معنى الى حد لا يصدقه العقل ... مع ذلك سيطر على تفكيرنا التاريخي سيطرة مطلقة –" ثم يقول "بفضل تقسيمنا(هذا فشلنا في ادراك المركز الحقيقي للجنس البشري في التاريخ العام، وللعالم الجزئي الصغير الذي نما وتطور على تربة اوربا الغربية، على اهميته النسبية، وفوق كل ذلك فشلنا في تقدير اتجاهه"[(2)].

جـ ويقول عن هذا المنهاج في التاريخ انه "منهاج تزداد معقوليته مع كل قرن .. منهاج عاجز ... اقول ان الحضارات القادمة ستجد من الصعب عليها ان تصدق بان هذا المنهاج .. لم يهاجم بحمية واخلاص، بعد ان طمس الدارسون – بفضل هذا المنهج – (معالم صيرورة التاريخ العام للبشرية) الى جانب اللغة المبهمة التي وضعوا فيها (الحقب القديمة) من غير ان يساعدنا ذلك المنهج على تشكل "صورة باطنية واضحة مقنعة تحتل داخلها الصين والمكسيك، وامبراطورية اكسوم...الخ." مكاناً مرموقاً! ان اشكالية المركزية الغربية هذه في اقتصارها على معالجة "رفعة اوربا الغربية بوصفها قطباً ثابتاً وبقعة فريدة، من نوعها على سطح الكرة الارضية دون ما سبب مفضل، الا لاننا كما يبدو نعيش فوقها، كما ويجعل تواريخ عظمى ذات ديمومة تبلغ دورات الفية من الاعوام وحضارات جبارة غارقة في القدم، تدور حول هذا القطب بكل بساطة وتواضع ... انه منهاج غريب طريف لشمس وكواكب ... ولكن تاريخ العالم الشبحي هذا الذي تكفي نفخة في نقده لتبدده،

(1) أوزوالد اشبنجلر: تدهور الحضارة الغربية (ثلاثة أجزاء) ترجمة أحمد الشيباني (إصدار مكتبة الحياة) بيروت 1964 (75/1).
(2) أيضاً 60/1.

لا يعرف له وجود الا داخل غرورنا الاوربي الغربي الخالص... والـذي بواسـطته تـتقلص تواريخ طويلة بعيـدة لهـا الاف الاعـوام مـن العمـر كتـاريخ مصرـ والصـين"فتسـمى (تـواريخ مجردة) او مقدمات تاريخية[1]، ومثل ذلك يقال عن تاريخ وادي الرافدين.

د. ومع كل هذا التمويه يقول اشبنجلر عن الغربيين، "نؤمن بان ايقـاع التـاريخ المبكـر من هندي وبابلي ومصري" لا تعدو ان تكون "تواريخ اقل جوهرية واقل كثافة، واكثر تحقيقـاً وذلك لاننا لم نتعلم (باطناً وظاهراً) ان نراعي مـا للمسـافات والابعـاد مـن حـق" ثـم يعقـب بموضوعية الباحث على هذا الخلل المنهجي قائلاً "اليس من المضحك ان نقابل تاريخـاً حـديثاً يتألف من قرون قليلـة (ويصـدق ذلـك عـلى الولايـات المتحـدة الامريكيـة) تاريخـاً ارتكـز في جزئياته وكلياته على اوربا الغربية بتاريخ قديم يغطي دورات الفية من الاعوام كتلك، ونفرق في هذا التاريخ القديم كامل جمهـرة الحضـارات، مـا قبـل الهيلينيـة، دون ان يسـبر لهـا غـور وتنظم، وذلك بوصفها مجرد مادة اضافية ملحقة، وهذا ليس بالمبالغة، افلا نطـرح جانبـاً مـن اجل الحفاظ على المنهاج الهرم، مصر وبابل، ولكل منها تاريخ مستقل قائم بذاتـه، ومسـاوٍ في قيمته لما ندعوه بتاريخنا للعالم، ابتداءاً من شارلمان حتى الحرب العالمية (الاولى) ومـا بعـدها ايضاً معتبرين تاريخ ذينيك البلدين، مقدمة للتاريخ الكلاسـيكي؛ الا ننحـدر بحركـة مـن حـيرة وارتباك بالمركبات الواسعة لكل من الحضارتين الصينية والهندية، فنجعـل منهـا هـوامش، امـا بالنسبة الى الحضـارات (الهنديـة الأمريكيـة العظمـى) الا نتجاهـل هـذه الحضـارات تجـاهلاً مطلقاً باعتبار انها لا تتناسب وماذا؟"[2] لا ادري!

هـ. وبفضل المنظور الحيوي يرى اشـبنجلر "ان الحضـارات العليـا هـي شيء اصـيل كـل الاصالة، شيء انبثق من اعمق اعماق الروح .. بينما ان الشعوب هي عـلى العكـس مـن ذلـك هي رموز للحضارات رموز الى ارواح الحضارات"[3].

---

(1) ايضاً 61/1.

(2) أيضاً 61/1 – 62.

(3) أيضاً 28/1.

هـ/1. ومن هـذا المنطلـق يعـرض لنـا اشـبنجلر حقيقـة الواقـع الغـربي متسـائلاً "كيـف يتوجـب عـلى المـرء ان يبتعـد ببصره بعـداً هـائلاً مـا وراء نسـبية نيتشـه البريئـة، وعصره (المشحون) ... وكيف يتوجب على الانسـان ان يحـرر نفسـه تحريـراً كـاملاً مـن معـدوديات الذات والمصالح العملية والافق، قبل ان يتجرأ فيؤكد التظاهر بفهم تاريخ العالم ويفهم العـالم كتاريخ"[1]؟

هـ/2. ويزعجه اختلاف المناهج الفلسفية الذي قاد الى ضياع الحقيقـة الحضـارية، قـائلاً "الحق ان الخلاف في اعماقه يتمثل في الاختلاف بين الانسان الحضاري، والانسان المتمدن وهو ابلغ عمقاً واشد تركيزاً لجوهر انسانيته؛ من ان يسمح بكشف عـورات كـلا المنهجـين (المـادي والمثالي) على حد سواء او التغلب عليها، فالمادي نفسه يصبح مثالياً امام هذا الواقع فهو ايضاً قد جعل اراءه في ان يريد او يشتهي، تعتمد على امانيه ورغباتـه"[2] (احلامـه) وخيالاتـه عـلى الرغم من دعاواه العلمية.

هـ/3. ولما كانـت الحضـارة في المنظـور الحيـوي عنـد اشـبنجلر تنقلـب الى مدنيـة حـين تتصلب، وتفقد روحها المعنوية الاخلاقية (الوجدانية) قال "نرى ان تـدهور الغـرب لا يحتـوي على اقل من مشكلة المدنيـة" التـي هـي عنـده "نتيجـة منطقيـة جوهريـة مفهومـة وتحققـاً متكاملاً ونهاية لمطاف الحضارة .. فلكـل حضـارة مـدنيتها الخاصـة بهـا.. المدنيـة هـي المصير المحتوم للحضارة" حين تطغى فيهـا (المظـاهر الماديـة والتقنيـة والمصـلحية) عـلى الاعتبـارات الروحية والوجدانية والاخلاقية والايمانيـة: فهـو يـرى ان "المـدنيات هـي نتـائج الشيـء، يصـير الشيء في حالة الصيرورة، انها الموت يتبع الحياة، انها الصـلابة تعقـب المرونـة، .. ان المـدنيات تشكل نهاية لا يستطيع ان تقف امام تحققها ارادة او عقل" تأتي "مدفوعة بضرورة باطنية"[3] هي اقوى من رغبات الكبار او القياصرة والاباطرة والفراعنة! على الرغم من اختلافنا مع هذا الفهم (لمساحة المدنية) الغربية بعدها الجانـب المـادي التقنـي العلمـي الـذي تتسـع دائرتـه للإنسانية كافة لما تقدمه من حلول (مادية) فأننا

---

(1) أيضاً 75/1.

(2) أيضاً 83/1.

(3) أيضاً 87/1 .

نتفق مع اشبنجلر في القول (بالتضخم السرطاني للحضارة) ممثلاً بالمدنية المجردة من عوامل الايمان والقلب والوجدان والاخلاق، والمؤشرة باتجاه التداعي والسقوط وهي قضية يؤكدها في قوله "ان المدنية المجردة بوصفها عملية تاريخية، تتألف من اطراح متتالي للاشكال التي تصبح غير جوهرية او ميتة"[1].

هـ/4. ان منطق الصيرورة التاريخية الحتمي، هو الذي يؤول بالحضارة الى هذا المصير بالكيفية التي سبق لابن خلدون ان صرح بها، حين عدت المبالغة (بالترف) المدني هو بداية الاعلان عن نكوص الحضارة وعنوان الفرقة بين البنى الاجتماعية، للتجربة الحضارية، وبلوغ هذه الحضارة الى نهايات الدفقة الوجدانية (الروحية) التي تحققت في بداية (التأسيس) القائم على مبادئ (بدوية، وحية) صافية، كتلك التي عند العرب[2]. في الصحراء. فالتاريخ عند اشبنجلر "خاضع لقانون حديدي، يتمثل في المصير، وان الانسان مجرد من الارادة الحرة اذ ان عليه ان يخضع لمصيره ويذعن، فليس الانسان هو الذي يصنع التاريخ، بل انما الحوادث والاحداث هي التي تختار انسانها وتخط تاريخها"[3]! وهو امر لا نوافق اشبنجلر عليه منهجياً.

هـ/5. يرى اشبنجلر ان (الوجدان والصيرورة والزمان، والمصير والحياة) هي اعمدة التاريخ واسسه القوية، "فيها يتوهج الفعل التاريخي" ولكنه بسبب (الفراغ) والتخشب (التحجر) والتحليل والعقل"[4] تتشكل الاسس التي تعالج مواضيع (الطبيعة) وليس مشكلات الانسان وتاريخه! لهذا السبب ميز اشبنجلر من منظوره الحيوي بين (الوقائع التاريخية) و (الحقائق الفيزيائية) حين وجد ان (المذهب الطبيعي) "يتكون من مجموعة من الحقائق" اما "التاريخ فيتألف من مجموعة وقائع، والوقائع تتالٍ وتتابع، بينما الحقائق يستنبط بعضها من بعض، والحقائق قابلة للتجدد والتعريف اما الوقائع فانها غير قابلة لتحديد او تعريف لارتباطها بالصيرورة

---

(1) أيضاً 88/1.

(2) ايضاً 23/1 يقول اشبنجلر عن الرقعة التاريخية للغرب مقارنة بالإسلام "كل هذه الإنطلاقات تعادل في زخمها انطلاقة واحدة حملت العرب إلى أسبانيا وفرنسا وإلى الهند وتركستان".

(3) أيضاً 28/1، نرى أن الفعل التاريخي ناشئ عن وعي بالذات والموضوع؛ عليه من المتعذر تحقيق هذا الفعل من غير (حرية)! وإذا لم يكن الإنسان هو صانع التاريخ، فمن يصنع الأحداث والحوادث التي تحرك الإنسان! أليس نفسه! أو قل (البطل!)... أم تراها جبرية مطلقة؟

(4) المصدر السابق 28/1.

والمصير والزمان والحياة"[1]. اما مرتكزات المدنية، عند اشبنجلر فهما (العقل والعلم) بعدهما "موجهاً لكل مدنية وسيداها"[2].

و. ويوضح هذا المفكر، طبيعة المرحلة التاريخية التي وصلت اليها الحضارة الغربية، في صيرورتها التاريخية الحتمية! في انتقالها من (الحضارة الى المدنية) في القرن التاسع عشر حين "اصبحت تتخذ القرارات الفكرية الحاسمة العظمى في مدن عالمية ثلاث او اربع[3]" وبالكيفية التي "امتصت بها تلك المدن العالمية الثلاث او الاربع كل محتوى التاريخ واستأثرت بكل صفحاته، بينما (اصبحت اصقاع الحضارة المترامية الاطراف، ريفية قروية) مهمتها ان تطعم المدن (تغذي) بما تبقى لها من جنس بشري ارفع رقياً"[4] كل ذلك حدث في الغرب وصيرورته الحضارية بعد ان "استعيض عن العالم بالمدينة (City) وهي نقطة تتجمع فيها جميع اسباب الحياة لاقاليم واسعة، بينما تنضب منابع الحياة في هذه الاقاليم وتجف" كناية عن (الاخطبوط الرأسمالي الذي ينهب كل شيء في العالم) بعد ان تحول (الى ريف) قياساً الى (المدينة المذكورة) والمعدودة للاقلية. تلك هي علامات (السقوط المنتظر) للحضارة الغربية، التي (ورثتها امريكا) بعد ان امتلكت ناصية المدينة العالمية (بل القرية العالمية) وكما يقول اشبنجلر"لا يسكن المدينة العالمية شعب موحد الاصل نبت في تربة ارضه، بل يقطنها نوع جديد من القبائل (شركات) الرحالة (كالغجر!) حيث تتلاحم جماهيرها المائعة (المترفة) (بلغة ابن خلدون!) غير المستقرة وتلتئم، وهؤلاء السكان، الطفيليون معدمو التقاليد، مغرقون في الواقعية (الحسية الكلبية) لا دينيون، اذكياء، عقيمون، يكنون احتقاراً عميقاً لابن الريف (الشرق) و(الجنوب) وخاصة الارقى ما للريف من ابناء الجنتلمان الريفي"[5]!

ز. ويتجلى منطق الحتمية التاريخية عند اشبنجلر في حديثه عن المغزى الحيوي لصيرورة التاريخ وانتقاله من اقاليم (ريف) (يسودها جدل البداوة والحضارة الخلدوني) الى مدن تجريدية والى مدن عالمية، "والمدينة العالمية، تعني

---

(1) أيضاً 29/1.
(2) أيضاً 30/1.
(3) أيضاً 89/1.
(4) أيضاً 89/1.
(5) أيضاً 89/1.

كوسمو بوليتانية) بدلاً من الوطن! وتعني الواقعية الباردة بدلاً من احترام التقاليد والسنن (الاخلاق) وتعني الدين العلمي المتحجر، بدلاً من دين القلب القديم،... ونتيجة لما تقدم اصبح المثل الاعلى للحياة، قضية تتعلق الى حد كبير بالمال"[1] والثراء، على حساب الشعوب. لهذه الاسباب اقترح علينا اشبنجلر ومنذ سنة (1912) ان ننظر لمصير الحضارة الغربية "بعين متحررة من قيود الزمن، ليشمل جميع اشكال التاريخ خلال العديد من الدورات السنوية الالفية (الحضارات الاخرى) وذلك اذا ما اردنا ان نفهم حقيقة الازمة العظمى التي نعانيها في الوقت الحاضر"[2] وهو ما يسميه بعصر التحول والانتقال من الابداع والقوة الاخلاقية الى مصير فج "مطبوع بسلسلة من المهازل لا تتبدى الا في لحظات"[3]. في الوقت الذي حذرنا من الذين لم يستوعبوا النظرة الجديدة "للتاريخ وفلسفة المصير"[4] ممن ينشغلون (بالتعريفات) و"يجهلون المصير" والذين يقفون عند (سطح الحوادث السياسية والروحية) (ظاهرها) ويعالجونه معالجة (براغماتية) هي جزء من (العلوم الطبيعية) بفعل تأثير (الداء التنكري) الذي يعد (العنصر الحاسم" لمتغيرات الحقب التاريخية" ويعني به، "تعبير الروح، رمزها وتجسيدها"[5] وهو ما وجده في الحضارة العربية، وعند الامة العربية "فالامة العربية كما يرى اشبنجلر، على ما اعتقد (الشيباني) في تعريفه لجوهر اخلاق الامة العربية قائلاً فالعربي اذا ما اردت ان تستفزه وتدفع به الى اقاصي الارض، فعليك ان تتوجه الى وجدانه لا الى معدته" مثلما هو الموقع الاول (للايمان) والقيم الانسانية .. والاخلاق الحميدة.. وبشرف الوسيلة والغاية[6].. وبما يتوافق مع حيوية ابن خلدون القائل "ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة" و"ان المدينة هي نهاية العمران، وخروجه الى الفساد، ونهاية الشر البعيدة عن الخير"[7] ولفرط ايمانه (بروحانية) الامة العربية، قال اشبنجلر "ان السيد المسيح (عليه السلام) والمسيحية هما عربيا المنشأ والوجود، اذ انه لا يمكن لاية امة غير

---

(1) أيضاً 90/1 – 91.

(2) أيضاً 91/1.

(3) أيضاً 94/1.

(4) أيضاً 1-37.

(5) أيضاً 45/1 – 46.

(6) أيضاً 21/1-23.

(7) أيضاً 1-22.

الامة العربية ان تـدفع الى الوجـود المـادي روحيـة كروحيـة السـيد المسـيح لهـذا فـأن الحضارة العربية حضارة غير متأثرة ابداً بالحس اليوقليدي"[1]. وعلى الـرغم مـن اختلافنـا مـع (حيوية اشبنجلر) الحضارية، في قضايا (المدنية الخاصة) و(جبرية الانسان)، وتبعيـة الشـعوب للفعل التاريخي، وترك (الوقائع التاريخية) عنواناً للانسان خارج (حقائق الطبيعة)، التي هـي في جوهرها (وقائع) عند المؤرخين، تحولت الى (8 حقائق) تاريخية جزئية عند علماء التـاريخ، بفضل معايير الصدق التي طبقت على التاريخ لتكون (مادة) الفيلسوف في صياغة نظريتـه في صيرورة التاريخ والحضارة وازدهارها وانحلالهـا! اقـول عـلى الـرغم مـن هـذا الاخـتلاف، فـأن الحقيقة التي لا خلاف عليها، تكمن في (مصير المدنية الغربية) اليوم التـي وصـلت ذروتهـا في (الغرب الامريكي) شاخصة بنزعتها (السوبر امبريالية) الناكرة للقيم، والساعية الى النجاح بـاي ثمن، وامـا تشـبثه (بالمكيافيليـة) في الوسـيلة والغايـة، والمتذرعـة بـذرائع (الـدين العلمـي) – النفعي! وخيبة الامل العقلانية التي فقدت صلتها (بالعراقة) والوجدان، وبالابداع على الصعد الفكرية والفنية والمعمارية او هي بلغة اشبنجلر (روح) الحضارة (الوجداني) التي تلاشت منذ القرن التاسع عشر بسبب الانتقال، الى (المدينة) .. التـي اسـتقطبت نشـاط العـالم الاقتصـادي والسياسي فيه مدن معدودة (الدول الكبرى) في عالم اليوم الذي انتهى الى (القطبية الواحـدة) التي استوطنت مفهوم (العلمنة) او النظام الدولي الجديد! اذ ان المدنية الغربية اليوم تعـيش ازمة المصير الذي لابد منه بلغة (ابن خلدون)[2]، بعد مسيرة الحضارة من النشأة الى الازدهـار .. والذي يعقبه سقوط لا محالة!

ذلك هو المصير المنتظر للحضارة الغربية بعد ان نما فيها (الكـم) عـلى حسـاب (النـوع) والانسان الخارجي (بلغة نيتشه) على حساب الانسان الداخلي! وتلك خلاصـة ازمـة الحضـارة الغربية برمتها طوال القرن العشرين تحدثت عنها الوجودية والعبثية البراغماتيـة والكيوسـية! كل بطريقتها الخاصة من غير ان تخرج عن ازمتها.

---

(1) أيضاً 1-25، راجع ايضاً جـ / 3 ص 9-218.

(2) ابن خلدون / المقدمة / طبعة دار القلم بيروت 1979، ص 4 وما تلاها.

ثانياً:

ازدواجية الغرب بين النزوع العقلاني والسلوك اللاعقلاني

(1) ان مرتكز الصرخة النيشتوية، وصداها عند اشبنجلر في بداية القرن العشرين كشف لنا نحن ابناء العقد الاخير من القرن العشرين عن ازدواجية (الفكر الغربي) تجاه المحيط (الشرق والجنوب) والتي لم تتوقف طوال الربع الاخير من القرن العشرين على الصعيدين (السياسي) و(الفلسفي)، فمع رياح الفلسفة التي وصلتنا وهي تتحدث عن (الحرية والانسانية) و(الحق والعدالة) و(الخير والجمال) و(الذات والاخر) جثم الغرب (سياسياً واقتصادياً، وعسكرياً، وفكرياً، ثم اعلامياً) على صدور الشعوب النامية، بما يتناقض وصورته الفلسفية، ليقلب العلاقة... (حوار وتعاون وتثاقف) الى صراع بين الشعوب من جانب، والمستعمرين من جانب اخر، في عملية رافقها تسرب لنظريات فلسفية تتحدث عن محنة الانسان الغربي نفسه لا سيما في المنظور الوجودي[1]، والثالثي المحايد، الذي تكشفت من خلاله مجموعة من الحقائق المؤلمة منها:

أ- ان متناقضات الفكر والحياة الغربية تضاعفت مع التقدم التقني والعلوماتي، من بطالة الى ارتباك في المناهج التربوية الى فشل في المضمون الديمقراطي، وشيوع تجارة المخدرات والامراض الخطيرة كالإيدز والانحرافات الجنسية، وتفكك الاسرة؛ والمغالاة في الحرية المتسيبة والترف والسلطة الاستخبارية، والهيمنة الاعلامية، والسطوة الكوسموبوليتية العالمية!.. انعكست هذه الازمات على فكر المجتمعات المستعمرة بجميع ما تنطوي عليه من تناقض واختلاف في الرأي والسلوك العملي للدول الاستعمارية (السابقة)[2] الى درجة بدت معها (رواية

(1) راجع خلاصة الفلسفة الوجودية كما عرضها جان ماركوري في كتابه، الوجودية ترجمة أمام عبد الفتاح أمام مراجعة فؤاد زكريا سلسلة عالم المعرفة (58) الكويت 1982 ص 10-40. قارنه بما سجله أبو الوفا الغنيمي في بحث موسوم (الإسلام ووجودية سارتر في المجلة الفلسفية المصرية عدد 1 حزيران 1992 ص7-61).

(2) سارتر: الإستعمار الجديد، ترجمة عائدة يوسف أدريس (دار الآداب) بيروت 1964 ص 25 وما تلاها.

1984) لجورج اورويل حقيقة واقعة[1]. وهي الحقيقة التي لخصتها شهادة مفكر من العالم الثالث مثل جواهر لال نهرو[2]، مستكشفاً ما خطط له الغرب ضد بلدان ذلك العالم حتى نهاية القرن العشرين مستفيداً من حكمة الهند القائلة "ان المثقف الحاكم يشعر اكثر من غيره بالفجوة الهائلة بين الفكرة والعمل، بين الحلم والواقع او تحقيق الحلم"[3]، فهل سيسهم السيد المستعمر في تحرير عبيده؟ ! واذا كان (الغرب الحضاري) المستعمر قد كشف عن حقيقته المتناقضة بين الادعاء (الحضاري كالتحرر والتقدم والاستنارة) وبين السلوك الابتزازي ضد الشعوب النامية فأن (نهرو) لم يتعجب من هذه الازدواجية والتناقض في (الانجاز الفلسفي) و (السلوك الاستعماري).. لكنه يتألم اكثر حين كشف عن حقيقة السلوك الامريكي الخطير الذي سيحل وريثاً خطيراً للمستعمرين الغربيين في النصف الثاني من القرن العشرين، فيقول "لقد خاب املي في امريكا ايضاً... لم تعد امريكا جفرسون ولنكولن؟.. عندما وجدوا السلاح النووي (قد) انهى احتمالات الحرب طوَّروا الوسائل الاخرى لممارسة الصراع" .. انها امريكا"وكالة المخابرات المركزية الامريكية... تعربد في العالم وتحاول قلب اوضاعه بحماقة المؤامرة وكيدها""[4] طمعاً وراء شهوة الشركات متعددة الجنسيات في العالم.

ب- واذا كان نهرو قد عبر في (عقلانيته الواقعية) السابقة عن هاجس ابناء العالم الثالث فيما بعد الحرب الثانية، فان سارتر قد كشف لنا حقيقة انفصال (الفكر الغربي) عن (السياسة الغربية) كما تجلت في تعامل (الغرب الرأسمالي) المستعمر مع العالم المتخلف (النامي) فالى جانب حرمان الجنوب من التقنية ووسائل النهضة الجديدة، يرى سارتر، ان الجنوب هو الذي ينتج كل شيء من اجل الشمال، "من غير ان تعود بالفائدة على الشعوب، لان الفائدة تذهب هناك، (الى بنوك

---

(1) جورج أورويل: رواية 1984 ترجمة أحمد عجيل بغداد، 1990 ص8-320.
(2) جواهر لال نهرو: حديث في مؤتمر باندونغ (1955) ورد في كتاب محمد حسنين هيكل: زيارة جديدة للتارخ ط2 بيروت 1985 ص 259 – 283.
(3) أيضاً ص 259.
(4) أيضاً ص 294.

ج- الرأسماليين)[1] لذلك اعلن سارتر – استنكاره – للسلوك الاستعماري الفرنسي – انطلاقاً من مسؤوليته كمفكر – ابان الثورة الجزائرية قائلاً "نحن جميعاً قتلة"[2]!

د- وفي امريكا الوسطى والجنوبية كان للسادة الشماليين الرأسماليين سلوكهم (الامبريالي) الذي تحدث عنه (المفكر الفرنسي ريجيس دوبريه) بوضوح عام 1967 حين دافع عن (كوبا) متهماً امريكا بالفساد قائلاً "ان البؤرة الوحيدة (للبذار الاجرامي) التي اعرفها هي الولايات المتحدة الامريكية التي صدرت جرائمها الى بنما وجمهورية الدومينكان وغواتيملا وكوبا، وكذلك قنابلها وجواسيسها ودباباتها وبوارجها... ان المتهم هنا واحد هو امبريالية اليانكي واذنابها"[3] ذلك ما تمخض عن وراثة امريكا للدور الاستعماري اخيراً.

(2) ولعل في الشهادات التي يوردها الدكتور يوسف نور عوض ما يكشف ازدواجية الغرب (الشمالي الرأسمالي الامبريالي) قائلاً:

"ان النموذج الذي تمثله الدول الغنية لم يعد في نظر الكثير من الفلاسفة مثل – رسل واريك فروم وفريري واليش .. هو النموذج الامثل الذي تسعى البشرية الى تحقيقه، اذ هو يلغي القيم الانسانية والحضارية، ويتحول الانسان فيه الى (ربوط الي) مهمته الاستجابة للقيم التي يحددها مجتمع الاستهلاك"[4] الرأسمالي. ويستعرض اجوبة فروم[5] وايفان اليش[6] وهما يتحدثان عن ازمة القيم والتربية ومحنة الحياة، والفقر المصنع في اقبية المراكز السرية، او ما يسمى بفلسفة الافقار والتجويع العالمية التي هي ثمرة للمشروع الكوني الامبريالي "فالفقير هو الذي يتخلف عن ملاحقة موكب الاستهلاك المثالي المعلن، سواء اكان ذلك بالنسبة للسلع المادية ام غيرها من انواع السلع التي يطلق عليها مصطلح الخدمات" ويرى هذا

---

(1) سارتر (مصدر سابق) ص 27.

(2) أيضاً ص 53.

(3) ريجيس دوبريه: مرافعة أمام المحكمة العسكرية في بوليفيا، ترجمة ونشر دار الطليعة ط1 بيروت 1968 ص 59.

(4) يوسف نور عوض: نقد العقل المتخلف (طبع دار القلم) بيروت 1985 ص 5 و 15.

(5) أيضاً ص 81-83.

(6) أيضاً ص 93 (النص منقول عن كتاب ايليش الموسوم مجتمع بلا مدارس).

المفكر الامريكي اللاتيني (اليش) ان "النموذج العـالمي للفقـر المحـدث هـو امريكـا..." التي كانت هي والدول الاستعمارية وراء المأساة الانسانية، فلقد عرف العالم "الوانا من الفقـر عبر تاريخه الطويل ولكنه لم يعرف فقـراً اكـثر تعجيـزاً لقـدرات الانسـان مـن الفقـر المحـدث والذي تتجه اليه معظم دول العالم بمجرد وصولها الى ما يعرف بمرحلة الانطـلاق الاقتصـادي"، ومن اخطر مظاهره في امريكا اللاتينية "ان يفكر الناس... بطريقـة الاغنيـاء ويعيشـون حيـاة الفقراء"[1]!

(3) واذا كان ياولوفريري قد حلل طبيعة نزعة القاهر (الشمالي) على ضوء نظرية المقهورين في الجنوب ومعاملتهم "كأشياء ممكنة الامتلاك وليسوا ناساً ذوو ارادة"[2]. فان هؤلاء الفلاسفة يتفقون في تحليلهم لطبيعة المرحلة مع ما ذهب اليه (غارودي) في حوار الحضارات حين ربط بين "التخلف في العالم" و"النزعة الاستعمارية" التي تحكم العلاقات بمنطق القوة والنهب والاستلاب"[3] في عالم اليوم وتسخير المؤسسات الدولية للسيطرة على ثروات الشعوب "وتدمير ثقافاتها القومية"[4] تحت شتى الذرائع واخطرها (الصدام الحتمي). لا نريد هنا ان نفحص كامل الموقف (المستقل) الذي وقفه غارودي بعد تحرره من (اطلاقية الحلول الماركسية) وهو يقدم كتابه الشهير (واقعية بلا ضفاف)[5] قائلاً: "الحرية لا تكون ابداً حرية مجردة، فهي لا تنشأ من العدم، والحرية الاصيلة تمتد جذورها الى ثقافة الماضي وتشمل معارك الحاضر والمهام المشتركة الملقاة على عاتق بناة المستقبل"[6]. بل سننطلق من غارودي الذي اطل على ثقافات الامم خارج اوربا وهو يحث على تبني (منطق حوار الحضارات)، المنوه عنه في السطور الفائتة، ليصل الى كشف حقيقة ومآل ومصير الحضارة الغربية (الرأسمالية) المتحالفة مع

---

(1) أيضاً ص 93.
(2) اعتماداً على كتابه تعليم المقهورين بتوسط (عوض) نقد العقل المتخلف ص 118.
(3) أيضاً ص 47 – 48 (اعتماداً على كتابه حوار الحضارات).
(4) ايضاً ص 49 قارنه برأي محمد مزالي في ص 52-53 حوال حوار الذئب والحمل.
(5) روجيه غارودي، واقعية بلا ضفاف / تقديم اراجون، ترجمة حليم طوسون (دار الكتاب العربي) القاهرة 1968 ص 225 وما تلاها.
(6) أيضاً ص 226.

الفكر الصهيوني الذي عمل طوال قرن من الزمان ليرسي دعائم وجوده السياسي معتمداً على "الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية"[1] الذي خلص منه الى القول ان (الصهيونية في تحالفها مع الولايات المتحدة الامريكية انما تكشف عن اخطر مافيا سياسية تريد التحكم بعالم اليوم" أي عالم (ما بعد عام 1990) وما حمله من دعاوى (النظام الدولي الجديد) واقتصاد السوق (العولمة)، وهو ما تناوله في كتابه الاخير: (نحو حرب دينية – جدل العصر)[2] هذا هو المآل الاخير للتطور السرطاني للرأسمالية على اشلاء (الماركسية) وهو ما سنوجز القول فيه قدر المستطاع: مستحضرين تحذيرات اشبنجلر في مفتتح القرن العشرين:

أ. فالحرب القائمة (عالمية) لكنها (خفية) هكذا ارادتها الامبريالية فجاءت:

أ/1: حرباً بين طوفان (المال) ضد جميع الذين يريدون ان يكون لحياتهم معنى"[3].
أ/2: حرباً بين الاسلام ومدنية الغرب[4].
أ/3: حرباً بين الالحاد والايمان[5].
أ/4: حرباً بين وحدانية السوق والمعنى[6] الحضاري.

ب. ومن ثمار هذه الحرب العلمية، العالمية، ما تخبرنا به الوثائق الرسمية والاحصاءات المعتمدة في مراكز البحوث والقائلة ان: الفارق بين الشمال والجنوب

---

(1) روجيه غارودي "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، الترجمة العربية / دار الغد العربي للنشر ـ القاهرة 1996 ص 15 وما تلاها.
(2) روجيه غارودي: نحو حرب دينية (أو) جدل العصر، تقديم ليوناردو بوف، ترجمة صيح الجهيم، (دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع) بيروت 1996 ص 7 – 197.
(3) ليوناردو بوف (مقدمة نحو حرب دينية) ص 5.
(4) غارودي: نحو حرب دينية ص 21-30 و 31-49.
(5) أيضاً ص 51 – 72.
(6) أيضاً 73- 79 و 80 – 136.

ت. في الثلاثين سنة الاخيرة تزايد من (1-30) الى (1-150) تزايدت معه مشكلات (التخلف والفقر، والبطالة والهجرة)[1] فخمس سكان العالم يستغل اربعة اخماسه!

جـ واذا كانت جريمة الاستغلال في السابق تجري تحت دوافع الاستعمار والشركات متعددة الجنسيات، فان الشمال اليوم (يستغل) الجنوب تحت عناوين (الامم المتحدة ومجلس الامن) و(اتفاقية الجات) وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، واتفاقات (المديونية)، التي جعلت جميع الدول النامية ملحقة بالاكراه بالنظام النقدي الغربي[2]، المعولم.

د. اما عولمة (الليبرالية الغربية) اليوم الكاشفة عن جوهر المصير الحضاري فاعتمدت (نظام السوق) الذي يحول الانسان من عاطل (معطل الى مستهلك)، ففي هذا (السوق الرأسمالي المرعب):

د/1: "كل شيء يباع ويشترى حتى الانسان"[3] وبهذه الكيفية يضيع (ما هو تاريخي) بتأثير (ما هو غير تاريخي)[4].

د/2: تريد الولايات المتحدة الامريكية وتابعوها الغربيون، ان تصبح (وحدانية السوق) هي العقيدة الدينية لنظام العولمة – تقوم على ربط سياسات الدول الفقيرة، باوامر صندوق النقد الدولي"[5] القاضية برفع الدعم الذي تقدمه تلك الدول لاسعار السلع الاساسية! لتخلق فجوة بين سلطاتها الحكومية والجماهير الشعبية من جهة، وتتركها تحت (نقمة) اثار التبعية لاوامر ذلك الصندوق وشروط البنك الدولي التي تخدم اولاً واخيراً مشروع (العولمة) الامريكي وبالضد من ارادة الشعوب ثانياً.

د/3: اما الدول الغنية من بين (دول العالم الثالث او العالم الاسلامي) فلقد خطط لها نظام (اقتصاد السوق) الرأسمالي، سبلاً لتتحول ملياراتها الى عبء على شعوبها، ومصدراً لثراء ورخاء (راعية) نظام (اقتصاد السوق) امريكا يقول

---

(1) أيضاً ص11.
(2) أيضاً ص 12.
(3) أيضاً ص 14.
(4) أيضاً ص 41 - 43.
(5) أيضاً ص 34.

غـارودي: "لقـد اصـبحت الانظمـة الاسـلامية بمليـارات دولاراتهـا المودعـة في الولايـات المتحدة بمرتزقتها المتغلغلين في جميع الجماعات الاسلامية في العالم، الحليـف الاشـد نفاقاً لما هـو نقـيض الاسـلام وعـدوه اللـدود (وحدانيـة السـوق)". وبنـاء عـلى هـذه الخطـط اصـبح (المسلمون الصالحون) على وفق المنطق الامريكي هم (الذين يستجيبون لمنطـق السـوق) امـا السيئون منهم فهم الذين يرفضون ذلك المنطق[1] مما يستوجب صب اللعنات عليهم! بسبب موقفهم ضد (الدين الجديد)!) وعرابيه! نعم هذه هي المعادلة، "لاهوت التحرر الذي يتحاور فيه الماركسيون مع المؤمنين من شتى الاديان" بالضد من (لاهوت اقتصـاد السـوق) وفي ضـوء الصراع بين (اللاهوتين) سيتقرر مصير القرن الحادي والعشرين[2] وتتحدد اتجاهـات (العنـف) السائد على صعيد عالم اليوم[3]، في الحرب العالمية الخرساء!

هـ ومن اجل كشف حقيقة الطـابع (السـوبر – امبريـالي) في مدنيـة الغـرب يحلـل لنـا (غارودي) طبيعة (عالم السوق) بعد عام 1991: التي تهدد مصير البشرية!

هـ/1: فلا عدالة مـن غـير (وحـدة) مواجهـة (للمغلـوبين عـلى امـرهم) مـن المـؤمنين؛ للوقوف بوجه الخطر الذي يتهدد العالم بسبب (وحدانية السوق) الرأسـمالية، تحـت دعـاوى (السلطة المدنية) لسادة العالم (الولايـات المتحـدة وتابعيهـا والمتـواطئين معهـا). بأسـم حريـة مزعومة، ووثنية المال"[4] معبود السادة الكبار!

هـــ/2: ان جميـع مـا يجـري في عـالم اليـوم يعـبر عـن (السـوق العالميـة الامريكيـة) وايديولوجيتها التي تبشر بها وسائل الاعـلام تحـت فكـرة الضرـورة "فالاقتصـاد علـم الاشـياء" هكذا قالوا: "انه عالم اللامعنى .. لابد ان نواجهه بالمعنى نحن جميع

(1) أيضاً ص 47-48.

(2) غارودي: نحو حرب دينية: جدل العصر ص 144-151.

(3) غارودي: أيضاً ص 53 يتحدث عن ثلاثة أنواع من العنف عنـد هلـدر هـي (عنـف المؤسسـة، وعنـف النظـام السياسي القائم على الظلم، والعنف الثوري الناتج عن العنف الثاني الذي بسببه، أطلق على الثـوار في العـالم مصطلح ارهابيين!) مع أن الأخطر هو أرهاب اقتصاد السوق (العولمة). (وهلدر أهدى كتابـه لولـب العنـف إلى غارودي قائلاً عنه: إلى روجيه غارودي الذي أحس بأنني أخ له في الجوع والتعطش إلى العدالة" (ص52).

(4) أيضاً ص 74.

المؤمنين على الارض"[1]، والمواجهة الحقيقية يجب ان تبـدأ مـن العقـول، (عـبر الاعـلام)، لكي يفشل سلاح العولمة بمثله الشائعة!

هـ/3: ويدلل غارودي على استغلال التزييف الاعلامي ممثلاً بجريمـة (الـرئيس الامـريكي السابق بوش) في تدمير العـراق عـام 1991 ودور (السي۔ ان ان)[2] في ذلـك (ولا سـيما احبولـة الحاضنات).

هـ/4: وجد غارودي ان (وحدانية السوق) تـداعب خيـال النـاس بحلـول خياليـة، مثـل المسابقات واليانصيب وضربات الحظ! بعـدها (اقصر۔ الطـرق للغنـى) والخـروج مـن دوامـة الفقر المصنع! هكذا تدور اللعبة في عالمنا المعاصر[3]. وعلى جميع المستويات!

هــ/5: لا مجـال لمواجهـة هـذه الهجمـة في (المعركـة العالميـة) مـن غـير الوضـوح والمعقولية[4]. هكذا يجب ان تكون المعادلة فان عقلاً لا يتساءل عن غاياته، فهو عقل يرتقـي الى غباوة"[5]!

و. ولتأجيج الوعي، في هذه المعركـة، يـرى غـارودي ان لا خصـومة بـين العلـم والايمـان "فالعلم والايمان ليسا خصمين بتاتاً الا في المفهوم القديم للعلم، مفهـوم الوضـعية، العلمويـة، الشمولية التي تزعم ان مشكلات الحياة يمكن ان تحلهـا العلـوم الوضـعية، وحتـى مشـكلات غايـات الحيـاة الآخـرة، ومعنـى تلـك الحيـاة، والحـب، والجـمال"[6] العلـم (يقـدم الوسـائل) والحكمـة والـدين يحـددان الغايـات، فـلا خـلاف بيـنهما، الا اللهـم في الغايـات البعيـدة " (الاخيرة)[7].

---

(1) أيضاً ص 74 – 75.
(2) أيضاً ص 76 – 77.
(3) أيضاً ص 77 – 78.
(4) أيضاً ص 79.
(5) أيضاً ص 134.
(6) أيضاً ص 54.
(7) ايضاً ص 55.

ان الرأي الجديد لغارودي هو حصيلة نزعته (الايمانية) التي وجدها في (الدين) كمغذ روحي لحاجات الانسان المادية! من جانب، وهي الثمرة الاخيرة لحوارات العصر حول (الماركسية والدين) من جانب ثاني، بل هي المدخل الذي يشكل بموجبه جبهة لمواجهة (غول اقتصاد السوق ولا هوته!) من جانب ثالث.

و/1: يخلص غارودي من ذلك الى ذات النتيجة التي (حذر منها) اشبنجلر وهي التحلل و (المصير) قائلاً "امريكا طليعة انحطاط حضارة الغرب"[1]!

و/2: ولتأكيد هذه الحقيقة المعبرة عن المال الحضاري الغربي الكاشف عن نفسه (بالمدنية = التكنولوجيا، الثورة المعلوماتية، التضليل الاعلامي والتلاعب بالعقول) اطلق غارودي على الامريكان اسم (سادة الفوضى) الحاليين" الذين ارادوا بالتعبئة الاعلامية الهائلة "ان يفرضوا على الجماهير فكرة وكأنها بديهة من البديهات تقول ان تفجر الاتحاد السوفيتي يعني انهياراً للماركسية، لكي يوهموها بان المخرج الوحيد هو العودة الى (شريعة الغاب)[2]. التي يتحكم فيها (الوحش الرأسمالي) الاكبر الذي يعتاش على (الاستغلال والتحلل والفساد!)[3] والفساد!)[3] والارهاب، وقانونه الاساس هو: "ان انتزاع ذاكرة الشعب هو الشرط الضروري لكل تراجع تاريخي"[4].

و/3: ومن دلائل ذلك السقوط تلك الخطط الخفية التي تقف وراء صراعات غير المتكافئة بين (لاهوت التحرر الانساني) و (لاهوت وحدانية السوق) او (العولمة) فنحن نعيش اليوم كما يقول غارودي "اشرس حروب الدين (لا بين الاديان الحقيقية) وانما بين هذا الدين الذي لا يجرؤ ان يعلن عن اسمه! والذي يحكم بالفعل اليوم جميع العلاقات الاجتماعية وجميع العلاقات الدولية على حد سواء، وحدانية السوق التي تغطي جميع الوثنيات" نعم ان وحدانية السوق ولدت الشرك المعاصر! جاهلية القرن العشرين، ممثلة بـ "عبادة اوثان شتى؛ المال، السلطة؛

---

(1) أيضاً ص 79.
(2) ايضاً ص 59.
(3) أيضاً ص 59- 60.
(4) أيضاً ص 61.

القوميات، الاصوليات.."[1]، حين وضعت بالضد من ارادة الانسان والتحرر والتقدم، مع ان العاقل يرى، ان "لا يكون للحياة معنى الا اذا كان العالم واحداً" متقارباً متعاوناً.

و/4: ولبيان حقيقة التمركز (السوبر امبريالي) عند قلة من الامريكان الذين يسخرون نظام (السوق والعولمة لصالحهم) بما يكشف حجم (التمركز حول الذات الامريكية المالية) في زماننا هذا، يورد غارودي اعتراف الرئيس الامريكي (كلنتون) "منذ مجيئه" 1993 ان 1% من الامريكيين، يملكون 70% من الثروة القومية، في حين يعيش (33) مليون امريكي تحت عتبة الفقر"[2]. فأين هو (الازدهار) و(الجنة الارضية) و(نهاية التاريخ) التي تبجح بها فوكوياما في مجتمع الليبرالية والديمقراطية النموذجي؟.

و/5: وبالضد مما ذهب اليه مؤلف نهاية التاريخ عن نيل التقدير، وتحقيق (النهاية السعيدة) – فوكومايا – يتساءل غارودي" اهذه هي نهاية التاريخ وغايته المجيدة؟" فوز الرأسمالية! ان الامر لا يخرج في الغرب عن "برابرة مزودين بمحركات تعيش في ادغال ما قبل التاريخ، حيث لا وجدان يتفكر في الله" واخطر من ذلك! يجد غارودي في حضارة اليوم الغربية هو فكرة (شعب الله المختار)[3] التي تركزت ردود افعال لها في العالم الاسلامي متطرفة! ومصنعة! جاءت رداً على الاصولية الصهيونية[4]. التي هي في حقيقتها ترجمة للنزعة (الاستعمارية الغربية) ممثلة بالانحرافات الرأسمالية الكبرى وحماقاتها الجنونية التي "تقودنا اليوم الى بربرية الاستقطابات المتزايدة للثروة والبؤس والى الانتحار الكوكبي"[5] (المصير المأساوي).

---

(1) أيضاً 16-17.
(2) أيضاً ص 17 .
(3) أيضاً ص 18.
(4) أيضاً ص 31 يعدّ غارودي (الأصولية الأولى هي النزعة الاستعمارية الغربية).
(5) أيضاً ص 71.

ز. يخلص غارودي من هذه الدراسة لمصير الحضارة الغربيـة، الى بيـان حجـم الاشـكالية التي تعاني منها البشرية بصمت، فالمشكلة تتجسد بكيفية الخروج من المأزق نعم: "كيف يتم الانتقال من اللامعنى الى المعنى، من الانحطاط الى النهضة ذلـك هـو جـدل العصرـ؟" فحـذار حذار من الليبرالية الغربية التي جاءت اليوم "نقـيض الحريـة الانسـانية والديمقراطيـة" لانهـا تعمل على ترسيخ "حرية الاغنى والاقوى في افتراس الافقر والاضعف.."[1] انها حرية الاقوياء في افتراس الضعفاء! وتلك هي شريعة الغاب وثمرة(التضخم التقني الهائل لحضارة الغـرب) تلـك شهادة محايدة عن مصير الحضارة الغربية على وفق المفهومين الحيوي والجـدلي! ان الانحيـاز الفلسفي للمقهورين او فلسفتهم بلغة فروم وايليش وفريري، وغارودي، كله يؤشر (حقـائق) سبق ونوه بها اشبنجلر، كامنة في باطن النظام (المـدني الغـربي). العـاجز عـن معالجـة الخلـل الذي عانت منه البشرية شمالاً وجنوباً بل عقد الموقف وعصف بالاجوبة الفلسفية عن الحق والعدل والتعاون والانصاف والانسـانية فبقـى العـالم واقفـاً عـلى (رجـل واحـدة) هـي رجـل (الرأسمالية الامريكية..) وامتـداداتها العالميـة في ظـل مـا سـمي بنظـام (العولمـة) او (النظـام الدولي الجديد) الذي علينا ان نتفحص مكوناته المؤذية للانسان وللحضارة؛ قبل ان ينهـار كـل شيء!.

(1) أيضاً 19.

ثالثاً:

(عولمة النظام الدولي الجديد) وفلسفته الفوضوية!

يقصد بالنظام الدولي الجديد (الوضع) الذي ساد بعد سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي، وحلف وارشو، والعدوان الثلاثيني على العراق... وغيره من احداث مأساوية، كشفت حقيقة ذلك النظام ودعاته ومبرراته الفلسفية والاعلامية والسياسية والنفسية، التي غطت السنوات العشر الاخيرة (كممهدات ونتائج) نالت الفكر (الماركسي والليبرالي والسياني) المنفعل بالمتغيرات المذكورة، والمفصح عن المال الذي وصلت اليه مسيرة الحضارة الغربية، والازمات المتلاحقة متجسدة بالمشكلات الكبرى التي تخص الانسان اولاً، والعقائد لفكرية ثانياً؛ وواقع (التقنية والمعلوماتية) ثالثاً مما يتطلب وقفة نقدية متأنية عند الاسس الفكرية المذكورة على صعيد الغرب والعالم.

1. ليبرالية الحضارة الغربية والنزعة الكيوسية:

اذا وجد لوي التوسير في مونتسكيو (حقيقة عالم اليوم) المؤلمة تقول "ان العالم... هو عالم مهزوم مزعزع، نريد اعادة تثبيت اسسه وقواعده"[(1)] مما يستوجب العمل على ربط الفضيلة بالشرف، لنتجاوز به جميع اشكال الخوف على مصير الانسان فان ذلك الخوف هو علامة الفشل والسقوط في تاريخ الانسانية! القريب والبعيد؛ وهي قضية ليست بعيدة عن الاسس الاخلاقية التي سبق ووضعها ابن خلدون (ت 808 هـ/ 1406م) في نظريته العمرانية حين ربط بين (العنفوان الحضاري وقوة المبادئ الاخلاقية) بخلاف ما سوف يؤول اليه حال الحضارة من مدنية وترف وفساد وانحلال وسقوط، على صعيد المجتمع والدولة[(2)]. فهل اخذ هذه المفهوم صيرورته مع تقدم التاريخ الغربي؟ نقول:

---

(1) لوي التوسير: مونتسكيو السياسة والتاريخ ترجمة نادر ذكري (دار التنوير) ط1 بيروت 1981 ص 5-85.

(2) ابن خلدون، المقدمة (طبعة دار القلم) بيروت 1978 ص 52-91 و 108.

أ. هذا المنطق، سبق واقصاه (مكيافيلي) من قاموسه السياسي جملة وتفصيلاً؛ حين حرر السياسة من (قيود) (الدين والاخلاق)[1] ليفتح بذلك طريقاً سالكاً امام نمو البرجوازية الناشئة ... والمنطلقة نحو دورها الحضاري (الرأسمالي) القادم! والذي ابتهجت به (ليبرالية القرن الحادي والعشرين! وهي توظف (الوعي والذكاء والالة) في اخطر عملية (متاجرة) و(ثراء) لتحقيق اكبر الفوائد والمكاسب على الصعد (الاقتصادية والسياسية والفكرية) من خلال مجموعة من الاختبارات (الكيوسية) الجارية على (العقل الانساني)[2] تجاوزت به تنظيرات الذرائعيين وغيرها من اجوبة علمية وتقنية[3] وظفت الثورة المعلوماتية، لاستكمال اطارها النظري ممثلاً (بالفلسفة الكيوسية)[4] (السوبر – امبريالية) التي تقوم على (غرس الفوضى) وسط الانظمة (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والفكري، وحتى الطبيعية!) لنكتشف مقدار قوة بنائها (الداخلي) وكيفية التحكم بمساراتها (الخطية) و(اللاخطية)! انها (لعبة العصر) التي تمخضت عن (الازدهار المدني) الغربي الحالي في امريكا!

ب. واذا كانت (البراغماتية)[5] الامريكية ترفض الوقوف عند منطلقات وحدود مقولاتها الفكرية (الزئبقية) لانها اصلاً، فلسفة لا تعترف (بالثوابت) او (المعايير)

---

(1) نيقولو ميكافيلي: الأمير: تعليق موسوليني، تقديم كريستيان غاوس تعريب خيري حماد، تعقيب فاروق سعد (دار الآفاق الجديدة) ط 9 بيروت 1979 ص 79 - 187 .

(2) وهي كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ. روبرت س. دي روب: العقول المريضة والعقاقير الجديدة، ترجمة ونشر (روز اليوسف) القاهرة 1974 ص 5 و7 وما تلاها.

ب. شيللر هربرت: المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان (عالم المعرفة ع 106) الكويت 1986 ص 15-87.

(3) روبرت م غروس، وجورج ن ستانيسو: العلم في منظوره الجديد، ترجمة كمال الخلايلي (عالم المعرفة) ع 134، الكويت 1989 ص 25-43 (مبحث العقل).

كذلك: نعوم جومسكي: العقل واللغة ترجمة بيداء علي العلكاوي مراجعة د. سلمان الواسطي (دار الشؤون الثقافية) بغداد 1996 ص 36-127.

(4) أورد الدكتور اسعد الخفاجي مرتكزات هذه الفلسفة (الغربية) في بحث القيم: مقدمة في مفاهيم الكيوسية: مجلة آفاق عربية ع 3-4 بغداد 1995 ص 34 – 40.

(5) لقد استوفينا هذه المسألة في دراستنا الموسومة: منطق الصراع بين الذرائعية النفعية والعقلانية العربية النقدية، وهو دراسة في الفكر الذرائعي واعاقته للنهضة العربية المعاصرة، منشور ضمن كتاب: الثقافة العربية والتحدي (منشورات مركز دراسات الوحدة العربية) بيروت 1995 ص 125-1257 معتمدين فيه على المنطلقات الفلسفية الذرائعية لبيرس وجيمس وديوي وغيرهم.

و(القيم) وجدناها تنفجر عالمياً، بعد عام (1990) تحت دواعي (النظام الدولي الجديد) الذي لا جديد فيه قياساً لمنطق (الاستعمار) القائم على نزعة[1] القوة والقهر والعدوان والكيل بمكيالين!

جـ ومهما قيل عن حقيقة (العولمة واقتصاد السوق الحر والنظام الدولي الجديد (امريكياً)[2]، يبقى مفهوم دعاته من الناحية الفكرية، مناقضاً لحقيقته اللاحضارية! فهو في جوهره مشروع (الهيمنة الامريكية)[3] على العالم اجمع، اخذ شكل رسالة كونية مطلوب من جميع (الرسل الامريكان والاساطيل) تبليغها الى الدول والشعوب والحكام، انه باختصار (المنظور الامريكي – الصهيوني) لمجريات الاحداث في العالم، يكمل بعضهما البعض الاخر! وظفت الامم المتحدة ومجلس الامن لتمريره! بخلاف الواقع الاستعماري السابق المكشوف والمدان من قبل الشرفاء في العالم!

جـ/1: لقد بدت اهداف (الامم) والدول) النظرية والعملية مجرد خرافة غير ممكنة التحقق، مادامت تتقاطع مع ذلك المشروع (الكوني)! الذي تريد امريكا فرضه على العالم (كرسالة حضارية) للقرن الجديد.

---

(1) ريتشارد باونت: حروب التدخل الأمريكية في العالم: ترجمة منعم النعمان، بيروت 1974 ص 44 وما تلاها.

(2) منعم العمار: في معنى التدخل الأمريكي في الخليج العربي (مجلة أم المعارك ع 7 تموز 1996 ص 61- 82).

(3) راجع عن ذلك أدلة أمريكية من:

أ. جورج بوش: النظام الدولي الجديد (ترجمة جريدة الدستور الأردنية، ونشرها في 1994/4/5) حيث كرر بوش هذا المصطلح (النظام الدولي الجديد) (247) مرة، بين (أ ب 1990 – شباط 1991) أثناء التحضير، والعدوان – على العراق – وذكره، ثلاث مرات فقط في أذار 1991 وإلى حين مغادرته كرسي الحكم عام 1993، فتأمل!

ب. شوارزكوف: المذكرات: ترجمتها العربية في صحيفة الشرق الأوسط (لندن ع 1992/10/7).

ج. الفين توفلر: الحرب العالمية الثالثة (مقابلة معه في السي أن أن الأمريكية، يوم 1993/11/13 (تحدث فيها عن (السلطة والطريق الثالث) والحرب المستقبلية (الأمريكية) التي هي حرب الكترونية – عقلية تملي أمريكا من خلالها شروطها على الإعداء من غير أراقة دماء: (حرب نظيفة!) وهو مشروع السنوات العشر القادمة! حرب عقول وإرادات! (راجع الترجمة العربية للمقابلة المذكورة في مجلة شؤون سياسية لمركز دراسات الجمهورية البغدادية في 1 كانون الثاني 1994 ص 160 وما بعدها).

جـ/2: نحن ازاء مفهوم (امريكي – متصهين) لمنطق العصرـ المزدوج؛ الذي لا يعترف بالقوانين او القيم او المبادئ او الحقائق او منطق الحق والعدل والانصاف! فلا يوجد في العقل الامريكي غير (تطمين المشروع السوبر – امبريالي – الصهيوني)[1] الجاري تنفيذه بالقوة وبموجب (الفصل السابع من نظام الامم المتحدة) مادام يفضيـ الى (نهاية التاريخ) بلغة فوكوياما! والادبيات الصهيونية

جـ/3: لقد قيل الكثير عن (المحتوى الفكري)[2] للنظام الدولي الجديد لكن الذي قاله هنتنغتون عام 1993 يمثل العودة الى نقطة الصفر! في الانجازين العقلي والسياسي الغربي، ويكشف ضآلة المصير وهزال الواقع! وهو ينظر لصراع الحضارات[3] بعد ان نسف جميع مقدمات فوكوياما ومبرراته التي اوردها مبشراً بعالم الشراكة الدولية[4] بعد ان اختفى من خارطتها ومعها (الخطر الشيوعي والبرابرة واللصوص والارهابيين عام 1990) مع التمهيد لضرب العراق.. وتدمير قوته المادية والروحية!

د: اما اليوم، فلم يعد – كما قال كلنتون – عام 1993 مجرد سقوط (الدب السوفيتي) سبباً للاطمئنان الامريكي او الشراكة الدولية! فثمة افاع سامة تملأ العالم

---

(1) ر. أ. هاركافي: ما بعد حرب الخليج: مستقبل الإستراتيجية النووية الإسرائيلية المنشورة بالإنجليزية في (فصلية واشنطن بوست 13/140) صيف 1991 (راجع نصها العربي في شؤون سياسية (مصدر سابق) ص 161-179.

(2) زكي العايدي (وفريق عمله): المعنى والقوة في النظام الدولي الجديد، ترجمة سوزان خليل (دار سينا) القاهرة 1993 ص 7 – 400 تقف هذه الدراسات الإختصاصية المكثفة: عند موقع كل من (الصين) و (أمريكا اللاتينية) و (اليابان) والمانيا في النظام الدولي الجديد، والأهم بين كل هذا ما سجله (اليزابيث بيكار) عنك المعنى والقوة: النظام الدولي الجديد والشرق الأوسط ص 115-142.

(3) صاموئيل هنتنغتون: صراع الحضارات، ترجمة نجوى أبو غزالة (ملف) منشور في مجلة شؤون سياسة ع 1 بغداد 1994 ص 117 وما تلاها.
وهناك ترجمة أخرى (للاوسط) صدرت من بيروت تحت عنوان (صدام الحضارات) مع ملاحق جديدة فيها دفاع وتعقيب لهنتنغتون، (بيروت 1995) ص 77-87.

(4) فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ ترجمة حسين أحمد أمين (مركز دراسات الأهرام القاهرة، 1993) ص 20-302. راجع تحليلنا لحقيقة هذه النظرية في بحثنا الموسوم: الفلسفة ونهاية التاريخ (مجلة كلية الأداب) عدد (40) بغداد 1995 ص 27-55.

مما يوجب شحذ الاسلحة من جديد للدفاع عن حضارة الغرب من خصومها الكثر! واذا كان (الخطر الشيوعي) قد زال فثمة خطر جديد (اسلامي – عربي – كونفشيوسي!). وبذلك فتح النظام الدولي الجديد الباب على مصراعيه لحروب وصراعات دموية تخدم مشروعه في (العولمة واقتصاد السوق) الدين الجديد الذي على البشرية ان تؤمن به وهي تدخل الالف الثالث للميلاد! والا فعليها ان تخوض عشرات الحروب الثقافية والقومية والدينية[1]. وهي احبولة ادانها العقلاء في العالم[2] كشفت عن السقوط الحضاري الغربي.

---

(1) باتريك كلوسن: كيف صمد العراق؟ (نص وثيقة رقم 22 في سلسلة أوراق مكنيرفي آب 1993 نشرها بالإنجليزية معهد واشنطن الوطني ..) ترجمها إلى العربية جاسم زبون ونشرتها مجلة أم المعارك في عدد (7) لسنة 1996 ص 145 وما تلاها! احتوت على الخطة الأمريكية في الحصار الإقتصادي وتجويع الشعب العراقي.

(2) راجع في ترجمة (الأوسط) من صدام الحضارات (مصدر سابق) أراء مجموعة من الباحثين ص 46 – 53 و 57 – 67 و 71-74.

أ. كذلك نقد ايكوبي ماكاتو: ما وراء الفوضى في النظام العالمي منشورة في (صدى اليابان) ترجمها إلى العربية رشيد أبو غيدا ونشرها في دراسات جريدة الدستور يوم 1994/9/20، رد فيها على فكرة نهاية التاريخ.

ب. راجع رأي فلاديمير جرنوفسكي عن خارطة الصراع في القرن القادم (أو المسلمون قادمون) مقابلة أجراها معه نيكولاييف اندرييف ترجمتها العربية منشورة في جريدة العراق يوم 1994/6/3.

ج. نعوم شومسكي: ماذا يرى العم سام: عضلات عسكرية معروضة للإيجار (النظام الدولي الجديد) – الترجمة العربية جردة العراق – تعليق رعد هاشم شاطي، يوم 1996/10/10.

د. روجيه غارودي: شهادة ضد النظام الدولي الجديد (القاهرة مطلع تشرين الأول 1996) جريدة القادسية عدد يوم 1996/10/15.

هـ جيرهارد لانفة: رسالة عن حقيقة النظام الدولي الجدد منشورة في جريدة تاكس سايتونكن الإلمانية يوم 1996/1/12. راجع ترجمتها العربية منشورة في مجلة أم المعارك ع7 تموز 1996 ص 166-167 ترجمة مثنى عبد الستار.

و. رمزي كلارك: رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة (الأمانة العامة – مكتب الأمين االعام) رقم (س/3800) نيويورك أن واي 100/7 في 1996/3/1. رجع ترجمتها العربية لجاليا محمد منشورة في مجلة أم المعارك ع7 لسنة 1996 ص 170 -171.

ز. كيفن رونز: مرأة الجهالة: ضمن كتاب حرب العالمين الأولى ضد بلد عربي مسلم من العالم الثالث (ط1 دار الأرض) قبرص 1991 ترجمة وتحرير صبحي الحديدي ص 67 وما تلاها.

2. الماركسية والمآل الحضاري الغربي:

مهما قيل عن الماركسية وصراعها ضد ليبرالية الغرب الرأسمالي طوال القرنين التاسع عشر والعشرين، فهي في حقيقتها واحدة من (الانجازات) الفلسفية الغربية؛ جاء البعد الاجتماعي فيها تعبيراً عن خليط (رائع) بين (الواقع والخيال) وهو امر سيؤثر كثيراً على مصير هذه الفلسفة في زماننا هذا على الرغم مما قيل عن (علمية نظرية ماركس)[*] وهو يوصف واقع اوربا منذ عام 1844 (المسألة اليهودية) وعام 1848 بواسطة (البيان الشيوعي) او وهو يتفلسف في حل مشكلات المجتمع الانساني من خلال (بؤس الفلسفة) و(رأس المال) و(الايديولوجيا الالمانية) و (الرسائل) وبقية كتاباته المشتركة مع (انجلز) التي مهدت لثقافة لينين[1] وهو يتأهب لقيادة (البلاشفة) في روسيا القيصرية اولاً، وفي الاتحاد السوفيتي ثانياً؛ وفي العالم ثالثاً[2] المسيرة التي واصلها ستالين، لاحقاً الى خمسينات القرن العشرين:

أ. ومهما قيل عن (الحقبة الستالينية) من مثالب وعيوب، فان مجرد الحديث عن (جرائم ستالين!) امام الشعب السوفيتي! يعني اسقاط فكرة احترام (القيادة) فـي نظر الجميع! من هنا – على ما نظن – بدأ الانهيار الحقيقي للتجربة الشيوعية، قبل ان يجعل غورباتشوف منها ذريعة لتطبيق (البيرويسترويكا)[3]، التي هي الحلقة

(*) كارل ماركس: المسألة اليهودية، ترجمة محمد عيتاني (ب . ت) ولا مكان: ص 3-63.

(1) راجع عن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أ- لينين: المؤلفات الكاملة (الطبعة الروسية الثانية) مجلد 22 ص 468 عن تاريخ المسيحية البدائية وبعض الشخصيات الوسيطة (الترجمة العربية).

ب- لينين: دفاتر عن الإمبريالية مجموعة المؤلفات الكاملة (بالروسية مج 28 ص 918) أوردها لوتسـكي الآتي ص 307.

ج- لوتسكي: في تاريخ الأقطار العربية (دار التقدم) موسكو بالعربية 1971 ص 306 ومـا تلاهـا. عـن علاقـة الفكر الماركسي ببعض المفكرين العرب وحوار ا لحضارات!

(2) راجع عن كل ذلك ما كتبه أوتو فريدريتش: نظرة تاريخية موجزة إلى الحزب الشيوعي السوفيتي، ترجمة عبـد الواحد محمد مجلة آفاق عربية عدد 3 (أذار) 1990 ص 18 وما تلاها.

(3) ميخائيل غورباتشوف البيريسترويكا: إعادة البناء والفكر الإشـتراكي إلى ايـن نحـن سـائرون؟ ترجمـة د. عبـاس خلف (شركة المعرفة) بيروت 1990 ص 25 وما تلاها.

الاخيرة من حلقات تفكيك الاتحاد السوفيتي، اولاً واسقاط التجربة الشيوعية ثانياً، واحراج (الماركسية) ثالثاً.

ب. وهما قيل عن مبررات ذلك التفكيك، اقتصادياً او قومياً او دينياً، فانها انتهت بذلك (المعسكر الجبار)[1] الى خارج دائرة (التوازن الدولي) الم يكن، هذا المعسكر نصيراً لشعوب العالم الثالث، في نضالها من اجل الحرية[2] والديمقراطية والاشتراكية وحقوق الانسان!.. ليخلي بذلك الطريق (لامريكا) و(الرأسمالية الشرهة)[3] والمتسلحة بأسلحة العلم والتقنية والثورة المعلوماتية وامبراطورية الاعلام الكبرى المسخرة في الخداع والتزوير لتنفرد بالعالم النامي (الجنوبي) الباحث دوماً عن (حريته وحقوقه) و(هويته) مرة عن طريق الثورة واخرى عن طريق الامم المتحدة وثالثة عن طريق التبعية (والحماية) والدعم الاممي، فالى اين سيذهب هذا العالم في ظل (الهيمنة الامريكية) وعصر القطبية الوحيدة[4] التي تباهت بنظامها الدولي الجديد كرسالة لها؟

---

(1) فرنسكواندت: حوار مع ليوبيد ايفانوفتش: كيف تنقذ البيريستروبكا (النص العربي) منشور في (آفاق عربية) ع3 لسنة 1990 ص 16-17؟ وهو يرى ضرورة دعم الغرب الرأسمالي لتجربة إعادة البناء وإلا فهي ساقطة لا محالة!

(2) مارجولوريستين: الحرية عنوان الإنسانية، ترجمة عبد الواحد محمد مجلة آفاق عربية عدد 3 بغداد 1990 ص17.

(3) كشف الأثار التي تركتها تجربة البير يسترويكا وعهد غورباتشوف العديد من الكتاب، وهم يلاحظون غياب هيبة الدولة ونفاذ المواد الغذائية وسقوط الروبل وتطبيق سياسة اقتصاد السوق والمنافسة ورفع الدعم عن أسعار السلع الضرورية.

أ- جيمس كاربي: من هم أصدقاء غورباتشوف الجدد؟ (مجلة آفاق عربية) ترجمة زهير خضير ياس عدد (حزيران) 1991 ص 32-35.

ب- بيروس دبليو نيلان: الغورباتشوفية والردة على اللينينية ترجمة عبد الواحد محمد، آفاق عربية ع3 لسنة 1991 ص 08 وما تلاها.

ج- ليوبيد ابالكيف: طبيعة العلاقة بين الإشتراكية والرأسمالية مجلة (آفاق عربية) ع6 حزيران 1990 ص 36-37.

د- جون غوانوا: دعوا الأحزاب تبدأ ترجمة عبد الواحد محمد (آفاق عربية) عدد سابق ص 12-13.

(4) اناتولي بروخوف (وجماعة): ثقافة العصر ا لقادم: ترجمة ناطق خلوصي (مجلة الموقف الثقافي) ع1-2 (دار الشؤون الثقافية) أذار – نيسان 1996 ص 11-21.

جـ ان السؤال الانف ينطوي جملة مشكلات:

الاولى: تتصل بمصير الماركسية كانجاز غربي فكري بعد تفكك الاتحاد السوفيتي.

الثانية: تتعلق بتقييم (التجربة السوفيتية) كجزء من واقع الحضارة الغربية ومآلها الاخير وبحسب شهادات من داخل (الماركسية) وعلى مقربة منها.

جـ/1: اذا كانت صرخة (ريجيس دوبريه) عام 1990، ورسالته الموجهة في فرنسا الى الاشتراكيين، قد حملت ادانة لعالم القطب الواحد، وحذرت من مخاطر التبعية للقرار الرأسمالي، المغالي في عدائه للشعوب؛ فأنها تعني ادانة للموقف المتخاذل داخل (الاتحاد السوفيتي = غورباتشوف) في ظل البيريسترويكا! هذا من جانب، ومن جانب اخر، فانها كشفت عن وعي فلسفي (نقدي) يختلف عن تصورات (النفق السوفيتي – الروسي) فيقول دوبريه "لقد انزلقنا تدريجياً الى سياسة الخضوع والاستسلام ... اننا أخضعنا السياسة العالمية لاوربا، واخضعنا الحضارة الاوربية – التي هي حضارة الزمان – الى امريكا الشمالية – التي تمثل حضارة (المكان) – المادية – فالسياسة الامريكية لا تملك رؤية تاريخية لتأريخ الانسان (بسبب حداثة تكوينها) لذلك فهي تجهل طبيعة الاشياء وتفتقر الى فهم جوهر الصراعات، وانه من المخيف حقاً ان نصبح نحن الاوربيين رهائن النقص الفاضح في الكفاءة الى هذا المستوى من السياسة الذي يجيز لحاملة الطائرات (تكنولوجيا) ان تواجه او تعالج قضايا حضارية مثل السلام"[1] وذلك هو واقع التدني والسقوط الذي انحدرت اليه مدنية الغرب..!

جـ/2: واكثر من ذلك قال (جاك دريدا) حين عد عالم القطب الاوحد ونظامه الدولي الجديد، شكلاً من اشكال الحرب الخفية ضد الانسانية، او قل مؤامرة ضد الماركسية!"[2] واكثر من ذلك:

---

(1) ريجيس دوبريه رسالة موجهة إلى الإشتراكين الفرنسيين الترجمة العربية منشورة في جريدة الثورة البغدادية عدد يوم 1990/10/4.

(2) جاك دريدا: أطياف ماركس ترجمة منذرعياش، حلب 1995 ص 5 و 104 – 105.

جـ/1/2: لقد وجد دريدا في ظل هذه القطبية، ان العالم اخذ (يستهلك نفسه)[1] ويكشف عن خلل في الوظيفة الديمقراطية[2].

جـ/2/2: لقد اشاع هذا (النظام الوحيد) الفقر والفوضى والاضطهاد والحرب الاقتصادية والتجويع، حتى كان مثابة عودة الى شريعة الغاب[3].

جـ/3/2: ان عالمنا اليوم باختصار "دوغمائية تريد ان تقيم هيمنتها العالمية من خلال شروط متناقضة" شعارها اليومي (موت الماركسية) واحياء (الرأسمالية)[4] بعيداً عن القيم والمبادئ الانسانية.

جـ/4/2: واذا كان دريدا في حديثه عن (اشباح ماركس) يتحدث ضيفاً على الامريكيين في جامعة كاليفورنيا 1993 تحت عنوان لاعب غامض: الى اين ستذهب الماركسية[5]، كانت به حاجة الى صراحة من اجل (الحقيقة) التي يراها فلسفياً ماثلة في ذلك السقوط المريع! وجدناه اكثر اخلاصاً للماركسية وهو يعيد قراءة ماركس على طريقة الفرنسيين التفكيكية! والتجديدية! ما يذكرنا بكلمات ماركس الثلاث[6] ويكشف بؤس الماركسيين (الرسميين) الذين جرفهم تيار السقوط! وتركهم نادمين[7]! على ماضيهم من غير امل بالفوز! والازدهار! المستقبلي!

جـ/5/2: كما وجه دريدا نقده المباشر للاطار الفلسفي الذي أطر النظام الدولي الجديد، فدريدا يسخر من مبررات فرنسيس فوكوياما في نهاية التاريخ وتنظيراته لذلك النظام ويعجب من سطوع نجم الكاتب والكتاب مثل هذه السرعة

---

(1) ايضاً ص 149.

(2) ايضاً ص 152.

(3) ايضاً ص 164 – 165 و 181.

(4) ايضاً ص 104 – 105.

(5) القي دريدا مجموعة محاضراته في الجامعة المذكورة يومي 22 و23 نيسان 1993 أطياف ماركس؛ ص 11 و266 – 276.

(6) إشارة إلى موريس بلانشو باريس 1957 جـ 1 ص73.

(7) غوترافاس: المآل الماركسي: قال فيها قولته الشهيرة والمؤلمة "وقفت على جانب المهزومين رواية طويلة أو حقل واسع!" راجع ترجمته بقلم شاكر نوري (قسم أضواء) من مجلة آفاق عربية ع 1-2 كانون ثاني – شباط 1996 ص 63-65 بعنوان خطر ثقافة السفن!

حتى بات (كالانجيل الجديد) الذي اثبت فشله جملة وتفصيلاً! مع انه جاء لمباركة التنظيرات الصهيونية، والذرائعية، التي تتحدث عن ارض الميعاد، والشعب المختار، والنهاية السعيدة! التي وعد بها الرب، (بني اسرائيل) ليكونوا سادة العالم، وقادة الحكومة العالمية! (الامم المتحدة ومجلس الامن).

د. واذا كانت البروفيسوره (مارتيا ستيفاننتس Pro, M. Stcpaniants) قد قرأت (واقع الفلسفة) مقارناً بين عهدين (الشيوعي والليبرالي الروسي)[1] فوجدت (هبوطاً) في المستوى والتوجه، وهي شهادة من داخل المركز الروسي! يؤشر ظواهر الهبوط، فان المصير السلبي الذي انتهى اليه واقع الفكر او السياسة، ومسيرة الحضارة الغربية الذي لم تحل ظروف الحياة (في القرية العالمية) دون انعكاسه على وعينا ومجتمعنا وهو امر لابد من الاعتراف به ذلك هو منطق المصير الذي فرض حضوره على الحضارة المعاصرة فكراً ومدنية فماذا ننتظر منها؟

(1) Pro: Mr. Stepaniants: Philosophy In Former Soviet Union, Perspective Far The Future (Amman 1995, P.P. 3-25)

خلاصة القول

بعد هذه السياحة في (مصادر) الفكر الغربي والحضارة الغربية، ونحن نفتش عن معنى (المصير) الذي تحدث عنه اصحاب المنظور الحيوي للحضارة ابتداءاً من اشبنجلر ووصولاً الى غارودي، على ما بين المفكرين من اختلاف في المنهج والرؤية الفلسفية، من تشاؤم او تفاؤل! وعلاقة (عضوية) او (جدلية) فان حقيقة ما انتهى اليه مسير هذه الحضارة في نهاية القرن العشرين وانفصال (المدنية الغربية) عن اطارها الاخلاقي الحضاري، كشف عن حقيقة مرة حاول البعض ان يتغافل عنها او يسكت عليها تحت شتى الذرائع، من غير ان يعلم ان السكوت على (الحقيقة المرة) حقيقة السقوط هو اكثر مرارة من واقع السقوط نفسه فكيف ستستقبل الانسانية الالف الثالث للميلاد بمدنية (متفجرة) من داخلها، تحمل في طياتها جميع اسباب التشظي والاذى والفناء والارهاب؟.

حاول المؤلف ان يفحص موضوعة (المصير) عبر شهادات متنوعة منحازة للغرب او محايدة! ليخرج بعد ذلك بخلاصة عن ضرورة وعي الدعوة التي اطلقها (غارودي) او (دريدا) لمواجهة مخاطر ذلك السقوط! فالازمة الحضارية الغربية، تجعل زعيمة الرأسمالية (امريكا) مثل ثور هائج يحطم كل من يقف في طريقه، فكيف السبيل الى تجنب (جنونه) وما هي الوسائل التي تحفظ لمسيرة الانسانية مبرراتها الحضارية (الاخلاقية) والاجتماعية التي تحفظ انسانية الانسان؟ اسئلة جاهد ابناء العراق ويجاهدون كل يوم من اجل توكيدها وهم يتحملون وطأة (ذلك المصير الغربي) بصبر وشجاعة! ليكونوا انموذجاً للانسانية في تعديل المسار المنحرف! وهي تدخل القرن الحادي والعشرين!

الفصل الثاني

العرب والغرب
رأي فلسفي في الغربة والاغتراب

المقدمة

قيل وكتب الكثير عـن (الغربـة والاغـتراب) والغريـب والغـارب والمغـترب والمفلـوك؛ في الفكرين، العربي والغربي، حتى تداخلت المفاهيم واختلط المعنى السلبي بالايجـابي، والمؤقـت بالدائم، والاضطراري مع الاختياري، وبات (الاغتراب) علة مـن علـل، الانسـانية، اولاً، وشـبابنا العربي ثانياً، بعد ان مر علينا في الستينات موضة من موضـات (الحداثـة) الغربيـة، الشـاهدة عـلى تفاعـل الـبعض، مـع الوجوديـة – بعـد الماركسـية – وصـولاً الى اللامنتميـة والعبثيـة، والتفكيكية! مثلما هو شر ط (الجنون في البنيوية)! واسهاماً من المؤلف، في الوقوف عند هذه (الاشكالية) جاء هذا الفصل في هذا الكتاب، والفصـل الـذي يليـه، منطلقـاً فـيهما مـن اسـئلة عديدة، ترد على الخاطر وتمتحن الـذخيرة المعرفيـة، باحثـة عـن المعنـى الـذي تسـتقر عنـده (الغربة). فمن هو الغريب بين النساء والرجال – في دنيا الـلـه الواسعة - ومن هـو المغـترب؟ هل هو تعبير عن، او انعكاس، لشعور داخلي (سايكولوجي) ام هو فعل من الافعال، او ردود الافعال، على افعال؛ اهو احساس ذاتي؛ وحسب، ام مؤثر موضوعي؛ ام كلا المعنيين؟

هل يقال (المغترب) – المهاجر – ام يقال على المرء غـير المنسـجم مـع الجماعـة؟ ام غـير المألوف بين الاقران، وغير المتكيف مع المجتمـع؟ ام تقـال عـلى المنعـزل (غـير الاجتماعـي) ام تقال على غير السوي، ام المريض نفسياً، ام تقال على المجنون! بحسب مقاسـات المجتمـع، ام العصر، ام العرف؟ وهل يصح القول: ان المرض اغتراب عن الصحة؛ والفقر اغتراب عن الـثروة؛ فيصبح عندئذ، الفقير، غريباً بينَ الاغنيـاء والمـريض غريبـاً بـينَ الاصـحاء، والاسـوياء؛ والعكـس بالعكس؟ ام يقال؛ غريباً ومغترباً على الرافض، والمخالف ايديولوجياً، ام يقال على الـذي يـرى غير الذي يراه الاخر، ام يقال على السابق لزمانه؛ وناسه، والمتفـوق عـلى اقرانـه؟ وغـير ذلـك! كثيرة هي الاسئلة التي ينطوي عليها مبحث الاغتراب؛ بعضها يقترب من اشكالية عامة شـاملة قد تجدها لدى الشعوب والعصور والانظمـة – بنسـب متفاوتـة؛ وبعضـها مرهـون بظروفـه، وملابساته ودولته ومجتمعه، وقـد يـأتي بعضـها ايجابيـاً نافيـاً (للتصـور السـلبي) او (الظـرف السلبي) او (القرار السلبي) متفوقاً عليه، متجاوزاً لـه، وقـد يكـون النقـيض! معيقـاً، يصـحبه تعصب وحقد، وتطرف وغلواء

وتنافس غير شريف، يعتمد منطق المغالطة مما يقطع صلة (الموقف) المغترب؛ بملابساته الاخلاقية، والعقيدية والاجتماعية والنفسية جملة وتفصيلاً!

قد يأتي الاغتراب، نتيجة احساس ذاتي داخلي عضوي، العلة؛ او هو مجرد وهم يراود خيال المرء الذي يعيش وطأته بما يفوق طاقة تحمله، على الرغم من مكوناته اللاشعورية! واللافت للنظر ان بعض مظاهر الاغتراب، قد تندرج تحت عنوانها السببي (العلي) بحسب مقتضيات العلوم او بحسب تداعيات الموقف! او الواقع او الحال!

وربما تجاوز الاغتراب، والشعور بالغربة، اليات السببية العلمية، الى حيث اجتماع (الصدف) او افتراقها؛ لتحكم على المرء بالغربة، عما هو عليه او فيه، ومع ذلك قد تتكشف لنا الحقيقة بوضوح قائلة لنا: ان المغترب مخلوق لم يحسن توقيت قراراته، فقد يقفز – مثلاً – من عربة القطار قبل ان يتوقف! او يتشبث بالعربة الاخيرة من قطار الهزيع الاخير من الليل، المندفع بسرعة كبيرة، فيسقط! او تتقطع منه الانفاس قبل ان يضع قدمه على دكة الصعود! خشية ان يفوته القطار الاخير، او بسبب ضبابية الظرف او سوء الطالع هكذا يظن البعض، وتحت تأثير هذا الظن يتعقد (الموقف) الى حين يكتشف المغترب، اللغة المشتركة بين عوالمه الثلاثة؛(لا عوالم كارل بوبر المتعلقة (بالذات، والعالم وفكرتنا عنه)، بل (عالم الجماعة) لضمان حسن الخطاب، و(عالم الطبيعة) لضبط توقيت القرار، و(عالم السياسة) لاجادة لغة (السوق) وظروف اللعبة!

عندها ندرك ان (الاغتراب) احد مظاهر الحياة الانسانية رافق البشر منذ اقدم العصور والدهور، وسيبقى هكذا الى ما شاء اللـه! او قل: الى ان يغادر الانسان (غربته) في هذه الدنيا! عله يحقق هناك، توافقه مع عوالمه الثلاثة، بعد ان فشل في دنياه! وهو ذات الموقف الذي ربط فيه سقراط بين عبارة راعية معبد دلفي وهي تصفه (بالاحكم بين الاثنين)! وبين حكم قضاة اثينا باعدام سقراط اذا هي لحظة الاحساس (بالاغتراب الكامل) لهذا المفكر! كما هو احساس ماركس بغربة (العمال) بعد ثلاثة وعشرين قرناً من اعدام سقراط، فراح يفتش عن (محطة) للغرباء، في الحقبة الاخيرة، من حقب التاريخ الخمس، المدفوع، بمنطق الحتمية الطبقية، والتاريخية والتراكم الهائل للانتاج؛ الذي يصب في خزائن الرأسماليين؛ فوقف يتأمل

(المآل) الاخير الذي ينتشل فيه الغرباء (العمال) من غربتهم المادية! ليكونوا؛ من كل حسب انتاجه، وطاقته، الى كل (حسب حاجته!) وذلك امر بعيد المنال الا اذا وجد هؤلاء العمال في ظل (مناخ) يتجاوزون فيه كل شيء، وفي وضع لا يحتاج فيه اى (قومية) او (دين) او (وطن) او (سلطة) او (دولة) او (رقيب!) بفضل (انتفاء الصراع). ولما كان كل شيء متاح للجميع ومشاع! فليس هناك من حاجة (للنقود) او (البنوك) او (البورصات) مادامت السلع والخدمات، وكل ما يحتاجه الانسان متوفر! وتحت اليد في عالم السعادة الخيالي هذا!ومثلما هو (عالم دلمون) والجزر السعيدة في التراث الانساني الشرقي والغربي؛ هكذا يكون عالم (اليوتوبيا)، مثل (مجتمع الملائكة!) الذي يهرب اليه كل من يشعر بغربته عن واقعه المرير! فهل الامر بمثل هذه الكيفية، ام ثمة في (الاغتراب) علة اخرى؟ سؤال حاولنا الاجابة عنه، في بحث (شقيق لهذا) سبق وفقد في مدراج احدى وسائل النشر ببغداد! منذ عامين! بعنوان (الاغتراب في الفكر العربي المعاصر)! وشقيق ثالث اضفناه هنا يحمل عنوان "الدلجي من الفلاكة الى الاغتراب" [شهاب الدين احمد بن علي الدلجي (835هـ / 1431م) وقيل 838هـ / 1435م. اما هذا الفصل فوقفنا فيه عند (المصطلح وتطوره) في التراثين العربي والغربي، وصولاً به الى (اغتراب العرب ام عرب الاغتراب) في ظل العولمة وما قبلها! وما بعدها! ونحن نجوس تخوم الالف الثالث للميلاد، هذه هي سكة الدراسة ومنهجها التاريخي الذي قد لا نجد فيها جديد! الا في طريقة التناول، وصلب المحاولة! مادامت (المادة الاولية) واحدة ومشتركة للجميع والاختلاف في طرق البحث ومنهج الدراسة، الذي به يحكم على جدية الدراسة او سذاجتها! نظرنا فيها بشمول، تراثي ومعاصر، الى واحدة من اخطر اشكاليات الانسان، وهو يعيش غربته عن عصره! فعسانا نوفق في اضافة حرف جديد الى ابجدية المعرفة الانسانية (النفسية والعلمية والفلسفية) على الصعيدين العالمي والعربي .. ومن الله التوفيق والسداد.

أولاً:

في المصطلح وتطوره في الفكرين العربي والغربي:

الاغتراب – مثل جميع المفردات – مصطلح، نما وتطور عبر زمن طويل، الى ان استقر على قاعدة اصطلاحية احتوت المضمون المتطور عبر التاريخ فبماذا تخبرنا المصادر عبر اوليات (الاغتراب):؟

1. الاغتراب وتطوره في التراث العربي من (اللغة) الىالمفهوم الاصطلاحي:

لما كان التراث العربي، يمتد الى زمن سحيق يسبق الاسلام[1] بقرون؛ لابد من تتبع النشـأة وتطور مفهوم (الاغتراب)منذ التاريخ القديم الى عصوره المتأخرة:-

أ. على الرغم من فاعلية الانجاز البشري في الوديان العظيمة للوطن العربي، قبل خمسة الاف سنة؛ فان الوثائق المكتشفة عن هذه الحقب، لم تكشف عن (خيبة امل) الانسـان الا في الالف السابق على ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) حين كشفت (حواريـة السـيد والعبـد)[2] عـن ظرف سلبي نشأ بسبب اضطراب سياسي ظهر خلاله [اتجاه فكـري مشـكك ومتشـائم] نحـى فيه اصحابه، منحى تبريرياً (هروبيـاً) لمواقـف الانسـان المتناقضـة، المعـبرة عـن حيـاة القلـق، واللامبالاة، بسبب الشعور بغربة الانسان وظنه بلا جدوى القيم السائدة وعـدم الوثـوق بهـا، حتى بدت معها حجج الفريقين المتناقضين، متكافئة وبذات القـوة، لا سـيما في القضـايا التـي تدور حول (الخير والشر) فهما عند المغتربين (سيان) بسبب ضبابية الحياة، ولا جـدواها! مـما يقود الى القـول "لـيس في الحيـاة مـا هـو حقـاً خيرالكـل باطـل " مـما يلغـي فضـيلة (الـذكر الحسن)[3] التي ارسى دعائمها جلجامش منذ القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد لقد

---

(1) يراجع ذلك مفصلاً في كتابينا: فلسفة التـاريخ في الفكـر العـربي (ق/1) بغـداد 1993 ص 12-91 والعـرب بـين منطقي الحوار والصراع بغداد 1996 ص 18-128.

(2) عالجناه في دراستنا الموسومة: الوعي الحضاري في العراق بين الأمـس واليـوم مجلـة بـين النهـرين عـدد خـاص (اليوبيل الفضي) ع97-100 بغداد 1997 ص 55 فقرة أ/6. وهو توسيع لما أوردناه في الباب الأول مـن كتابنـا الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان بغداد 1985، ص7-109.

(3) مجهول: ملحمة جلجامش ترجمة وتحقيق طه باقر ط4 بغداد 1980 ص 73-240، وقارنه مع ترجمة د. عبـد الغفار مكاوي عن الألمانية ومراجعة د. عوني عبد الرؤوف عن الأكدية – دار أبولو ط2 القاهرة 1997 ص 64 – 221.

كان لسان حال السيد والعبد يردد لا احد يذكرنا في المستقبل، "ولا علـم لنـا بمـن فعـل الخير ومن فعل الشر من الاقدمين، فهم منسي في مدن منسية"، ويعجز اصحاب هـذا الاتجـاه لفرط غربتهم من الاجابة عن سؤال: "ما هو الخير؟" حتى ظـن العبـد ان الخـير لا يتحقـق الا بسقوطهما هو وسيده في النهر ليضعا حداً لحالة الضـياع هـذه! لكـن السـيد كعادتـه في كـل زمان ومكان، يرفض هذه النتيجة، لظنه بلا جدوى الاشـياء المحيطـة بـه، ومحدوديـة قـدرات الانسان مما يصبح من العبث على الانسان ان يبحث عـن الخـير المطلـق او اليقـين؛ لصـعوبة تحققهما، ولم يبق امامـه غـير الاستسـلام والكـف مـن البحـث عـن الحقيقـة ورفـض التقصي المعرفي، والقبول بالهروب! لكنه الهروب محكوم بوجود العبـد! والا تحولـت حيـاة السـيد الى جحيم لا يطاق! وهذا هو السؤال الاخير الذي يرد به العبد على سيده حين يطلب منه الاخير، ان يرمي هو وحده بنفسه الى الماء! قـائلاً "وهـل تسـتطيع العـيش مـن غـيري!"[1]؟ فسـعادة السيد تأتي من خدمة العبد له وتحقيق رغباته! وفي القرن السابع قبل الميلاد، جـاءت (حكمـة احيقار)[2] شهادة مفكر عاش حالة الاغتراب، والغربة، والالم، بسبب خيانة ابـن اختـه (نـادن) المثل السيئ لكل (ولد عـاق) دفعـه طمعـه الى التزويـر لالحـاق الاذى بخالـه طمعـاً بمنصـب حامل اختام الملك الاشوري وكاتم اسراره! فكانت خاتمـة محنـة (احيقـار).. التـي لم تعـالج الا بعد تكشف الحقائق وتعرض دولة اشور لخطر (الاستعباد)! التي جعلت قائد الجيش، يكافح من اجل (حياة) هذا الفيلسوف! الذي وضع في (جب) تحت الارض طوال سنين! الى ان امـيط اللثام عن المؤامرة وتكشفت خيوطها..، وعادت الحرية للمفكر ومعهـا عـادت الهيبـة لاشـور! بفضل حكمة هذا الفيلسوف!. وطوال القرون الممتدة من 539 ق.م (سـقوط بابـل) الى حـين ظهور الدعوة الاسلامية في جزيرة العرب! وقيام دولته عاش الناس حقبة (اغتراب) عن دورهم الحضاري بسبب هيمنة الفرس، والبيزنطينيين، على ربوع الوطن العـربي شرقـاً وشـمالاً حـاول معها (القديس

(1) كتابنا الحوار الفلسفي، ص 68.

راجع أصل النص موزعاً على عدد من المراجع منها:

- جاكوبسن: ما قبل الفلسفة ت/ جبرا إبراهيم جبرا، بيروت 1960 ص 258 – 259.
- وريتشارد جيمس: اساطير بابلية ت/سليمان التكريتي ص 51 و 122-127.

(2) الأشوري، احيقار: حكمة احيقار: تحقيق ونشر المطران. غريفوريوس بهنـام بـولس بغـداد 1976 ص 109 ومـا تلاها.

اوغسطين) ان يتشبث بمدينة اللـه هرباً مـن مدينـة الشـيطان! وان كانـت ابـرز دلالـة للاغتراب عند العراقيين القدماء تتمثل بالقول: (بغروب الروح)[*] حـين يمـوت الانسـان! فعـالم الاموات يبدأ بالغروب وينتهي بالغربة!

ب. وحين جاء الاسلام: اخرج الانسان من غربة (الجاهلية) ووطأة (الخطيئة) التي تركته (اليهودية) غريباً بسببها على هذه الارض! لولا تضحية السيد المسيح (عليه السلام) وتخليص الانسانية وتحريرها من غربتها عن وطأة هذه الفكرة الثقيلة وتشبثه بمدينة اللـه! نعم جاء الاسلام ليجعل الانسان (خليفة اللـه) في ارضه، بعد ان اسقط عنه فكرة الشعور بالاغتراب (لادم وحواء) لخطيئتهما "فلا تزر وازرة وزر اخرى" فكانت الارض دار استخلاف وليس عقوبة للانسان. وقاعدة انطلاق به نحو حياة سعيدة! شرط ان يختار النهج الذي يفضي به الى تلك السعادة! لذلك لم نجد في القرآن الكريم، نغمة حزينة تشكو غربة الانسان من جراء الخطيئة واثارها النفسية والعقيدية عليه! مادام ابن ادم قد اكتسب حرية الفعل، وغادر منطق (الجبرية)، وحسم الى الابد واقع (الشرك) الذي كان في البيت! كناية عن اغتراب الموحدين في مركز التوحيد[1] الابراهيمي! فعادت العقيدة بالاسلام الى استقامة دين ابراهيم! الخليل (عليه السلام) وحررته من (الاغتراب العقيدي = الشرك).

واذا ما اردنا التفتيش عن جذر (لفكرة الاغتراب) من الناحية اللغوية، فلا نعثر الا على اشارات تتحدث عن الشمس التي (غربت، او تغرب) او الغروب، وغروبها، والمغرب، والمغربين، والمغارب، والغربي، وغربية، من حيث دلالة الجهة! باستثناء واحد يتحدث عن (الغرابة) و(المخالفة) الماثلة في (الغربيب الاسود) في كتلة من الحجر الابيض، او الغراب! بعده مثال (التمرد) و(المفارقة) او قل (علامة الشؤم)[2] عند العرب!، اما بعد استقرار الفكرة والدولة، فلقد تحدث العرب عن تصورهم لكلمة الغربة والاغتراب كل حسب مرحلته التاريخية.

(*) عالجت اطروحة زهرة محمود الموسومة (خلود الروح في الفكر الرافدي – بغداد.

(1) عالجنا ذلك فلسفياً في كتابنا: الحوار الفلسفي ص 79 – 92.

(2) المعجم المفهرس في ألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي القاهرة 1944 ص 496 – 497 (غ ر ب).

ب/1: لخص لنا الخليل الفراهيدي (ت 175 هـ/ 791م) مقتربات المصطلح، لغة، ومضموناً كما استقرت في القرن الهجري الثاني/ الثامن الميلادي قائلاً: في باب (غ ر ب) "الغرب: التمادي؛ وهو اللجاجة في الشيء" وقيل "استغرب الرجل: اذا لج في الضحك خاصة". و"الغرب": ما يقطر من الدلاء عند البئر من الماء فيتغير لونه او طعمه، او رائحته لاسباب فيزيقية: كما اطلق (العرب) على الطافح من (ماء الحوض) = المتسرب! من حافاته؛ فقالوا "اغرب الحوض؛ اذا فاض" و"الغرب"[(1)]: خراج يخرج من موقع معين. اما (الغربة) فيقول الفراهيدي عنها هي "الاغتراب عن الوطن" وقيل "غرب فلان عنا، يغرب غرباً أي تنحى، او بعد؛ واغربته وغربته: نحيته او (طردته!)، والغربة: النوى البعيد، يقال: شقت بهم غربة النوى، واغرب القوم: نأوا (بعدوا) وغاية مغربة: أي بعيدة الشأو". ويقال – في اللغة – الغريب "على الغامض من الكلام، والشعرة" فالشعرة الغريبة تقال على الشعرة "التي لم تكن من قبل في الرأس"[(2)] فهي الشاذة او الدخيلة!.

كما ما قالت العرب "رجل الغراب: على الشخص الذي لا يحل وثاقه، من شدة الصر" كناية عن الذي يعيش حالة ضيق وشدة" يقول الفراهيدي "اذا اشتد على الرجل الامر وضاق عليه قيل: صر عليه رجل الغراب، أي انعقد عليه الامر كانعقاد رجل الغراب" مما يتطلب (حضور) من يحل الوثاق! ونفرج به عن كربه ويطلق له حريته! اما الغربيب، فهو الاسود من الحجر الذي نوه به القرآن الكريم في محيط من البياض! كما قالوا: وسهم غرب، أي طائش"[(3)] بمعنى لا يعرف راميه!.

والملاحظ في اشارات الفراهيدي اللغوية، تأسيسات للمعاني اللاحقة للاغتراب، اون لم يرتق بعد الى صلب منطويات المصطلح المعاصر، لكن الحديث عن (التمادي، واللجاجة والتطرف والبعد والنوى والمتسرب من الماء والطافح منه والمتغير في لونه او طعمه او رائحته! والتنحية والعزلة والابتعاد، والغموض

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي بغداد 1982 (جـ/4) ص 409 – 410.

(2) أيضاً 411/4.

(3) أيضاً 412/4.

والغرابة، والشذوذ وغير المألوف، او المقيد الذي ينتظر الفرج!) كلها قواسم مشتركة لكل خروج على المألوف او المعاش او القائم! الى جانب مفارقة للوطن! والابتعاد عن الاهل!

ب/2: وبعد خمسة قرون على زمن الفراهيدي كانت (الغربة) عند (ابن عربي) (محمد بن علي الحاتمي ت 638 هـ/ 1241م) "تصطف بازاء مفارقة الوطن في طلب المقصود".وتقال "الغربة في الاغتراب عن الحال من النفوذ اليه" التي هي خاصية المتصوفة، "والغربة عن الحق، غربة من المعرفة من الدهش"[(1)]

ب/3: ونقل لنا الدلجي، مار الذكر عن ياقوت الحموي (ت 626 هـ/ 1228م) برواية جمال الدين القفطي انه كتب (ياقوت) له من الموصل رسالة اكمل فيها ما بدأه بخراسان، حين اغترب باحثاً عن المكسب قائلاً: "كان المملوك لما فارق مولاه، اراد استعتاب الدهر الجامع، واستدرار حلب الزمان الجامح، اغتراراً، بان الحركة بركة، والاغتراب داعية اكتساب، فامتطى غارب الامل الى الغربة، وركب ركوب التطواف مع كل صحبة، فلم يرث له دهره الخؤون، ولا رق له زمانه المفتون" ويكمل ياقوت قائلاً: "ولم ازل مع الدهر في تفنيد وعتاب، حتى رضيت من الغنيمة بالاياب[(2)]" والعودة من ديار التنقل والغربة!

ب/4: وقال الرازي (محمد بن ابي بكرت 666هـ / 1267م) في باب (غ ر ب) "الغربة والاغتراب تغرب وغرب، بمعنى غريب، وغرب: الغرباء، والاباعد، ويقال: اغترب فلان، اذا تزوج من غير الاقارب، تيمناً بالحديث النبوي الشريف: اغتربوا ولا تضووا"[(3)]. وبالعودة الى باب (ض و ى) في الصحاح بدأ الحديث المذكور هكذا: "اغتربوا لا تضووا: أي تزوجوا في الاجنبيات.. ولا تتزوجوا في العمومة، وذلك ان العرب تزعم ان ولد الرجل من قرابته يجيء ضاوياً (هزيلاً) نحيفاً غير انه يجيء كريماً على طبع قومه"[(4)]. اما "التغريب" فهو

---

(1) ابن عربي: محمد بن علي الحاتمي: رسالة في بيان اصطلاحات الصوفية، في الفتوحات المكية، منشورة في ذيل التعريفات للجرجاني طبعة القاهرة 1938 ص 240.

(2) الدلجي، احمد بن علي: الفلاكة والملفوكون مطبعة الأداب / النجف 1385 هـ / 1965 ص 22.

(3) الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح دار الكب العربي بيروت 1981 ص 470 باب (غ ر ب).

(4) الرازي: المصدر السابق ص 385 باب (ض و ي).

"النفي عن البلد .. واغرب: جاء بشيء غريب او صار غريباً، او غرب عني: أي تباعد"[1].

بجميع المقاييس، الطبع، العلم، الخلق، العادة السلوك..الخ.

2. شهاب الدين علي بن احمد الدلجي: من الفلاكة الى الاغتراب في/ التراث العربي:

قليل من سمع بالدلجي من دارسي التراث والاقل منهم من عرف انه فيلسوف الاغتراب في الفكر العربي الاسلامي، وان سبقه الغرناطي في كتابه (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب)[2] لكن (فلاكة الدلجي)[3] كان اكثر اختصاصاً بمضمون المصطلح وادق بحثاً. ومهما يكن من ميلاد الدلجي في المشرق ام في قرية دلجة في صعيد مصر، فانه استقر بعد حين في القاهرة[4]، ليؤلف لنا، كتابه هذا، بهدف تأريخ الاغتراب في الفكر العربي[5] فكأنه يؤرخ لنا سيرورة الانسان ليلاً[6]، وكان محجماً عن الزواج ذا نزعة زهدية؛ تنقل بين فلسطين وبلاد الشام، زار دمشق، والقدس، وطرابلس، واستقر بدمشق ليشغل وظيفة التدريس في المدرسة الاتابكية عام 818هـ/ 1415م، نيابة عن كاتب السر كمال الدين بن البارزي[7]. وفي عودة له الى القاهرة توفي عام 838هـ/1435م ودفن فيها[8].

درس على القاضي نجم الدين بن الحجي، ثم فارقه على غير وفاق لامر يتعلق بملاحظات فكرية على الدلجي من شيخه، كما رافق القاضي شهاب الدين بن الكشك

---

(1) الرازي: أيضاً ص 47.

(2) لسان الدين بن الخطيب الغرناطي: نفاضة الجراب في علالة الإغتراب (ثلاثة أجزاء) طبع منها (الجـزء الثـاني) بتحقيق أحمد المختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، بدار الشؤون الثقافية، بغـداد ب ت. ص 28 – 286.

(3) أحمد بن علي الدلجي: الفلاكة والمفلوكون – ص 15 وما تلاه.

(4) عز الدين بن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب (جـ / 1) مكتبة المثنى بغداد . بت . ص 507.

(5) محمد بن علي الدمشقي (ابن طولون): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق أحمـد دهـمان دمشـق ب ت ص 117.

(6) محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح ص 209.

(7) أحمد عطية الـلـه؛ القاموس الإسلامي (جـ/2) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1966 ص 382.

(8) طارق هاشم خميس الدليمي: أحمد بـن عـلي الـدلجي واراؤه الفلسـفية والعمرانيـة في الفلاكـة والمفلوكـون، رسالة ماجستير من كلية آداب / بغداد 2000 ص 7.

الحنفي، والقاضي بهاء الدين بن الحجي، وافترق عنهم لمشاحنات، واختلافات تتعلق بشوائب سلوكية تزعج القضاة وحساسيتهم الدينية من الدلجي[1] ولميول صوفية فيه، ولي الدلجي نظارة (خانقاه خاتون) بعد وفاة (ابن السلاوي)، وان مجرد قبول الدلجي بهذه الوظيفة – كما كان شأن ابن خلدون في القاهرة – يعني صلته بالصوفية، فكراً، او سلوكياً، او هكذا اريد له، وتقلب من موقع الى اخر، الى ان توجه من دمشق الى القاهرة لتحصيل شهادة القاضي الحنبلي؛ لكنه توفي عاجلاً[2]. وكانت بلاد الشام ومصر انذاك تحت الحكم المملوكي الموحد. اما مؤلفاته، فلقد ترك الى جانب كتاب الفلاكة الذي درس اكاديمياً عام 2000 في جامعة بغداد من قبل طارق هاشم، كتب (فوائد كلامية، وتعليقات على شرح البخاري للكرماني، وخلاصة في القول فلان معلول) والجمع بين التوسط للاذرعي والخادم للزركشي)، ويذكر ابو الفضل الخطيب النويري؛ انه اشترى من تركة قاضي القضاة، بها الدين بن الحجي، اربعة مجلدات للدلجي، تكشف عن علمه وفضله وجهوده الفكرية[3]. من غير ان تخبرنا المصادر عن مصير هذه الكتب اليوم، باستثناء الفلاكة، وان حصل نوع من الخلط بين (شاب الدين احمد بن علي) ومؤلفات (شهاب الدين احمد بن محمد بن علي) المتوفى عام 815 هـ/ 1412م، في القدس؛ والمولود ايضاً في القاهرة عام 753هـ/1352م صاحب مؤلفات، الوسيلة وغاية السؤول والبيان في غريب القرآن، وملجأ الاضطراب ونزهة النظآر في صناعة الغبار (الرياضيات)[4]. هذه هي فقط المعلومات المقتضبة عن الدلجي فيلسوف الاغتراب في التراث العربي الاسلامي، خارج الحال الصوفية المعروفة عند غيره.

(1) ابن طولون: مصدر سابق ص 117-118.

(2) شمس الدين محمد السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (جـ/2) مكتبة القدسي القاهرة 1355 هـ ص 27.

(3) إسماعيل البغدادي: معجم المؤلفين وهداية العرافي، في أسماء المؤلفين والمصنفين (المجلد الأول) طهران 1947 ص 98.

(4) أسامة النقشبندي وظمياء محمد: مخطوطات الحساب والجبر في مكتبة المتحف العراقي بغداد 1980 ص 52 و 69 و 126 و 135 و 136 و 139 و 144.

1/2 فلسفة الدلجي العمرانية

كشفت مضامين كتاب الفلاكة، ان هذا المفكر، كان مثل كثير من مفكري الامة بعد سقوط بغداد – ميالاً للنقد، والتهكم؛ لكن الدلجي، اكثرهم حرصاً على كشف عيوب المجتمع والسلطة والناس والزمن، حتى تجلت لديه صورة (الغربة) – كنمط عيش للناس – من خلال، غربة المفكر، الذي يعد مرآة مجتمعه، والشاهد على عصره، على شكل لم تألفه كتابات الاخرين[1]. مع انه يعترف ان الانسان، في فطرته، نشأ مدنياً عمرانياً حضرياً، "لا يمكن ان يستقل بنفسه منفرداً عن الغير ... ولا قوام لاحواله الا بالتعاون حتى **في ايجاد رغيف الخبز"** فيقول لنا "**ولما كان الانسان مدني بالطبع، في احواله الكمالية والمصلحية،** فلا يمكن ان يستقل **بنفسه منفرداً عن الغير،** بحيث يستعين باحد اموره الكمالية والمصلحية،.. والوجدان والتجربة اصدق شاهد (في ذلك)، والمناسبة تصحح القياس والالحاق؛ **والمغاليق يلزمهم الافراد لزوماً"**[2]. ومعنى هذا ان الوضع الطبيعي للانسان يتجلى في عيشه ضمن الجماعة، لكن الظروف السلبية جعلته ينكمش، على نفسه، مع الصوفية في (ربطهم) و(خوانقهم = جمع حانقاه) – كنوابت ابن باجة – على صعوبة هذا النوع من الحياة لمشقة العيش، وحاجتنا بها الى التعاون، **فالعزلة والانغلاق** تمنع التعاون!مع ذلك يبقى الاجتماع الانساني عند (الحكيم) هو المدخل الصحيح للحياة الكريمة التي ينشدها (المفلوك) من غير ان يصل اليها بسبب (وضعه الفلكي) وغياب المناخ السياسي الملائم لهذه الحياة[3]. وفقدان ضوابط **العدالة**[4] وما عكسه، **الاحتكار** والاثراء غير المشروع على الواقع العمراني للمجتمع العربي وعلى العلوم والدول والحرف، حتى سبب تعدد اشكال الاستلاب الاجتماعي[5]. وغياب السلطة الوطنية القوية. فالدلجي – **بخلاف الاتجاه العمراني عند ابن خلدون وغيره** – ينطلق في **قراءة** التاريخ العربي، من **قضية العلماء والمفكرين فهم مرآة المرحلة! عليه احزنته حالة البؤس،** التي عاشها البؤساء **(والمفلوكين)** في المجتمع العربي/

(1) الدلجي، الفلاكة ص 82.
(2) أيضاً ص 29.
(3) أيضاً ص 32 – 35.
(4) أيضاً ص 56 – 72.
(5) أيضاً ص 75 – 81.

الاسلامي، منذ تسربت عوامل (الترف والرخاء الزائد) الى مواقع (السلطة والدولة واثرياء المجتمع) وتشاغل الحكام عن مسؤولياتهم تجاه الجمهور (المحكومين) وعن العدالة وحماية الحقوق! حتى تسلل الخلل **الى رأس المجتمع** وامتد الى بقية اطراف المجتمع (الجسد) ... ليؤذي، امارة القلم وثمرة العقول، لفرط ما عانى **(العلماء)** من ظروف **(الفلاكة)** او تشاغل الدولة عنهم ومجالسة الحاكم للسفهاء. الدلجي، وان رفض، ربط (**الفلاكة الاجتماعية) بالكواكب**، واحابيل التنجيم والمنجمين، بعقلية علمية، اعترف من جانب اخر بتأثير الكواكب، على الحياة البشرية والطبيعية **(فيزيائياً)** كما يظهر لنا في المحيط الجغرافي/ الاخلاقي[1].

ولم ينكر التأثير الفلكي – الطبيعي على التكوين الحيوي (والسايكولوجي) للناس بحسب مواقع بلدانهم وقربهم او بعدهم عن خط الاستواء. بادلة مستقرأة من الحياة[2]. ويسفه الدلجي الاراء القائلة بتأثير الكواكب على طوالع الناس او سعدهم او رزقهم او حيواتهم او موتهم، ولا على الحوادث السياسية والعمرانية قائلاً: **"ان البحث في ان النجوم تؤثر في جملة الحوادث السفلية من السعادة او الشقاوة والذكاء او البلادة، والمكر والنذالة، والشهامة، والشجاعة والجبن... فذلك .. مما لا برهان عليه ولا بخبر من لا يجوز الكذب عيه، ولا بضرورة العقل ولا بنظره، غايته حدس وتخمين وظنون كاذبة وتزويق وحيلة وخديعة"**[3]. تلك حقيقة يستشهد على تأكيدها بشهادات من فلاسفة الاسلام مثل الفارابي وابن اسينا، واعتراف ابو معشر الفلكي في كونه **تخميناً** معتذراً عن القائلين به هكذا: **"كل الاعراض الغائبة، توهم، لا يكون شيئاً منها يقيناً، انما يكون توهم اقوى من توهم"**[4]. وان السعود والنحوس لا تدور مع الافلاك دائماً[5]، **فلا طالع على سبيل اليقين في نكبة الوزير ابن مقلة، او او الكوارث التي قتلت خلقاً كثيراً لناس** مختلفين في الطوالع والبروج، **ويمثل الدلجي لاخطاء** المنجمين، بما قالوه **عن معركة صفين، وبناء بغداد، وخلود الحكم العباسي، وعدم موت الخليفة فيها، وفتح المعتصم لعمورية، وقتال**

(1) أيضاً ص 32 – 33.
(2) أيضاً ص 35.
(3) أيضاً ص 34.
(4) ايضاً ص 35.
(5) أيضاً ص 7.

القرامطة، وقصة الطوفان، وبناء القاهرة، وابدية الدولة الفاطمية، الى يوم الدين[1]، وبهذا اقصى الدلجي من قاموسه التفسيرات التي تقع خارج **العلية العلمية – الطبيعية –** لقناعته بتأثير **العامل** الجغرافي **على حياة الشعوب واخلاقها.** متوقفاً عند محنة جحفل من المفكرين، بعد مناقشة مستفيضة لمسألة **(حرية الفعل الانساني)** من غير فصلها عن العامل السياسي، الاهم بين مؤثرات الحياة العمرانية (الاجتماعية)، منطلقاً من القاعدة القائلة: "ان تغير الاحوال انما هو بتغيير الملوك. وتتجدد العوائد بحسب احوال الملوك"[2] ويبدو ان المنطلق الكلامي للدلجي (معتزلياً – اشعرياً) مركباً قال بتفاوت معنى (حرية الفعل الانساني) وتوتر علاقتهما بين (الخالق والمخلوق)، أي بين الطرفين (الاشعري – والعتزلي) للقدرة والارادة (القديمة – الحادثة) بحسب **(نية الانسان)**[3]، ذلك هو **الشرط العقيدي** لتحمل مسؤولية الفعل، والخروج به خارج المفهوم (الجبري) والحتمية المطلقة، وان كانت مسؤولية الفعل الحر المعتزلية اظهر من خلال شروطهم ومبادئهم[4]. كل ذلك عزز منطق الاستقراء والبحث الحر والتأمل والاجتهاد في الحياة[5]، مستشهداً بقول لابن سينا اورده في الشفاء ينص على: "ان "ان الانسان خلق فعالاً بالطبع"[6]. لقد عزا الدلجي اسباب الفلاكة الى **العامل السياسي**، فهو أُس كل تغيير في وضع الناس، ونشاطهم، فينشأ عن التوافق السعد والهناء، وفي المفارقة والاختلاف التعاسة والشقاء[7]. من هنا جاءت (فلاكة العرب) "مع انهم ملوك الناس على الحقيقة، وقادتهم وارباب السلطة الفكرية فيهم وملاذهم وموئل ثقتهم"[8] يشهد على ذلك صدر الاسلام ودولته وشرعته وكتابه المبين[9]، فربط الدلجي بهذا في تفسيره العمراني – مثل ابن خلدون – بين: **العلوم والصنائع** والدول قائلاً "**ان الحرف والدول لها**

(1) أيضاً ص 35 – 39.
(2) أيضاً ص 62.
(3) ايضاً ص 7-9.
(4) أيضاً ص 9-12.
(5) أيضاً ص 13-14.
(6) أيضاً ص 24.
(7) أيضاً ص 173.
(8) أيضاً ص 62.
(9) أيضاً ص 63-65.

شباب وهرم، ولها عمر طبيعي كاعمار الحيوانات، والامور المعنوية تتراجع وتتناقص عند التناهي كالامور الحسية"[1]. هكذا استقامت الدولة الاسلامية ... وحين تقدمت وتعاظم وتعاظم امرها غشي فيها (الترف) وتراجع **العلم بالشريعة،** وانفصلت الشعائر عن (**القيم الاخلاقية**) واضطربت المبادئ والقيم البدوية الاصيلة وتحولت سلطة (الدولة) من نبوة ورحمة وخلافة الى **ملك عضوض، فيه عتو وجبرية وفساد.** حدث جميع ذلك حين **استعجم الملك**، وجرى تخطي الحدود، وزوال احوال البداوة، من خوف الذمة وشدة الحياء والكرم (...) وحدثت الحوادث وكثرت الخوارج (التمرد) وانفصل المتغلبون عنها، حتى سقطت عام (656 هـ/ 1258م)، رافق جميع ذلك اغتراب السلطة ومفارقة (الخلافة) لارادة الناس، وتحولت الوظائف الدينية الى سبل للارتزاق.. فذهبت هيبة الحاكم واستشرى الفساد، فالناس على دين ملوكهم "والملوك اسواق يحمل اليها ما ينفق فيها"[2]، هكذا درس **الفلسفة** وتوافقها وتوافقها مع الشرع[3]. حلل الدلجي **الاخلاق** في اطارها التربوي والاجتماعي متوقفاً عند امراض المجتمع كالحقد والحسد والتملق والرياء[4]. اما **الاراء العمرانية** فجاءت معبرة عن العمران البشري بمنظوره الاجتماعي الحضاري ومكوناته العلمية. واوجه النشاط والمعاش غير الطبيعي[5] والطبيعي كالتجارة والفلاحة والصناعة[6].

وخص الدلجي (الحضارة) بمبحث مستقل ليتحدث عن علاقتها بالعلوم والعمران **والكمالات النفسانية والطاعات والعبادات.** وجميع ماله علاقة بالدولة وتطورها **والملك والعصبية** واهمية موقع الحاكم، وصلاحه وصلاح رعيته[7]. ثم يرسم لنا الدلجي منطقه العمراني هكذا:

---

(1) أيضاً ص 65.
(2) أيضاً ص 68.
(3) أيضاً ص 70-71.
(4) أيضاً ص 49-60.
(5) طارق هاشم: الدلجي ص 75- 93.
(6) أيضاً ص 96 – 100.
(7) الدلجي: الفلاكة ص 69.

1. الحاكم انسان **يتطلع الى المجد والسيادة** والتمكن يرتقي في خططه نحو العلى متدرجاً من مرتبة الى اخرى وهو **يكابد من العقبات والعوارض التي قد تحول دون تحقيق غاياته.**

2. صاحب الدولة المهابة يعرف من حضور (**العصبية**) **والتغلب والشوكة في تأديب العصاة والمعاندين، وفي تأليف القلوب، وتمهيد المسالك، والقيام بحقوق لا تحصى، وكثرة معاناة وشدائد، ومكابدة المكائد.."**.

3. يميز الدلجي بين (حاكم) **مكتسب** للحكم واخر (**يرثه**) فالمكتسب بان "حريص، والوارث متشاغل عن السلطة وواجباته، متباهياً بمجد آبائه"، فالحكم المكتسب محفوظ والحكم الموروث مهدور! بسبب تنافر الناس في الحكم الموروث واختلال المعادلة بين الاغنياء والفقراء حتى يسود "**التباغض والتحامق والتحاسد** والتنافس والصراع والانفراد بالمجد" فيضعف الجميع، وتتدنى ادوار الرجال المبدعين، مما يؤول **الى استبداد** والاخير **سر الانحطاط** لاهماله **القانون العمراني القائل "الوقت سيف والحكم للوقت، وسياسة الدولة تقتضي تقديم من في تقديمه نظامه وابهته"**[1]. وان تغير الاحوال مرهون بتغير الملوك وتجدد العوائد الاقتصادية، هكذا يلخص لنا الدلجي منظوره العمراني في الفلاكة[2].

2/2 شهاب الدين الدلجي فيلسوف الاغتراب

وبعد الهزات الكبرى التي عصفت بالدولة الاسلامية في المشرق (بغداد) او المغرب (الاندلس) وجدنا الدلجي، يؤلف عن الاغتراب والمغتربين، والغربة والمغترب، كتاباً يحمل اسم (الفلاكة) مستفيداً من التراث العربي اللغوي الذي يكاد يجتمع على القول بان "المفلوك: الرجل غير المحظوظ المهمل من الناس"[3] ويوزعه على اغترابين او كما يسميها: (فلاكة مالية = = اقتصادية) و(فلاكة حالية = اجتماعية معرفية، علمية.. سياسية.. الخ) فهو يستشهد باقوال المغتربين، مستحضراً

---

(1) أيضاً ص 74 – 82.

(2) علي حسين الجابري: فلسفة التاريخ في الفكر العربي ق / 1 بغداد 1993 ص 204-208.

(3) الدلجي، الفلاكة ص6.

اللغتين (الرافضة) والداعية، الناكرة له، والقائلة به، كل حسب ظرفها ومبرراتها وحيثياتها! فالدلجي يذم الاغتراب[1] عن الوطن في الظروف الايجابية قائلاً" قالو:

اغترب عن بلاد كنت تألفها ان ضاق رزق تجد في الارض مقترحا

قلت: انظروا الريق في الافواه مختزن فإن بان عنها صار مطرحاً

(بصاق) وينقل لصالح بن عبد القدوس (قتيل المهدي العباسي) قوله:

لا الفيتك ثاوياً في غربة ان الغريب بكل نبل يرشق

ما الناس الا عاملان، فعامل قد مات من عطش واخر يغرق"[2]

اما حين يتعلق الامر بكرامة الانسان، ويتنكر له السلطان! فيستحضر الدلجي، نصاً يحث على الرحيل عن ظروف المهانة والاذلال، داخل الوطن، وغياب الكيان الذي يحمي الكرامة، قائلاً:

قوض ركابك عـن ارض تهان بها وجانـب الـذل ان الـذل يجـتنـب

وارحل اذا كان في الاوطان منقصة فالمندل الرطب في اوطانه حطب"[3].

وتتصاعد نغمة الشعور بالاحباط، حين تشتد بالمفكر المصائب، وتحاصره الغربة في كل مكان وحين، فيطلق صرخته على لسان الشاعر المغترب قائلاً:

الا مـوت يـباع فاشـتريـه فهـذا العيـش مـا لا خيـر فيـه

الا مـوت لذيـذ الطـعم يـأتـي يخلصني من الموت (العيش) الكريه

اذا ابـصرت قـبراً مـن بـعيـد وددت لـو اننـي فيمـا يليـه[4]

---

(1) أيضاً ص 178.
(2) أيضاً ص 171- 172.
(3) أيضاً ص 175.
(4) أيضاً ص 177.

ثم يميل الى اغتراب العلم والعلماء وتجنب الجهلة وشرورهم قائلاً:

ما تطعمت لذة العيـش حتـى صرت للبيت والكتاب جليساً

أي شـيء اعز عندي من العلم فما ابتغـي سـواه انيسـاً

انما الذل فـي مخالطة النـاس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً[1].

ويعلل العالم المغترب، حقيقة اغترابه بوضوح قائلاً:

شغلنا بكسب العلم عن مكسب الغنى كما شغلوا عـن مكسب العلم بالوفر

فصار لهم حظ من الجهل والغنـى وصار لنـا حـظ من العلم والفقر[2]

ان من يتأمل نصوص الدلجي (الكثيرة) – وهو يلخص فيها – اراء السلف واقوالهم عن الاغتراب وحالات (الفلاكة) يقف على مستويات مختلفة للاغتراب، فيحلل الغربة، وينتقد الاراء التي قيلت في تعليلها، لكن اللازمة التي يجد الدلجي نفسه فيها وهو يؤرخ للمفلوكين! (المغتربين) ومستويات الاغتراب، نراها تدور حول ثيمة مركزية تقول بوطأة الظروف السلبية وتقلبات الظروف السياسية، على الرجال حتى يصعب معها على الانسان ان يحقق الشروط الدنيا للكرامة، مما يدفع به الى الاستنجاد بالحاكم (اذا كان منصفاً) او (الهرب) الى دنيا اللـه الواسعة على القاعدة القرانية القاتلة: "واسعوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور"[3] فالامر هكذا عنده، ذات قانطة وظروف خانقة، وحال مشوشة وكرامة مهدورة؛ وحياة (غريبة)، تلك هي المحنة التي يجتمع على حلها (الفرد والجماعة والسلطة) والا، فينتج عنها انماط من الاغتراب السلبي، او الايجابي، الذاتي او الموضوعي! وهي تتوزع على درجات تبدأ مع المنكودين وقليلي الحظ، حتى تصل الى الامراء والملوك والخلفاء، الذين يقع كل منهم وتميل به الدنيا فيكون مصرعه بعد صعوده! فيجد الناس بانتظاره! فالناس بطبعهم اخوة لاخي الدنيا، وسيف على الذي تميل به وتدور عليه! والمحزن في كل ذلك، ان الدلجي خرج من الشواهد التراثية، التي

(1) أيضاً ص 169.
(2) أيضاً ص 170.
(3) سورة الملك 15/67.

اعتمدها، بتصور سلبي متشائم يقول: ان معظم العلماء، والحكماء، والادباء، وكل من رغب عن الدنيا، واعتزل الناس هم (من المغتربين والمفلوكين) وبينهم الثائر على مجتمعه بالصمت او العزلة على القاعدة القائلة: اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب!.

ولنا ان نختار للقاريء الكريم بعض النماذج التي ارخ بها الدلجي لحقيقة الاغتراب على سبيل المثال لا الحصر:-

جـ/1: ينقل عن ابي الحرائر الواسطي قوله:

دع الناس طراً واصرف الود عنهم ... اذا كنـت فـي اخلاقهم لا تسامح

فشيئان معدومان في الارض؟ درهم ... حلال، وخل في الحقيقة ناصح"[1]

كناية عن ازمة المال والاصدقاء! وسوء العلاقات الاجتماعية والانحطاط.

جـ/2: اما عبد اللـه بن صارة الشنتريني الاندلسي: فيؤرخ لاغتراب الكتاب والوراقين! وهم وسيلة انتشار الثقافة والفكر وعلامة التقدم قائلاً:

اما الوراقة فهي انكر حرفة ... اوراقـها وثمـارها الحرمـان

شبهت صاحبها بحالة ابـرة ... تكسو العراة وجسمها عريان"[2]

جـ/3: واعتذر القاضي عبد الوهاب البغدادي (ت 422 هـ/1030م) عن حال غربته قائلاً:

سلام على بغداد في كل موطن ... وحق لها مني السلام مضاعـف

فو اللـه ما فارقتـها كـلف بهـا ... واني بشطي جانبـيها لعـارف

ولكنها ضـاقت علـي باسرها ... ولم تكن الارزاق فـيها تساعف

وكـانت كخلٍ كنت اهوى دنوه ... واخلاقه تنأى به وتخـالف[3]

---

(1) الدلجي: مصدر سابق ص 81.

(2) أيضاً ص 90.

(3) أيضاً ص 86.

هذا غيض من فيض يكشف لنا ان (المفلوك = المغترب) عند الدلجي، مصطلح لا يقال على المنكوب فحسب، او على الغريب! بعد ان رفض ربط الاغتراب بمبررات (جبرية) بل باسباب مختلفة من بينها ما يكشف عن سوء العشرة او الاحساس بالقهر، او الاكراه في الحياة، او الحقد على ما في ايدي الناس، والحسد والطعن والتبرم، او العزلة! والسفر والهروب عن الوطن، او التنقل بين البلدان[1] ولما كان العامل السياسي ذا دخل في الكثير من حالات الاغتراب، تمنى المغترب الناقم "تغير الدول والحكام"[2].

وقف الدلجي عند عشرات (المفلوكين، الذين تعست بهم الحال وانقلب عليهم المآل وعاشوا محنة التكيف، والتمسك بالرأي) والعقيدة، مثل مالك بن انس وابو حنيفة واحمد بن حنبل والبويطي، والبخاري والنسائي والثقفي، والزيات وابن الدهان وابن عطاء الصوفي، وابن شنبود، وابن مقلة وغيرهم[3] بما يعني ادراكه (لمفهوم) الاغتراب، ومضمونه، بصور مختلفة، قبل ان يتكامل ويأخذ صورته الحديثة والمعاصرة عند فلاسفة الغرب، ان كانت في محتواها السلبي ام ايجابي الذاتي ام الموضوعي، الخاص، ام العام. وهو ما سوف نتتبعه في المطالب اللاحقة ان شاء اللـه، بما يكشف عن حضور هذه الحال عند الجميع، في كل العصور والدهور! وان اختلفت درجاته صعوداً او نزولاً، يميناً او شمالاً! فهو جزء من هموم الانسان ومحنته التي تحضر عند غياب شروط العدالة، والحياة المتكافئة، لغياب السلطة العادلة، والعكس صحيح ايضاً، وللافت للنظر ان الهم الاكبر والاحساس الاعظم بالغربة يتجسد في فئة المفكرين والادباء والفنانين والعلماء!، وعلى هذا المنوال جرى الحال في الفكر العربي الحديث والمعاصر.

3. مفهوم الاغتراب/ غرباً، في الماضي والحال:

اذا كان سقراط، في بحثه عن حقيقة "اعرف نفسك" التي اطلقتها راعية معبد دلفي قد راح يفتش عن (الحد والماهية) في حواره مع السفسطائية! التي كشفت عن

(1) أيضاً ص 30-31 و140.
(2) أيضاً ص 32.
(3) أيضاً ص 160-167.

الاغتراب هذا الفيلسوف قياساً الى ذرائعهم المعرفية، ليدفع حياته ثمناً لـذلك الاغـراب، فان افلاطون قد جعل جمهوريته[1] (ملاذاً) لمفكر عانى مرارة الغربـة، والاغـتراب، اغترابـه عـن (ديمقراطية اثينا!) وغربته ازاء الذين اعـدموا اسـتاذه، وحـاولوا ايذائـه؛ وكـادوا – بعـد مـوت افلاطون – ان يلحقوا الاذى نفسه بالفلسفة مـع ارسـطو، الـذي فـر الى اسـيا الصـغرى، وهـو يقول: "لن امكن الاثينيين مرة اخرى من الفلسفة"! واذا كانت حروب الاسكندر المقدوني سبباً في (خلط الاوراق) وبث الفوضى، وتأجيج الصراع بـين قادتـه – بعـد موتـه المفـاجئ (ت322 ق.م)، وكان وراء ظهور "النزعات الشكية والكلبية، المتطرفة التـي تركـت الانسـان غريبـاً بـين بني جنسه لا يعرف هل سيكون غده، مثل امسه؟ فراح طوال ثلاثة قرون يفـتش عـن المنقـذ الذي ينتشله، من وطأة الخطيئة التي تمسك بها اليهود؛ وعدت تضحية السـيد المسـيح عليه السلام لتحرير الانسانية من هذه الوطأة – كـما مـر – وجـدنا فيلـون الاسـكندري (50 ق.م – 30م) يتحدث عن اغتراب بني عقيدته، الذين عليهم ان يفتشوا عن (وعد الرب) في الحيـاة الثانيـة! وليس في هذه الدنيا! للخلاص مـن اغـتراب (ادم- ع – وحـواء) عـن الجنـة ونـزولهما بسـبب الخطيئة الى الارض، دنيا الفناء والمعاناة! وما السيد المسيح عليه السلام الان الرسول الذي جاء حلقة وصل بين مـا هـو مـادي ومـاوراء الطبيعـة! وهـو امـر دفـع بالقـديس اوغسـطين (ت430م) للحديث عن (مدينة اللـه) التي ستجمع تحت سقفها، المؤمنين الذين عاشوا غربـة العقيـدة طوال عصور (الشيطان)، ولولا تضحية السـيد المسـيح عليه السلام لمـا تحـررت الانسـانية مـن تلـك الخطيئة! ولما خرج الناس من غربتهم في مدينـة الشـيطان، الى حيـث رحـاب الـرحمن!.. واذا كانت محاولات المفكرين الغربيين في البحث عن حلول – لاحقة لمحنة الانسـان، واغترابـه قـد تجسدت في المدن الفاضلة، والجزر السـعيدة، في العصرـين الوسـيط والحـديث التـي جـاءت انموذجاً لليوتوبيا[2] وهي تمثل ذروة الاغتراب عن الواقع ومحاولة للهروب عنـه. واليـوم وجـد الفكر الغربي من يؤرخ

(1) أفلاطون: الجمهورية: دراسة وترجمة فؤاد زكريا (الهيئة المصرية) القاهرة 1974 ص 149 وما تلاها (أسـطورة الكهف) تعليق المترجم وص 178 – 550 أصل النص.

(2) توماس: يوتوبيا، ترجمة وتقـديم إنجيـل بطـرس سـمعان، دار المعـارف بمصرـ والقـاهرة 1974، ص 43 و 74 الهوامش.

فيه (للاغتراب)[1] كموضوع فلسفي واعني به (شاخت) الذي ظن ان الاغتراب بـدأ مـع هيراقليطس، ثم سقراط، وافلاطون، وسوفكلس في اوديب ملكاً، وصولاً الى ديكـارت وسـبينوزا ولايبنتز وباسكال وهيوم وروسو وكانط، وبعدهم كان هيجل هو الحد الفاصـل، بـين التنـاول المحدود للاغتراب، والتناول الشمولي. واتفق والتركوفمان في مقدمته، مع شاخت، عـلى القـول: ان هيجـل "هـو اول مـن رفـع اصـطلاح الاغـتراب الى مرتبـة الاهميـة الفلسـفية"[2] واذا كـان الاغتراب عند هيجل قد جاء تعبيراً عن "مأزق الانسان المعاصر" وشـعاراً للعصر ـ فـان هيجـل حسب شاخت – حاول دراسة العلاقـة بـين (التوافـق) و(الاغـتراب) وبيـان صـلتهما بالمعانـاة الانسانية، وتجليات ظاهرات الروح (المطلق) (العقل الكلي)[3].

معنى هذا ان هيجل قد استخدم الاغتراب بمعنيين (انفصال) و(اتصال) في تحريه لعلاقة الفرد الجماعة و(الـذات بـالاخر) والخـاص بالعـام، امـا (الانفصـال) فيـتم عنـده، في الوجـود المستقل بوصفه اغتراباً على مسرح العالم الاخلاقي الذي يتجسم في غياب التوافق بـين (الفـرد والجماعة والمحيط) الى جانب الاغتراب عـن الـذات[4]. وفي الاتصـال، تنقلـب المعادلـة، بعـده المعنى الثاني للاغتراب الذي يعنـي التسـليم بضرـورة (قهـر الاغـتراب) والـتخلي عـن محركاتـه بخدمة الدولة، وفي دائرة البناء وفي الثقافة والتموضع مع الاخرين، ممـثلاً بالبنيـة الاجتماعيـة كتموضع للعقل الانساني، والاغتراب بالموضوعية تجاه الاخرين، فبالموضـوعية يتحقـق جـوهر ترقي العقل.. وقهر الاغتراب عن الذات[5] والاتصال عـن طريـق (وعـي الـذات) عـلى طريقـة السيد لا العبد[6]. سواء – كما يقول هيجل: "املي هذا الهـدف وعـي الخـاص؛ او امـلاه وعـي غريب"[7].

(1) أقصد بها الدراسة التي قـدمها شـاخت بعنـوان الإغـتراب، تقـديم والتركـوفما: ترجمـة، كامـل يـوف حسـين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980 ص 62 وما تلاها.

(2) والتركوفمان: مقدمة كتاب الإغتراب ص 59.

(3) شاخت: الإغتراب ص 67-95، وقارنه مع ص 56 – 57 لكوفمان.

(4) أيضاً ص 100-101.

(5) أيضاً ص 101-102.

(6) هيجل، ج، ف: علم ظهور العقل (المجلد الأول) ترجمة مصطفى صـفوان (دار الطليعـة) ط1 بـيروت 1981 ص 145 – 150.

(7) هيجل: المصدر السابق ص 153و 163.

وهكذا راح هذا الفيلسوف يتفحص اشكال الاغتراب في (صلة الذات = الانا، بالجماعة = نحن) وبالظواهر وبالطبيعة، وبالله، وبالوجود[1] من خلال ازدواجية المصطلح في حالتي (الاتصال) و(الانفصال) او ثنائيته!. اما ماركس، حسب كوفمان، فلقد تحدث عن (المجتمع غير المغترب) ولا سيما في مخطوطته (العمل المغترب) التي كتبها سنة 1844 ونشرت سنة 1932، ناقش فيها مفصلاً مفهومي (الغربة) و(التمازج) بخلاف ما وجد في البيان الشيوعي (1848) الذي عد فيه ماركس، ان أي حديث عن الاغتراب هو "نوع من الهراء الفلسفي" بسبب كون "العمل كغربة انسانية"، يتحقق في "عالم لا يملكه الانسان" شأنه شأن هيجل الذي سبق وان عد العمل "كاغتراب عن الذات في تشكيل العالم"[2]. ان (العمل المغترب) عند ماركس يعني وصفاً للاغتراب بالمعنى الذي يعبر عن "اغتراب العامل عن موضوع عمله" لانه "كلما زاد انتاج العامل قل ما يستهلكه، وكلما ازدادت القيم التي يخلقها، تدنت قيمته.. وكلما ازداد كمال شكل ما ينتج زاد تشوهه، وكلما ازداد الطابع الحضاري لما ينتج ازدادت همجيته؛ وكلما ازدادت القوة الكامنة في العمل اصبح العامل عاجزاً، وكلما توهجت الروح التي يودعها في العمل تقلصت روحه، وغدا عبداً للطبيعة"[3]. وماركس في منظوره لواقع حال حال العامل في ظل الرأسمالية يوكد القول بأن "التطور سيقود الى مزيد من الافقار والاذلال، ونزع الانسانية، والتحول الى الهمجية والاضعاف"[4] (الافقار) والتعجيز وبذلك خالف هيجل الذي نظر الى "الاغتراب باعتباره نبض حياة الروح" حين "خلط بينه وبين الحرية"[5] وعلل كوفمان موقف ماركس، بانه تعبير عن حلم ليس الا! حلم ماركس الشاب[6]. في اخراج العمال العمال من غربتهم! اما شاخت، فيعترف بدور ماركس في شيوع مصطلح الاغتراب في الادبيات الفلسفية[7] وهو يتحدث عن الانسان والعمل، ومن اشكاله،

---

(1) شاخت: الإغتراب: ص 120 – 121.

(2) كوفمان: مقدمة الإغتراب ص 12.

(3) أيضاً ص46-47.

(4) أيضاً ص 47.

(5) أيضاً ص 54.

(6) ايضاً ص 35- 38.

(7) شاخت: الإغتراب ص 124.

اغتراب الانتاج، والاغتراب عن الذات، والاغتراب عـن الجماعـة، الى جانـب حديثـه عـن سبل قهر الاغتراب[1] وان عزا ماركس سـبب الاغـتراب الى (الحاجـة الانانيـة) والـذات الفرديـة وكيف يجب اقتلاع هذه الحاجة الى تطمينها، عن طريق (قهر الاغـتراب)، فالحاجـة العضـوية والشره داخل المجتمع المدني تمثل اغتراباً صارخاً[2].

ومثلما تحدث هيجل عن (الاغتراب المزدوج) بمعنى الانفصـال تـارة و(التسـليم) اخـرى، تحدث ماركس عن (الانفصال من خلال التسـليم) ومسـاواة الاتصـال في معادلـة الفكـرة مـع الواقع، وان اختلف ماركس مع هيجل حين ارجع هذين المصطلحين الى مفهوم واحـد فيكـون (الانفصال من خـلال التسـليم يسـاوي الاتصـال)[3] فـلا يسـتبعد مـاركس وجـود الاغـتراب في (العمل والانتاج والحواس، والحياة الاجتماعية، والاخرين) والانسان نفسه" في اطـارين فكـري وواقعي ينطويان عـلى معنـى الاغـتراب عنـدما يكـون "كـل شيء في ذاتـه شيء مختلـف عـن ذاته"[4]، مع ذلك يبقى مفهوم الاغتراب عند ماركس – حسب شـاخت – فضفاضـاً، ليسـتغرق الكثير من المعاني[5]، المادية والمعنوية التي سبق وتحدث عنها الدلجي! واذا كان "التمـرد عـلى كل ما هو قائم علامة على الاغتراب" فان الكثير من المفكـرين يـدخل في دائرتـه، مثـل جوتـه الشاب في فاوست؛ من المحدثين، وصموئيل بيكت في (في انتظار جودو) مـن المعـاصرين. كـما عد كوفمان، كتاب (مارتن بوبر الصادر سنة 1923) المسـمى (الانـا والانـت) واحـد مـن اهـم مصادر الاغتراب ولا سيما في الجزء الثاني منه عن عالم (الهـو) بـين المتـدينين قبـل ان يتحـدث [الوجوديون] عن ارضية مشتركة للاغتراب تحت دعاوى (ماركس الشاب)، او حين استفاد منه هربرت ماركوز سنة 1941، ولوكاش سنة 1948، وبينهما سارتر؛ وكامو، وهنريش،

---

(1) أيضاً ص 131 – 165.
(2) أيضاً ص 167 – 168.
(3) أيضاً ص 169.
(4) أيضاً ص 171.
(5) أيضاً ص 172.

بوبنيتر في الحديث عن المغتربين في اطار (الحرية و اللـه؛ والوعي والقيم)[1]، وللسبب عينه عد كل من نيتشه وكافكا مغتربان اما فرويد فتحدث سنة 1925 في كتابه (انطباعات شخصية) عن (الاغتراب المثمر) في معناه السايكولوجي، ومن الوجوديين حاول كيركيجارد "الاستعانة بالدين للتخفيف من الاحساس بالاغتراب"، وان عد كوفمان الاغتراب ايجابياً كواحد من "السمات الجوهرية للوجود الانساني" ومن "دوافع النزعة الخلاقة" فالحياة من غير اغتراب، "ليست جديرة في ان نحياها" مع ذلك فالمطلوب "زيادة طاقة الانسان على معالجة الاغتراب"[2]. والتخفيف من وطأته!واذا كان اشبنجلر (ت1936) قد اسبغ الاغتراب على الحضارة الغربية في (غروب الغرب)[3] فان اريك فروم قد نظر الى الاغتراب متجسداً في تأزم علاقة الانسان بالطبيعة مع الاخرين والمجتمع والذات ومجالات اخرى[4]. كشفتها الكثير من الظواهر في حياتنا (المدنية)[5] المعاصرة، التي عاش انسانها اغتراباً يومياً بسبب (حضارة الروبوط)[6] التي دفعت بالانسان الى طريقة مغتربة في الحياة تقوم على علاقات مشوشة ينشأ عنها الاغتراب الثقافي في (اللغة) والفكر والاعلام، كشف عن عدم التوافق ونشوز العلاقة، بين الانسان وذاته ومحيطه الاجتماعي والطبيعي والسياسي والثقافي[7]. اما الاغتراب في دائرة الاداب الاجتماعية فيتمثل بالاغتراب عن الاخرين وعن العمل وعن الهياكل (المعرفية) وعن المرجعيات الثقافية والاجتماعية بطريقة جمعت بين اراء هيجل وماركس وفرويد ونيتشه، حتى وصل فروم الى ان اصل المشكلة يتطلب (صياغة معايير واضحة لانماط الاغتراب) من غير تحر دقيق لمباحث (العلاقات الاجتماعية) وما يكتنف الاغتراب الشخصي وقضية العمل والمجتمع، والثقافة والفكر وجميع ما يتولد عنه من

---

(1) كوفمان: مقدمة الإغتاب ص 9-20 قارنه بما أورده قاسم عبده في اطروحة الوجود والماهية في فلسفة سارتر / عدن 1990 ص 11-195.

(2) أيضاً ص 55.

(3) اشبنجلر؛ أوزوالد: تدهور الحضارة الغربية 3 أجزاء / ترجمة أحمد الشيباني (منشورات دار مكتبة الحياة) بيروت 1964 جـ/ 1 ص 39 وما تلاها.

(4) شاخت: الإغتراب ص 174 – 194.

(5) يوسف نور عوض: نقد العقل المتخلف – دار القلم بيروت 1985 ص 79 – 84 نقلاً عن كتاب أريك فروم: المجتمع المعافي.

(6) أريك فروم: الخوف من الحرية ص 7 راجع عنه نقد العقل المتخلف ص 84 – 86.

(7) شاخت: الإغتراب ص 196 – 198.

منظومات السخط والاختلال وعدم الارتباط وكل ما يعبر عن مشاعر الغربة[1] والفلاكة التي وجدناها في الفكر العربي عند الدلجي على بساطة الصورة التي وقف عندها الاسلاف.

لاحظ شاخت ان مثل هـذا المفهـوم عنـد (فـروم) عـن الاغـتراب، يختلـف عـن مفهـوم (كـارين هـوربي) في منظـور التحليـل النفسيـ ولا سـيما لحالـة الاغـتراب (في الـذات) بسـبب مؤثرات الاغتراب العادية من (الصراعات الداخلية) وتأثيرها على نمو الانسان وظهور الامـراض النفسية والعصابية وغيرها من اثار جانبيـة لحالـة الشـعور بالغربـة داخـل الاسرة والمجتمـع، والمؤسسة والمدرسة[2]. ويرى شاخت ان عموم الدراسـات الوجوديـة للاغـتراب عنـد هايـدجر وكيركيجـارد وسـارتر وكـامو ومارسـيل ويسـبرز وغـيرهم جـاءت في اطـار التداوليـة الهيجليـة والماركسية لمصطلح الغربة والاغتراب، مع ذلك سجل هـذا الباحـث نقـده للمفـاهيم الـواردة عند هايدجر في الغربة، واللاهوت عند إليتش، وفي اعمال سارتر الأدبيـة ومـا نجـم عنهـا مـن فوضى في استخدام المصطلح بسبب (الرؤية الادبية) للاشكالية التي وظفها الكاتـب الوجـودي في خطابه الادبي مع الجمهور[3]. الغربي الخارج تواً من الحرب! واسف شـاخت للفـوضى التـي رافقت مفهوم الاغتراب، في الفكـر الاوربي وحالـت دون صـياغة المعنـى المطلـوب للمصـطلح المتداول، لوروده في معان متباينة ورؤى متناقضة، ويعزو سبب هذا التعدد الى تنـوع ميـادين الاغتراب وظروفه وحيثياته عند الكثيرين، مستثنياً دراسات العديد من الباحثين المعاصرين لـه مثل:

أ. كوفمان الذي قال بان شخصاً ما مغترباً هو تأكيد لا تسام علاقته بشيء اخر يسفرعن سخط لا يمكن تجنبه او لانه يفتقر للشعور بالرضا.

ب. اما لويس فيوير فـيرى "ان كلمـة اغـتراب تسـتخدم لايضـاح الطـابع الـذاتي لتجربـة مدمرة للذات" ويستشهد في ذلك على بعض الشخصيات الادبيـة التـي اقـترن لـديها الاغـتراب بمشاعر سلبية نشأت عن اكراه في التصرف وصل حد (تدمير

(1) أيضاً ص 212-258.

(2) أيضاً ص 199-204.

(3) أيضاً ص 159 -268.

الذات) من هنا قيل ان الاغتراب دليل على غياب علاقات مرغوب فيها بين الناس كانت وراء وجود (شخص مغترب).

وفيوير يعزو الاغتراب الى العامل الخلافي والجدالي اللغوي النقدي الكاشف عن "القصد الكامن وراء فكرة الاغتراب"[1]. لقد انتقد شاخت هؤلاء جميعاً وكشف عن خلل النتائج التي توصلوا اليها بسبب خلل في المنهجية التي درست الاغتراب، فليس باستطاعة المغترب وحده، مواجهة الاغتراب بمعزل عن جهد المجتمع، وهذا يعني ضرورة، زج جهد المجتمع في (المعركة) لكي يعين المغترب على الخلاص من اسباب الاغتراب وعلله من خلال ما يسميه شاخت (بالمعادلة المتكافئة، التي يتعذر مع غيابها اصلاح العلاقة بين الواقع والذات المغتربة) من هنا بدا هذا الباحث يرسم الية (التوازن) عن طريق (ذاتية الانفصال) و (تحقيق الوضع المقابل) بهدف الانطلاق الى (المركب) الجدلي الذي يفصح عن (موضع الاغتراب) و (الاعتدال) في علاقة الشخص مع (الشيء والجماعة والمكان) على قاعدة تناغمية (الاتصال والانفصال) او (التجاذب والتنافر)[2]. او (الوحدة والتنوع). ولكي يخرج شاخت بالمشكلة من دائرة (التلاعب بالالفاظ) ذات المنشأ اللغوي الذي زحف على المعنى الاصطلاحي، عرض لنا بمجموعة من السمات التي تكشف عن حقيقة الاغتراب وكيفية تحرير الذات منه، اهمها:

1- توفير فرصة لمشاركة (الفرد) في نشاط انتاجي موجه ذاتياً، لكي يجسد ذاته موضوعياً على شكل (ناتج يعكس ذاته).

2- ضرورة انطواء ذلك العمل على فرصة لتعبير المرء عن ذاته بما يحقق الرضى والانتاج في آن واحد!.

3- لما كانت "ذات المرء وطاقته الانتاجية تغترب عنه اذا ما خضعت لسيطرة الاخرين" اصبح من الصواب القول: "ارفع القسر والتسلط، يختفي الاغتراب"[3] وتتحقق الحرية.

---

(1) أيضاً ص 300-303.
(2) أيضاً ص 304 – 308.
(3) أيضاً ص 309-325.

4- ان النزعة الاستغلالية تجاه الاخرين تقود حتماً الى (سوء علاقة معهم، فاستغلال، فاغتراب) بل قل ان الاستغلال هو الاغتراب بعينه، بجميع صوره ومسمياته الاستلابية! عند شاخت.

5- لما كان (الفرد) جزء من (الجماعة) فان نزعة ذاتية متطرفة تتقاطع مع حاجات الاخرين ومصالحهم المشروعة تجعل الحياة معهم مستحيلة، وكاشفة عن علة الاغتراب.

6- المشاركة الوجدانية والعقيدية مع الاخرين توفر للمرء قدراً من التضامن والتماسك الاجتماعي والثقة المتبادلة وتحرره من وطأة العزلة واثارها النفسية والاجتماعية.

7- كلما تحرر المرء من النزعة (الانانية) استطاع التوافق مع المرجعيات الثقافية والاجتماعية واكتشف جوهره الاجتماعي وتحرر من الاغتراب وأدرك افاقه الحرة.

8- ان (التصادم) اذا قاد الى فهم مشترك لحقوق (الفرد) وحدود (الجماعة). فان غلواء الفردية سيختفي، والعكس صحيح، مع الجماعة ايضاً.

9- التناغم، مع الاخرين، والتوحد معهم يوفر للفرد فرصة الحصول على ما ينبغي، باقل جهد ومشقة.

10- الشخصية المميزة والايجابية هي المدخل الصحيح لمكانة متميزة على صعيد المجتمع وتوافق يبعد شبح الاغتراب.

11- الهوية الحقيقية والواضحة للفرد، والكاملة لا تتحقق الا حين يتناغم مع الاخرين ويحقق التوافق الايجابي مع (المؤسسات) و (المرجعيات) و(البيئة الثقافية) في المجتمع.

12- تغليب (العام) على (الخاص) و (الموضوع على الذات) اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، لا يقود الى (نمو الشخصية) وازدهارها! بل يقتل ظروف ذلك

الازدهار، فالتميز والاختلاف شرط مهم لتحديد نوع العلاقة ونمطها ومستواها مع المجتمع[1].

على وفق هذه المعايير (الاجتما – سيا – دية) يرى شاخت امكانية اصلاح حال المغترب والخروج من قيود الفردية والانانية والاستغلال، والسلبية والتعالي، الى حياة المجتمع المتفتح المتوازن / المعتدل / المتوافق. ولعل سبب وضوح هذه النتائج عند شاخت عن الاغتراب، نجم عن دراسات اخرى متقدمة، لمشكلة الاغتراب، كتلك التي عرضها (غارودي) عن سان جون بيرس (الفرنسي) في اطار المنظور الماركسي الاغتراب، وهو يسجل في قصيدة (مرارات) قائلاً:

"وانما فخر الحياة، في اقتحامها؛ لا في استهلاك الشيء ولا في تملكه"[2]! يعلق غارودي على ذلك قائلاً: "وتلك هي المسألة الاولى في الغربة التي صاغ كارل ماركس قانونها الاساس في قوله: "بقدر ما يزيد ما عندك (تكتنز) بقدر ما يتناقص كيانك"[3]، فعالم الملكية اذا والغربة؛ الذي تتخذ فيه العلاقات الانسانية مظهر الاشياء (المنفصلة) عن الانسان، الغريبة عنه، المعادية له، والمسيطر عليه "يطبق بكل ثقله على الكائن، ويقف في وجه انطلاقه"[4]. بهذه الكيفية يفسر غارودي رؤية بيرس للغربة حين "يبدأ كل شيء عند بيرس بالنفي والتمرد، وبالوعي بان هذا العالم غريب عن الانسان" لانه عالم البرجوازية الاستغلالي، يقول بيرس "كنت احس اني اعيش عند الناس، واذا بالارض تفوح بروحها الغريبة"[5] ثم يصف وطأة "الاغتراب قائلاً "هذا العالم المعتوه.. عالم من التجار وبلاد كبيرة ينادي عليها الدلال لتباع تحت الشمس المحرقة؛ والهضاب العالية، تقمع الاقاليم، يقدر لها سعر، وسط رائحة الورود المهيبة "بعد ان اجتمع عليها، كل من وضع نفسه في خدمة (الاستغلال) ففي لحظة كما يقول بيرس "جاء رجال المقايضة والتجارة، رجال وفدوا من بعيد وقد

(1) أيضاً ص 326 -331.

(2) غارودي، روجيه: واقعية بلا ضفاف تقديم أراجون تر / حليم طوسون (دار الكاتب العربي) القاهرة 1968 ص 110-111.

(3) غارودي المصدر السابق (نقلاً عن كارل ماركس: مخطوطات عام 1948) (جـ/6).

(4) غارودي: واقعية بلا ضفاف ص 111.

(5) أيضاً ص 115.

وضعوا في ايديهم قفازات من الجلد امعاناً في التعسف، وجاء كل رجال العدالـة الـذين يجمعون الشرطة ويجندون الحـرس.. ثـم جـاء رجـال البابويـة السـاعون الى منصـب القاصـد الرسولي"[1]. واذا كان روسو قد عد (مفارقة الطبيعة) واهمال الفطرة تعبيراً عـن (غربـة) فـان هيجل عد الانفصال عن الطبيعة وغياب الحرية اغتراباً، مثلما عد ماركس انفصال العامل عـن انتاجه اغتراباً، وعد فرويد الاغتراب الذاتي تعبيراً عن انفصام الشخصية او قل المفارقة بين قوى الشعور اللاشعور، بابتعاد الفرد عن ذاته، او الاغـتراب الوجـودي عنـد سـارتر بسـلب الحريـة وعجز الانسان عن اكتشاف ماهيته الحقة، فان اغتراب ماركوز تمثل بفشل الحضارة المعـاصرة عن ادراك القدرات الخلاقة للانسان، وعند أريك فروم، بانفصال الانسـان عـن ذاتـه الواقعيـة والطبيعية وهروبه من الحريـة، لانهـا اصـبحت خطـراً عليـه، وهـو يعـيش وسـط علـب مـن الصفيح الساخن! ومع تعدد مفاهيم الاغـتراب، واشـكاله ونـوع حالاتـه، واخـتلاف منظـورات المفكرين له، نجد ثمة اشـكال وظـواهر وردت في الادبيـات المعرفيـة تشـير الى اهـم مظـاهره المقدمة للتحرر منها والعودة الى (الجمع) و(الذات) المتوازنة؛ من ابرزها:

أ. فقدان المعايير الواضحة وغياب حدود الفهم المشترك.
ب. العجز في السيطرة على المصير لدواع موضوعية قاهرة!
جـ التنافر (التناشز) الحضـاري، والانسـلاخ عـن القـيم الاساسـية في المجتمـع، والاحسـاس بالتناقض وعدم التكيف معه.
د. العزلة الاجتماعية والنبذ (والاحتقار) والتقوقع.
هـ فقدان الهدف الواضح وعدمية الحياة، وضيق افقها.
و. الاغتراب النفسي الذي يعني: ان الفرد اصبح بعيداً عن التواصل مع ذاته.

اما اضرار الاغتراب فلا تقتصر على (الفرد) المغترب بل تمتد الى المجتمع مما يوجب عملاً مشتركاً لانتشال المغتربين مـن هـوة الاغـتراب وملابسـاته. نقـول هـذا، مـع اعترافنـا بالجانـب (الايجابي) من الاغتراب، حين يكون مؤشراً باتجاه (الاجتيـاز) مـن السـلبي الى الايجـابي او مـن الانحطاط الى النهضة، "فان قدراً معقولاً

(1) أيضاً ص 115-116.

من الاغتراب مفيد بالنسبة للفرد والمجتمع"[1] كما يقـول الـدكتور قاسـم حسـين صـالح، حفاظاً على ايقاع (التنـوع والوحـدة) لـكي لا يتحـول الافـراد الى نسـخ متشـابهة كقطيـع مـن الحملان! ولا سيما على صعيد الاذواق والامزجة ولهذا السبب وجدنا "الفنـان المبـدع لا يمثـل الشخصية النمطية في مجتمعه، لانه يحمل قدراً من الشعور بـالاغتراب (التميـز والتفـرد) وان الفنان المبدع هو الذي يكون اكثر توازناً، والقادر على اكتشـاف النقطـة الحرجـة التـي تجمـع فيها حالتي الاغتراب عن مجتمعه وانتمائه له"[2] وعلى وفق افرازات المدنية الغربية المعاصرة، في العقد الاخير من القرن العشرين التي تشير الى نمو الغـرب نمـواً سرطانيـاً (سـوبر امبرياليـاً) كبرت معه ظاهرة الاغـتراب التـي نـوه بهـا اشـبنجلر في النصـف الاول مـن القـرن العشرـين، بتدهور الحضارة الغربية، من خلال سلسلة الحروب الساخنة والباردة، المعلنة والخفيـة التـي تركت الانسان يعيش بادنى من بعد واحـد[3]، كـما حـذر مـاركوز قبـل عقـود! تلـك الحـروب (الخرساء) التي اجتذت شعوباً بأكملها كما يقـول دريـدا[4]، لاهـداف مشـبوهة (غريبـة) عـن سياقات تطور الحضارة الانسانية التقدمية، او تلك التي حملت معول العولمـة وراحـت تبـذر بذور الموت والصراع والحرب والدمار في كل مكان تحت دعاوى (صدام الحضارات)، مما تـرك الامم والشعوب التي تعـيش جنـوبي الكـرة الارضـية، غريبـة عـن سـياقات تطورهـا، وحياتهـا وطموح انسانها، بعد ان بشروا بالفلسفة الكيوسية، وقالوا بمـوت الفكـر والفلسـفة والانسـان ونهاية التاريخ وانتصار (الالة) وعصر الشيطان، في الالفية الثالثة للميلاد!.

---

(1) قاسم حسين صالح: في سابكولوجية الفن التشكيلي، بغداد 1990 ص 28-29.

(2) أيضاً ص 30.

(3) هربرت ماركوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ت / جورج طرابيشيـ / دار الآداب، ط3 بـيروت 1998 ص 28 ومـا تلاها.

(4) جاك دريدا: أطياف ماركس، تر / منذر العياشي حلب 1995 ص 11 وما تلاها.

ثانياً:

اغتراب العرب ام عرب الاغتراب.؟!

1. العالم ناقصاً الغرب الرأسمالي:

مثلما انتهت صيرورة الطبقات الاجتماعية الى تلاشي الطبقة الوسطى وتوزع المجتمع في عالم الشرق والجنوب بين طبقتين (اغنياء وفقراء) كذلك الحال مع عالم عدم الانحياز الذي

كاد يفقد (اسمه) بسبب الانتهاء بصيرورة العلاقات الدولية، واقطابها الى (قطب واحد) ووضع (معولم) بدلاً من اصلاح النظام الاقتصادي العالمي لمصلحة التعاون. لقد حل (النظام الدولي الجديد) ليترك الدول الصغيرة بلا (دور) او قل همشها، ينطبق ذلك على دول (عدم الانحياز) بالامس، وعالم الجنوب باليوم ومنه وطننا العربي!. واذا كانت الفرصة التاريخية للعرب، في ظل التوازن الدولي، قد ضاعت، وحالت المداخلات الدولية، دون تمكنهم من امتلاك فرصتهم التاريخية، التي تتيح لهم امكانية العبور من (ظرفهم السلبي الجامد) الى (وضع ايجابي متحرك) يساعدهم على الخروج من (حالة الاغتراب) التي تمكنت منهم طوال سبعة قرون!، لينعكس اليوم علينا بالاغتراب (تقنياً) من خلال المشروع (السوبر – امبريالي) الذي جاء حرباً على ثقافات الدول (الفقيرة والغنية) وموروثاتها الحضارية والعقيدية والثقافية، وتحويل الانسان الى (ربوط الي) مهمته الاستجابة للقيم التي يحددها مجتمع الاستهلاك العالمي[1]. لقد فرض (الغرب المتقدم) على ما عداه من العالم اغتراباً تقنياً تركه في وضع سلبي، لا يحسد عليه، بعد ان اصبحت هذه التقنية وسيلة من وسائل التغريب، تحاصر الانسان في غرفة نومه! وهو المحروم من ثمار هذه التقنية، لا بسبب قصور عقلي او فيزيقي، بل كجزء من خطة حرمان هذه المجتمعات من اسباب التقدم والعلم والازدهار (اسباب القوة) ومنعها من استثمار ثرواتها وطاقاتها او المساهمة في مسيرة التقدم الانساني! لهذا السبب عد (غارودي) بحسب قراءة (عوض) الغرب (عرض طارئ) ولا سيما الولايات المتحدة الامريكية، قياساً على مراكز الحضارة الانسانية العريقة، وهذا

---

(1) يوسف نور عوض: نقد العقل المتخلف / بحث في أزمة الوجود الحضاري عند فقراء العصر التقني / دار القلم / بيروت 1985 ص 5.

يعني "مصادرة كل اختراع يتناول المستقبل"[1] تتمناه الشعوب النامية. فالانسانية (خارج الغرب الرأسمالي) تعيش "ازمة عميقة في الثقافة" نشأت عن نمو الرأسمالية الاستعمارية" وتركت الانسان، حتى في الغرب نفسه يعيش دون البعد الواحد! بسبب سعي الرأسمال الغربي الحثيث الى هدم "جميع الثقافات اللاغربية"[2]، وكان من نتائج ذلك، فرض (الاغتراب التقني) على ثلاث قارات (اسيا، افريقيا، امريكا اللاتينية) ممثلاً باشكال الفقر والتخلف، لمصلحة الغرب وحده ولصالح الشركات متعددة الجنسيات: "التي سخرت المؤسسات الدولية... للسيطرة على الشعوب، وتدمير ثقافاتها القومية"[3] هذا هو واقع الحال الذي تحدث عنه غارودي من خلال ما سماه بالزحف (المادي – التقني) الغربي ليسحق العقل والقلب والضمير والروح، كما هو عند اريك فروم في (حضارة الروبوط) وايفان ايليش بالفقر المصنع وباولو فريري، بحوار القاهر والمقهور![4]، حوار الذئب والحمل. ان تقابلية (الغرب) و(العالم خارج الغرب) بدت كمرايا متعاكسة تمثل الاسلوب القهري للاحواري بسبب النظر الى العالم غير الغربي كطرف مقهور او قل (شيء) من الاشياء، ينكر الطرف القاهر انسانيته ويلغي بالتالي حقه في التقدم والرفاه! ويفرض عليه حق الوصاية؛ وان يقبل المقهور بواجب (الطاعة)![5] وهذا يناقض العلاقة الانسانية المتوازنة، التي تتطلب حواراً وتعاوناً من اجل الجميع! وليس حوار ذئب وحمل، كل هذا يكشف قصور (النظام الدولي) وذرائع العولمة[6] ومخاطر تحويل الانسان

---

(1) أيضاً ص 41 (النص من غارودي) حوار الحضارات / الأصل الفرنسي.

(2) أيضاً ص 47.

(3) أيضاً ص 49.

(4) أيضاً عن غارودي ص 49 وفروم ص 79 واليش ص 93 وفريري ص 117-118.

(5) يوسف نور عوض: ص 118.

(6) وهي كثيرة ومتنوعة وذات روافد متنوعة منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- غارودي: الأساطر المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ت / دار الغد العربي للنشر، القاهرة 1996 ص 15 وما تلاها.

ب- + وغارودي: نحو حرب دينية (أو) جدل العصر؛ تقديم ليوناردو بوف ت / صياح الجهيم (دار عطية للطباعة) بيروت 1996 ص 7-197.

ج- جاك دريدا: أطياف ماركس ص 20-105.

د- عبد الآله بلقزيز: النظام الأساسي – السمعي البصري – الغربي والإختراق الثقافي، استراتيجية الدفاع الذاتي – ندوة المجمع العلمي العراقي – بغداد (مارس 1995) ص 1-10.

الى رابوط! نمطي يستجيب لقيم مجتمع الاستهلاك، ويحرم من ثمار التقنية الراقية، التي سخرت في مواجهة (عالم الجنوب) وتدمير البيئة وتخريب الطبيعة؛ والتعليم، والثقافة، والقيم الاخلاقية لكي تتحقق اقلمة الانسان على المجتمع الاستهلاكي ويكرس كل شيء من اجل "ثقافتي الصمت والقهر" في عالم المقهورين لكي يعيش الجميع داخل قبو الغربة بعيداً عن عالم الرفاه والثروة! لهذه الاسباب حرم سكان الجنوب (ومعهم العرب) من رؤية المزايا الحيوية للتقنية، وحيل بينهم وبين تحقيق التفاعل الحضاري الايجابي، القائم على روح الحوار وتطوير الامكانات المادية والبشرية، فالمناخ الحضاري الانساني هو الخيمة التي توفر للعرب – وليس لمجتمع الاقتصادي – السياسي، فرصة التعبير عن وجودهم وهويتهم وادوارهم

ه- هانس وشومان: فخ العولمة ترجمة عدنان عباس (عالم المعرفة)238 الكويت 1998 ص 21-345.

و- ملف العرب والعولمة (مجلة المستقبل العربي) ع 284 شباط 1998 (بيروت) بتحرير مجدي حماد، ومشاركة، سيد يسين عن مفهوم العولمة، وانطوان زحلان عن العولمة وتطور الثقافة، وجلال أمين عن العولمة والدولة، وبول سالم؛ عن أمريكا والعولمة، ومحمد عابد الجابري عن العولمة والهوية الثقافية وعبد الآله بالفزيز عن العولمة والهوية واسماعيل صبري، عن العرب والعولمة ما العمل؟

ز- وملف عالم الفكر عن (العولمة وظاهرة العصر) مج 28 ع، أوكتوبر – ديسمبر 1999 الكويت ص 9-302 لا سيما أبحاث ا لحبيب الجنحاني وعبد الخالق عبد الله وحيدر إبراهيم وأحمد مجدي ومحمد شومان وحسنين توفيق وحسام الخطيب وأديب منصور.

ح- عبد الواحد عبد المعطي و(جماعة) ملف: العرب ومفهوم العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي القاهرة 1999، ولا سيما دراسة سمير أمين: نقد الأيديولوجيا الرأسمالية، ص 70 وعصام الخفاجي، ملاحظات حول العولمة والدولة ص377 – 379.

ط- أبو يعرب المرزوقي: آفاق النهضة العربية ومستقبل الإنسان في مهب العولمة – دار الطليعة – بيروت 1999 ص 21 – 120.

ي- علي حسين الجابري: اللاعقلانية في العولمة / المائدة الحرة – بيت الحكمة بغداد 1999 ص 12-18.

ك- بومدين بو زيد: الفكر العربي المعاصر والعولمة المفارات والتجاوز (مجلة الموقف الثقافي) ع 21 حزيران 1999 بغداد ص 22-29.

ك/1: جمال الدين خضور: المثقف العربي والعولمة (مجلة الموقف الثقافي) ع (21 مارس/ حزيران 1999 بغداد ص 11-21.

ك/2: إسماعيل صبري عبد الله: توصيف الأوضاع العالمية المعاصرة (أوراق مصر 2020 منتدى العالم الثالث) ع 3 القاهرة 1999 ص 83-89.

ك/3: رسلان خضور وسمير إبراهيم: مستقبل العولمة (ملف المركز العلمي للدراسات الإستراتيجية / قضايا راهنة السنة الثانية) ع7 تموز 1998 دمشق ص 6-30.

الاجتماعية، مستفيدين من (التعليم) المتطور، و(التقنية) الراقية و(الاعلام) الصادق! وهي امور حرمت منها الامة في العقود الماضية، كما وجد (عوض) بقاء دعاوى (التربويين) مثل محمد عبده واحمد لطفي السيد، وطه حسين، وغيرهم من الذين تفننوا باساليب تعليب الحياة باغلفة الغرب[1]، من غير ان تفجر الطاقات العربية لصالح الحقيقة او تعين على امتلاك فلسفة جديدة تقود الى التقدم. وللخروج من [الاغتراب التقني][2] يقترح (عوض) جملة اجراءات تربوية واخلاقية واجتماعية للتحرر من النظام التربوي القديم، وايجاد البديل الجديد، تتحول فيه المدرسة والجامعة والمعهد الى معامل اعداد للمواطنين المسلحين بالعلم والتقنية، ليكون الخريج عوناً لوطنه لا عبئاً كما هو واقع الحال.

2. العرب من اغتراب الهوية الى اغتراب العصر:

كادت الرؤية القومية العربية لاشكالية الاغتراب في العقود الاخيرة، وهي تغلف الفكر القومي، كوجود وهوية وقيم، واهداف، ان تؤنب الضمير الجمعي للامة، اذا لم يتحرر من قيود الواقع العربي الذي حال بين الانسان وقضايا مجتمعه من جراء: "انفصال النظر عن حاضره" وماضيه ومستقبله وعن الاخر بجميع صوره واشكاله،! بعد ان ربط انصار (الاغتراب) وعي التاريخ العربي وسيرورته، بالضد من الاخر وتجربته او في تقليدها! بعيداً عن واقع الحياة العربية، وهواجس الامة وضميرها الحضاري في اطار هذه المقدمات عاش العرب في نوعين من الاغتراب:-

الاول: الاغتراب الزماني

مثلته الاجوبة السلفية بجميع مسمياتها وتنظيراتها المعاصرة، كاشفة عن الخط الاستردادي التقليدي المنغلق على (الماضي) دون غيره الذي يرى علاقتنا بالاخر (الغرب) علاقة (مقهور بقاهر)، لكنه هو الاخر، بقى اسير اغترابه الزماني في نظرته للحضارة المعاصرة؛ وفي علاقة القومية بالدين، والعروبة بالاسلام، بدت معه الاجوبة السلفية متقاطعة مع الاجوبة القومية[3]. على الرغم من عقلانية هذه

---

(1) يوسف نور عوض: نقد العقل المتخلف ص 125.

(2) أيضاً ص 126.

(3) محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ط4 بيروت 1981 ص 101-247.

الاجوبة وثوريتها[1]. وحيويتها. فعلى سبيل المثال لا الحصر، اسقط (سيد قطب) الانتماء القومي والوطني واقتصر على الانتماء العقيدي الذي يتطلب حضوره لكي يكشف عن حقيقة (الشعب المختار) الماثل بالامة المسلمة الكاشفة عن الرابطة الدينية، وليس رابطة الارض او الجنس او الجنسية[2]. وان مثل هذا التفسير (المغترب زماناً) يتقاطع مع المفهوم الحقيقي للدين، والقومية، فمفهوم الامة الديني غير المفهوم السياسي، وكما يقول خلف اللـه ان الدين "رابطة بين الجماعات، وليس اساساً لقيام دولة"[3] او تكوين قومية!صحيح ان شيوع انماط التجهيل والجاهلية الجديدة[4]، يجعل المسلم غريباً عن عصره، وناسه، وذاته؛ لكن الاغتراب الاخطر بين جميع هذه الظواهر السلبية، يتجلى في (الهروب من ضرورات المرحلة واشتراطاتها) تحت دعاوى (رد الفعل) على خطط الاخر؛ مما يبدد الكثير من الجهود والقدرات الخلاقة!.

الثاني: الاغتراب المكاني

ويتوزع على مطلبين، ماركسي وليبرالي، وكلاهما حاولا تلمس حلولاً لمشكلات الانسان العربي في ضوء الاجوبة الغربية على اختلافها ظناً منهم ان مثل هذه الحلول قادرة على معالجة هموم انساننا وحسم اشكاليات التخلف؛ نجم عن هذا الاغتراب، ازمة مركبة في وجدان المغتربين مكاناً، الذين وجدوا انفسهم وجهاً لوجه

---

(1) زكي نجيب محمود: ثقافتنا في مواجهة العصر ط3 بيروت 1982 ص 25 -28 وكذلك تجديد الفكر العربي ط4 بيروت 1978، ص 301 – 302 قارن ذلك بدارستنا الموسومة العرب بين ديمقراطية الآخر واستبداد الذات (الندوة الفلسفية العربية الثانية) – عمان (تشرين أول 1999 المؤجلة) ص 3.

(2) سيد قطب: معالم في الطريق دار الشروق القاهرة 1960 ص 158-160، راجع له: جاهلية القرن العشرين دار الشروق: القاهرة 1988 ص 51-52.

(3) محمد أحمد خلف الله: العروبة والإسلام الكويت 1982 ص 83-84.

(4) راجع عن ذلك ما كتبه:

أ- فاضل الخياط في إعادة البناء عربياً دمشق 1989 (كاسيت) ورسالة إلى الدكتور سلام / موسكو في 1991/3/2 و رسالة إلى السفير الجزائري بدمشق في 91/4/3 و 1991/12/31، ورسالة إلى جمعية العراق الفلسفية بغداد 1993/7/20. ونقد مصطفى الفقي لفاضل / الخياط وقانينه الجدلية (مجلة الغد الديمقراطي – بيروت عدد آذار – نيسان سنة 1990).

ب- وكذلك: سلامة كيلة: إشكالية القومية والدين في التاريخ العربي (مجلة الوحدة العربية ع 51 الرباط 1988 ص 261 – 270) وله: أزمة الخطاب القومي العربي (المؤتمر الفلسفي العربي الثالث) عمان 1992 ص 2-14.

امام الازدواجية الغربية، بالتأويل تارة والمراجعة اخرى، والتراجع ثالثة؛ ولم يسلم من مأزق المنعطفات الكبرى، لا انصار الماركسية ولا الذرائعيون، او الوجوديون! بعد ان استحلبت الاحداث الاجوبة التقليدية عن الامة والروح، والحرية والملكية، والدين وجعلتها مأزومة بسبب طبيعة العلاقة التي فرضها (الغرب) على (العرب) بدا معها العرب غرباء عن متطلبات الحياة الحرة، والتقدم التقني! بسبب ازدواجية (الحرية والاستبداد) في بعدهما السياسي العربي، ولعل من نافلة القول التذكير (بالرؤية العقلانية النقدية) التي ترى، في الانتماء الى حركة الامة والوطن والتاريخ، ما يحرر المرء من صور الاغتراب الانفة، فالمنتمي حقاً، للعروبة هو الملتصق بهموم مجتمعه والساعي الى تجاوز قصور الواقع، بالفعل المتبصر ـ الكاشف عن جوهر الوعي المطلوب في هذه المرحلة، اما المغترب؛ فهو الذي يحاول التعلق بحركة الامم الاخرى وتاريخها واجوبتها، من غير ان يدرك الفرق بين ظروف تطورها وظروف تطور المجتمع العربي، كما ظن. ان مستقبل العرب يمكن ان يكون مثل (حاضر الغرب) المتقدم، اذا ما سار على خطاهم وحذا حذوهم وقلد اجوبتهم، متناسياً ان الغرب نفسه يرفض عد (الحاضر العربي) صورة لماضيه هو! لاختلاف مكونات الحضارتين الغربية والعربية وان اجتمعتا في (اللحظة التاريخية)!.وكلا التيارين الماركسي ـ والليبرالي، وقعا في دائرة الاغتراب المكاني، بعد ان ظن البعض، ان مسيرة التطور العالمية واحدة عند جميع الامم والشعوب، وبالامكان تعميم التجربة (الشيوعية) – مثلاً – على اية بقعة من بقاع الارض، من غير ادراك حضور او غياب، شروط الاستنبات الحضاري المغترب! وهو الذي جعل (الماركسي ـ العربي)[1] يعيش معاناة الاغتراب اليومية حين يجذبه بريق التقدم

---

(1) راجع ناهض حتر: مستقبل الماركسية العربية، محطات منهجية من أعمال المؤتمر الفلسفي العربي الثالث عمان 1992 ص 1-25 الذي وجد في ضغوط الواقع العربي سبباً للدعوة للمصالحة بين (الإقتصاد والقومية والدين) في حوار الماركسيين مع القوميين والإسلاميين (ص2).

أ- وله: الماركسية العربية والحركة الشيوعية العربية عود على بدء (مجلة الطريق) بيروت ع 2 آذار 1994 مذكراً (وطنياً بنداء زحلة سنة 1934) الذي نشر تحت عنوان: في سبيل وحدة عربية – شارك فيه (ميشيل عفلق وصلاح البيطار، وكامل عياذ، وجميل صليبا ومصطفى العريسي، ويوسف خطار الحلو وإلياس فرعوني، وآخرون) وكتب نصه: سليم خياطة، للبحث في المسألة القومية منذ ذلك الحين (ص9) ثم جاءت دعوة كريم مروة في لبنان إلى مصالحة الفكر العربي والديني في كتابه (حوارات)

الغربي ومدنيته الراقية من جانب؛ ويمنعه الواقع العربي التاريخي، من تحقيق هذا الهدف[1]، من جانب اخر مما تركه تحت وطأة التأزم مع (التراث) والماضي، ومع (الاخر) وحاضره، ومع الواقع العربي وحقيقته الغائبة، وجميع هذا يكشف عن اغتراب مكاني مرهق[2] في الفكر العربي! واغتراب الليبراليين العرب هو الاخر جاء كاشفاً عن حقيقة الازمة منذ نصف قرن، فلقد وجد (محمد البهي) بقراءة (بكري) له، انه ومنذ عام 1957 قد كشف عن وجهة الاغتراب في الفكر العربي ممثلاً بالانفصال، (التأزم) بين (المسلم وثقافته) بعد ان ملأ الاستشراق – وبدعم استعماري – الفراغ بفكرة (الالحاد المادي) بين الشباب العربي، كوسيلة لحل مشكلاته الاجتماعية، وهذا الحل في حقيقته، اغتراب واضح، لتقاطعه مع الموقف الحضاري العربي الساعي الى الاصطفاف مع الوحدة والديمقراطية ومواجهة التحديات[3] الذاتية والموضوعية. وكان من امثلة الاغتراب الليبرالي/ الذرائعي في

بيروت 1996 وله: الماركسية العربية المفهوم والإنجازات والمستقبل عمان (1995) المؤتمر العربي الرابع ص 3 وما تلاها.

ب- نسيب نمر: مستقبل الماركسية والحرية، المؤتمر الفلسفي العربي الرابع، عمان 1995 ص 3 وما تلاها.

ج- هشام غصيب: نقد قوى اليسار العربي (في سبيل بعث اليسار العربي) المؤتمر الفلسفي العربي الرابع عمان 1995 ص 1-2

- وله: المثاقفة الإستغرابية ودورها في بناء فكر نهضوي عربي، من منشورات مجلة الأداب البيروتية ك/1993/2.
- وله: ثقافتنا في ضوء تبعيتنا (الوعي المأزوم) الرأسمالية العربية التابعة دار التنوير العلمي عمان 1991 ص 9-26.

د. أحمد المسلماني: دراسة عن الحركة الشيوعية في مصر (مركز الدراسات الإستراتيجية) الأهرام 1995، راجع عنه: جريدة العربي القاهرية ع 131 في 23-11-1995 ص 2.

(1) بكري محمد خليل: الفكر القومي بين الإغتراب والنقدية التاريخية بغداد 1997 ص 1-27.

(2) أيضاً ص 22-23.

(3) قال فخري صالح في مقال له تحت عنوان (تغير العالم فهل نتغير نحن) نشر في دوليات جريدة الدستور الأردنية يوم 1994/7/17 يستهزيء به من شروع مواجهة المرحلة (بخطاب قومي متصلب) أو (خطاب ديني يصر على العيش في الماضي)، أو (الإنكماش على الذات) وجميع ذلك يؤول إلى كارثة إذا لم نركب موجة العولمة!.

زماننا هذا ما كتبه فخري صالح[1] وسالم يفوت[2] وغيرهم[3] من دعاة العولمة.كما عمق التوجه نحو الاغتراب المكاني، تناقضات الواقع العربي القطرية ومشكلات الفقر والمديونية، وطغيان النزعة الاستهلاكية والتخلف العلمي والتقني والمعلوماتي، وتفاوت الدخول، وتعقد المشكلات التربوية والاجتماعية والنفسية، والتقاطع الاعلامي.. السياسي الخطير وما نجم عنه من ريبة وشك وازمة ثقة وانحياز للاجنبي، حتى يمكن اجمال ابرز مظاهر الاغتراب في المجتمع العربي المعاصر بما يأتي:-

1- السعي الى خلق هوية زائفة للمجتمع العربي، وللمنطقة العربية تحت مظلة الشرق اوسطية تارة والافريقية اخرى، والليبرالية الجديدة ثالثة، والحضارية/ القومية/ التاريخية، رابعة وغير ذلك كثير!

2- احتواء القوى العربية الناهضة واجهاض مظاهر الصعود العربي، في العلم والتقنية والسياسة والاقتصاد والفكر والادب. ومحاصرة قواعدها المشعة، للحيلولة دون امتداد تأثيرها قومياً من مراكز الاشعاع الى حيث الساحة القومية.

3-عد التجزئة (حقيقة مطلقة) لالغاء هدف (الوحدة) وفكرتها كلياً من الذاكرة العربية، وتشتيت الطاقات العربية بالصورة المعروفة.

4- استنزاف الثروات بطريقة غير عقلانية، والوقوع في مطب النزعة الاستهلاكية واستدعاء القوى الاجنبية للتحكم بالمصير العربي، ولا سيما في الخليج العربي (مكمن الثروة)، وافقار الاجيال المستقبلية وفق مخطط رأسمالي خطير!

---

(1) الذي انتقد في بحث (النظام الفلسفي الجديد عمان 1995 ص 1- 32) موقف مطاع صفدي، لأنه يعتنق موقفاً قومياً يفخر بالزعماء العرب (ص5 -9) يقارن مع رأي صفدي: مدخل في قراءة القائد التاريخي، مجلة آفاق عربية ع تشرين الثاني 1989 (ص 8-15).

(2) يراجع ما كتب سيد يسين في: الوعي التاريخي العربي والثورة الكونية، حوار الحضارات في عالم متغير (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية (الإهرام) القاهرة 1995 ص 8-30) وكذلك محمد هادي أبو ريدة: تجديد الحاضرة المعاصرة مجلة الجمعية الفسفية المصرية ع1 سنة 1992 ص 199-247.

(3) حللنا هذا الأمر في بحثنا الموسوم: العقل العربي بين قرنين صراع أم حوار؟ - المغرب والخروج من نفق القرن العشرين مجلة الآداب / 1997 ص 113-144.

5- الاساءة للاهداف القومية المشروعة، والمبادئ الانسانية، وتهديد الثوابت والمحرمات العربية، وتشويه صورة القيادات الشعبية، وتسخيف الافكار الاجتماعية.

6- ادارة عمليات التخريب الثقافي والاعلامي وشراء الذمم، والحرب النفسية، وتهجير العقول والكفاءات او تسخيرها او تخديرها، او تدميرها، لحرمان الوطن من ابداعاتها، وفتح الابواب امام موجات من الغزو الفكري والثقافي والقيمي المضاد لبنية الشخصية العربية، وتشويه (التجربة الديمقراطية) وتحويل الخلاف في الرأي، وسيلة للقطيعة والتدمير، والتدمير المضاد، وغلق النوافذ والحيلولة دون الحوار البناء بين القوى والفعاليات والمرجعيات العربية، وتغليب لغة العنف، والعنف المضاد، واحتكار (الحقيقة) والغاء (الاخر) او احتوائه! والتشويش على الشباب، وارباك عمل المؤسسات الاكاديمية بوسائل مختلفة وشطب الحضور الاجتماعي للدولة من خلال تفكيك مشاريعها، ومؤسساتها؛ وبيعها الى القطاع الخاص! بما يثقل كاهل المواطن العربي ويحرمه من الحماية والدعم الرسمي ولاسيما ابناء الفئات ذات الدخل المحدود.كل صور الاغتراب هذه، نجم عنها في زماننا هذا تقاطع واضح وبين في الخطاب العربي والرؤية والدوافع والتوجهات بين:-

أ. الخطاب التحرري المستقل وخطاب الهوية العربية على الصعيد الحركي.

ب. الرؤية الوطنية، والمنظور القومي الانساني على صعيد العلاقات السياسية! والاقتصادية والثقافية والاعلامية وحتى الامنية.

جـ. الدوافع القطرية، والمصلحة القومية العليا على صعيد (المنافع)!

د. التوجهات العقيدية التقليدية وروح النقد البناء والحوار الهادف والمنهج العلمي، على الصعيد الفكري والبحثي.

هـ. الحداثة ومكوناتها مع الاصالة الحضارية على الصعيد التاريخي، بهذه الكيفية تكشفت حقيقة الاغتراب واثاره المؤذية داخل الحياة العربية المعاصرة، ولاسيما بعد هبوب اعاصير (العولمة) وشرور النظام الدولي الامريكي الجديد،

وتسخير القوى الكونية، لامكاناتها التقنية والمعلوماتية الراقيـة، في اخـتراق بنيـة العقـل العربي والتأثير عليه، عبر البث الفضائي والانترنيت وغيره.

ولكن جميع هذه (الصور السلبية عـن الاغـتراب في الفكـر العـربي) لم تحـل دون تمكـن الامة العربية من "التعبير عن هويتها ومبادئها وقيمهـا، في المحـيط الـدولي" كلـما وجـدت الى ذلك سبيلاً، يشهد عليها جملة المواقف المشرقة في الوطن العربي، والكاشفة عن جوهر الـوعي العربي، المعبر عن رؤيا العقلانية العربية النقدية المطلوبة في زماننا هذا للخروج من الاغـتراب وصوره! نعم، بامكان العقل العربي مستقبلاً اذا ما استثمر عناصر القوة فيه – واحسن ترتيب علاقاته مع الامم الاخرى؛ المبـتلاة بشر ـور العولمـة، ان يخـرج مـن الاغـتراب المركـب المتمثـل، (بمنطق اقتصاديات السوق، والعولمة، الـركض وراء المصـالح الكـافرة بـالأمم وسـطوة القطـب الواحد، وتغليب لغة القوة والتمركز، والسيطرة والاكراه السياسي، والارهاب الـدولي، والمعـايير المزدوجة، وتخريب العلاقات، وتمزيق العهود والمواثيق والاتفاقـات البنـاءة ..الـخ]، اقـول: لمـا كانت حالـة الاغـتراب مفروضـة علينـا بحكـم عوامـل (ذاتيـة) واخـرى موضـوعية (خارجيـة) فبأمكان المصلحين، الخروج في الالف الثالث للميلاد الى افاق ارحب بالانسـان والـوطن اذا مـا حققوا المنجزات الاتية:

1- التعمق في معالجة مشكلات الانسان العربي، من خلال الديمقراطية، وبناء مؤسسـات المجتمع السياسي والمدني والتربوي والاقتصادي السـليم، الـذي يعمـل فيـه الجميـع مـن اجـل اهداف المؤسسة وليست افراد قلائل يسخرون المؤسسات لمصالحهم الضيقة!

2- وضوح العلاقة بين (الدولة وسلطتها ومؤسساتها) مع الشعب ونخبه ووسائل الثقافة والاعلام، بما يؤكد جدلية الخاص والعام، في كل شيء، وعلى جميـع الاصـعدة، واطـلاق طاقـات الانسان الحبيسة، وغرس بذور حسن الظن، وتعزيـز روح الشر ـاكة في الحقـوق والواجبـات في العسر واليسر؛ على اساس من المواطنة الحقة وحسن الادوار والشعور بالمسؤولية المشتركة.

3- تحقيـق التوافـق بـين البعـدين (العلمـي والمعـرفي) للـتراث والحداثـة في مسـتوياتها (الاولى، والثانية) – وان لم تحضر بعد – على الصعد الثقافية والعلمية لتضـييق الفجـوة بيننـا وبين الدول المتقدمة.

4- اصلاح الصلة بين (الوطني) و(القومي) وبين الديني والقومي، وبين القومي والانساني على اسس تعاقدية وعرفية واضحة.

5- تطوير الدراسـات الاحصـائية والميدانيـة/ الاجتماعيـة؛ والمسـتقبلية لرسـم اتجاهـات التطور، والتغير، واحكام لغة الحوار، الفكري والتفاعل المتبادل بـين فئـات المجتمـع وطبقاتـه، ونخبه وفعالياته.

6- استكمال بناء نظام عـربي ثقـافي/ اعلامـي/ معلومـاتي، مشـترك يأخـذ بنظـر الاعتبـار، التغيرات العالمية، والحوار المتكافيء مع الاخر ويحفظ الهوية ويغني الفكـر الانسـاني ويحقـق الاهداف المرحلية للامة.

7- تعزيز تقاليد العقلانية النقدية، في السياسة والفكر والمجتمع والكشـف عـن حقيقـة الاخر، وبيان نقاط القوة والضعف فيـه وتأثيراتـه السـلبية والايجابيـة، لوضـع خطـة لاوليـات التعامل معه في ضوء هذا الفهم، بعيداً عن الانغـلاق والتعصـب الاعمـى والتطـرف والتقليـد، وبما يعزز قوة العقل العربي، ومرونته، ويمنحه فرصة اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسـب بما يعبر عن (الفعل الواعي) والمتبصر ويخـرج بـه مـن (ردود الافعـال المتشـنجة) والعاطفيـة والانية والمؤقتة.

8- اصلاح علاقة (الفرد) بالجماعة والسـلطة والمرجعيـات بتوظيـف الرؤيـة النقديـة، في السعي للخروج من غصة الاغتراب، والغربة، الزمانية والمكانيـة، وبمسـتوياته المختلفـة داخـل كل واحدة من هذه الاشكال، فليس هناك اخطر من احبولة (غربية) يرددها الاعـلام الاجنبـي لفرض الاغتراب على الشباب العربي، كتلك التي تقول "ان السلطة السياسية العربيـة مغتصبـة والحكام لصوص، ومن حق المواطن (الرد على اللصوصـية بمثلهـا) كلـما وجـد الى ذلـك سـبيلاً، واستغلال الفرص لتدمير هذه السلطة، وسرقة ما يمكن سرقته من سلع ومـواد وامـوال، حتـى وان تطلب الامر استعمال العنف والتخريب وبث الفوضى في جوانب الحياة المختلفة"!

ولا ننكر، ان مثل هذه السموم وجدت اذناً صاغية عند البعض! فاستجاب لها بدرجات مختلفة لاسباب نفسية واقتصادية وتربوية واجتماعية (مرحلية) وفي اكثر من قطر عربي، تحت تأثير قساوة الظروف ومعاناة الناس، وضبابية المستقبل، نقول هذا من غير ان نبرر السلوك البوليسي للعديد من السلطات العربية في المشرق والمغرب؛ التي عجزت عن حل معضلات الحياة وقسوتها، تلك القسوة التي جعلت الابناء يبدون غرباء بين اهليهم وذوي قرباهم وفي وطنهم، فكانوا يلجأون الى الهجرة كحل لهذا المشكل احياناً، وفي احايين اخرى يندفع الشباب الى الاتيان باعمال (الفوضى) او رد الفعل المتشنج، او الانفلات او الرفض، او التحلل الاخلاقي او الانفصال عن ارومتهم الوطنية والقومية والاجتماعية، تحت وطأة الاحساس بالقنوط والغربة وخيبة الامل وقتامة المستقبل واليأس من مجمل النظام السياسي العربي، والقناعة بعجزه.

تلك واحدة من اخطر اشكاليات الحياة العربية في القرن العشرين نبهت عليها العقلانية النقدية وحذرت منها بعد ان ارادها الخصوم وسيلة لاتعاب العقل العربي والنظام العربي السياسي والاجتماعي وتركه منهك القوى، وابقاء الشريحة الشبابية ضائعة، بعد ان شعرت بانفصالها عن واقعها وكونها تعيش اجواء الغربة الفعلية في كل شيء. وهو امر خطير، تنتقل فيه الغربة من بعدها الباطني (الذاتي) الى موضوعها (الاغتراب) المعبر عنه عملياً بالسلوك السلبي تجاه الجماعة والوطن، وهو اخطر انواع الاغتراب المعاصر.واذا كانت صورة (الغربة) و(الاغتراب) الاجتماعي والسياسي والسايكولوجي، ماثلة للعيان في بعض شرائح المجتمع العربي، من جميع الفئات والطبقات لاسباب ذاتية وموضوعية، فان ثمة مثل اخر للاغتراب على صعيد الفن، ان كان تشكيلاً ام مسرحاً ام موسيقى ام تلفزيوناً او سينما ام عمارة تجسد في سلسلة الاعمال الفنية التي لا صلة لها بهموم مجتمعنا ولا تراثه او تكوينه الثقافي وسبب هذا الامر ناجم من اغتراب الفنان عن فنه ومجتمعه المحلي، "فالفنان في غربة لانه لا يتحدث عن الفن الا مع زملائه في الصالات او في بلاد غير بلاده، اعتاد جمهورها على زيارة المتاحف والمعارض الفنية"[1]، او لوجود قطيعة ثقافية بين الفنان، وبين التيارت الفكرية والادبية داخل مجتمعه، او

(1) وليد خالد: التشكيل العراقي مجلة الموقف الثقافي ع2 بغداد 1999 ص 141- 142.

لوقوعه تحت سحر التيارات العالمية الغربية[1] اكمل هذه (الغربة) بين الفن والفنان والجمهور، اغتراب اخر يعاني منه، المثقفون ولا سيما النقاد، مما حال دون تحريك المناخ الفني وحل معضلاته! مع ان النقد والنقاد هم الوسيلة الاكثر تحريكاً للجو الثقافي في المجتمع، ودفع مسيرة التقدم الى امام.

ولا يعني الحديث عن (الاغتراب في الفن) التغاضي عن المنجزات الفنية الرائعة المتحققة على الصعيد الجمالي/ والفلسفي، وان كانت بنا حاجة الى تطويرها، والارتقاء بها لتكون بحق مدرسة ذات ملامح اجتماعية وفكرية بينة، تنطوي على رؤية اخلاقية وعقيدية وتربوية متجددة تليق بتطلعات هذه الامة، وتجعل منها عوناً للامسم الاخرى في عملية الدفع الحضاري والتقدم العلمي والفني والاجتماعي والتقني، في القرن الواحد والعشرين.

(1) يراجع بحثنا الموسوم العقلانية العربية النقدية والموقف من المتغيرات الفلسفية العالمية المعاصرة. بيت الحكمة سلسة المائدة الحرة 38 بغداد 1999 ص 225-262 .

الخلاصة

عانى فكرنا العربي الحديث والمعاصر، من اغتراب، مركب، ذاتي وموضوعي زماني ومكاني، (سلبي وايجابي) يمكن ايجاز رأينا فيه بما يأتي:-

أولاً: الاغتراب الذاتي

نفسي التكوين كغربة العارف او المؤمن او الصوفي، بين موضوع معرفته، ومحيطه، او عقيدته! والشعور بالحاجة! إلى الأمن والأمان.

ثانياً: الاغتراب الموضوعي

ويتوزع على مستويات ودرجات:

1. اغتراب معرفي: كغربة العالم عن موضوع علمه في مجتمع جاهل، متخلف لا يستجيب الى دواعي العلم، وغير قادر على استيعاب اراء العالم وتصوراته، ولم يستفد من علمه! في الخروج من تخلفه.

2. اغتراب، عقيدي روحي، كغربة المسلم خارج دائرة الاسلام، او غربة المتدين خارج دائرة الايمان، او غربة غير المتدين في دائرة الايمان، او غربة المتدين في مجتمع لا ديني!

3. الاغتراب التكيفي: وينشأ عن صعوبة توافق المرء مع الوسط الذي يجد نفسه فيه مضطراً، كغربة البدوي في بيئة جبلية او غربة ابن الريف في المدينة الكبيرة، وغربة ابن المدينة في البيئة الصحراوية القاسية!.

4. الاغتراب/ الوطني – الاجتماعي: كغربة المسافر في ديار الغربة مع اشتداد احساسه بالشوق الى لقاء الاهل، او تشوقه الى ارضه وناسه، واجواء مجتمعه، ومشاهده الاثرية والدينية وحتى اغانيه الشعبية ورقصاته (الفولكلورية).

5. الاغتراب التقني: كغربة ابناء المجتمعات النامية ازاء تقنيات العالم الصناعي الفائقة، او كغربة العمال والمنتجين، ازاء (الانسان الالي في الصناعة) وغربة مشاهدي التلفزيون من ابناء العالم الثالث، ازاء المعلوماتية والاعلام والانترنيت والبث الفضائي، وجميع التقنيات، المستعملة في الاتصال والاعلان!

ثالثاً: الاغتراب الزماني/ المكاني

كغربة الانسان المعاصر عن عناصر القوة في عصره، بسبب تعلقه بصور (الماضي الذهبي!) للذات، او غربة (صورة المستقبل) قياساً الى الحاضر السلبي! او غربة العصري (العصراني) في مجتمع متخلف منغلق او غربة المغترب خارج موضوع انبهاره فيرى مستقبله في حاضر الاخر! المعاصر له او يظن ان حاضره هو ماضي الاخر!

رابعاً: اغتراب سياسي

يتجلى في شعور البعض باغترابه عن سلطته او شعور الحاكم بغربته عن مرحلته، او مجتمعه او شعور النخبة، بغربتها عن وطنها، او بسبب حدوث قطيعة بين (النخبة) و(الفكرة) او بين (الفكرة والواقع)، او بين (الاهداف والوسائل)، او بين (الواقع والحقيقة).

ان اشق ما يؤذي المرء؛ اجتماع العديد من هذه (الاغترابات) في مكان واحد وزمان واحد، على انسان واحد، او مجتمع واحد، يتركه في (دوامة المفلوك) التي تحدث عنها الدلجي، حين قسمها الى (فلاكة مالية) و(فلاكة حالية) اجتماعية، فيضيع صاحبها في دوامة الغثيان والغربة، عن علمه وناسه ووطنه، واسواقه، وحاجاته، ومستقبله، وهو ما يراد لانساننا العربي، في زمن يتوحد فيها الغرباء، مع بعضهم ليكونوا (قوة) قادرة على الثبات امام التحديات الكبيرة لتيار العولمة، واعصاره المالي والتقني والاعلامي الهائل! فهل لنا من حافز – ونحن ندخل الالف الثالث للميلاد – يخفف عن انساننا وطأة الاحساس بالقنوط والضياع الناشئ عن

الاغتراب الذي اريد له ان يكون (قدر) العربي؟ لكي تكون العودة الى حظن (الاسرة والمجتمع والوطن والفكر) عنوان التعبير عن تحرير الانسان من الاحساس بالاغتراب واسبابه وتلك مهمة يتعاون عليها (الفرد والمجتمع والدولة) لنخرج بانساننا من (وحدة الاغتراب) الى حيث الهواء الطلق!

الفصل الثالث

اشكالية الاغتراب في الفكر العربي المعاصر
و
مؤثرات العولمة نماذج وامشاج

المقدمة

شهد القرن العشرين، في عقده الاخير، متغيرات كبيرة، على صعيد الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع والمستقبليات، نجمت عن اختلاف (المعادلة العالمية) بين الشرق والغرب بشكل عام، وشرق اوروبا وغربها، والولايات المتحدة الامريكية، على وجه الخصوص، قادت الى تصدع المعايير الفكرية والاخلاقية واختلاط التصورات الفلسفية، عن الانسان ومصيره، والحق وحدوده، والعدالة ومرادفاتها،جرت جميعها على حساب الاجوبة العقلانية، الشاملة والاجتماعية المألوفة.

هذا وغيره كشف عن ازمة التطبيق في التجربة الشيوعية للفلسفة الماركسية، وكشف (لا انسانية) الرأسمالية وفكرها الليبرالي (الفوضوي) وترك ردود افعال (مغتربة) او (منغلقة) في المناطق التي عصف بها تيار الاختلاف لصالح (العولمة) والقطبية الواحدية، التي نجمت عن الاستفراد الامريكي، بالهيمنة على انشطة، الامم المتحدة ومجلس الامن، من جهة، وفي (عالم الجنوب) من جهة اخرى، مما وضع الجميع في دائرة الاستغلال والاستلاب، وحمى (اقتصاد السوق) الذي جاء تحت عنوان (الخصخصة)، (في الاقتصاد) و(الاغتراب) في الفكر، ومنه في وطننا العربي وصل الامر بانصار العولمة الى اعلان نهاية التاريخ لصالح القوى (الخفية) المتحكمة في قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن او الشركات متعددة الجنسية، والمعبرة عن الفلسفة الكيوسية، اقول: لقد كشفت هذه الوضعية عن ازمة في الفكر الفلسفي العالمي، نشأت عن احد ثلاثة مواقف:

الاول: انشغل بتبرير الوضع الذي انتهت اليه الماركسية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي، من خلال فجوة (النظرية والتطبيق). بعد ان القى باللوم على العقول التي لم تفهم قصد ماركس وهو ينظر لفلسفة المادية التاريخية[1] وجد لها الديالكتيكي: وهيكلها الاقتصادي وهو ما وقفنا عنده في الفصل الثاني.

الثاني: ابتهج بالاحداث، وفسرها على اساس انها جاءت شهادة على صواب منضوره (الليبرالي- الرأسمالي) وقيمه الاجتماعية والاخلاقية (الفلسفية).

(1) عالجنا هذا الموضوع مفصلاً في (الفصل الأول) ص 24-48.

كشـف عـن رأي يتجـاوز (البراغماتيـة) الى مـا بعـدها ليشـطب عـلى قـرن مـن التبريـر الفلسفي للمواقف حتى انتهى الامر باصحاب هذا الموقف الى (كيوسـية) عـلى صـعيد الفكـر ومرحلة (سوبر امبريالية) على صعيد السياسة والاقتصاد: مما اثقل كاهل (العقل الانسـاني) لا في (الشرق المتحول) من الشيوعية الى (اقتصاد السوق) فحسب، بل وكذلك في (عالم الجنـوب) الذي كان يحتمي خلال العقـود الاربعـة مـن النصـف الثـاني للقـرن العشر-ين تحـت (نفـق) التوازن الدولي بين المعسكرين العملاقين ثم وجـد نفسـه (في العقـد الاخـير) مـن غـير مظلـة للتوازن: وفي مواجهة (خطط) التجويع والاستغلال والارهاب والاسـتلاب. فـماذا يفعـل وكيـف يداري المواقف (الكونية) للقطب الواحد؟ التي لا تعترف بحدود او قيود امام رغبتها الجامعة في السيطرة والاسـتحواذ عـلى القريـة الصـغيرة الملغومـة: في السـنوات الاخـيرة بمنطـق صـدام (الحضارات والثقافات والاديان؟) فراح العقل (الكيوسي) ينظر لهذه المرحلـة، وكيفيـة اختبـار قوة النظام الرأسمالي وقدرته على الصمود وادارة مسارح الصراع، في القرن الحادي والعشرين، لتحقيق غاية خطيرة واعني بها (امركة العالم)[1].

تلك هي رسالة (المعنى) التي انفعل بها العقل الغربي (الامريكي) الممتـزج برغبـة خفيـة لقوى (لا تاريخية) قفزت على سطح الاحداث منـذ زمـن لفـرض (الامـر الواقـع) في اكـثر مـن ساحة، ومنها (الساحة العربيـة): مـأخوذة بفكـر (عنصر-ي- اسـطوري- متطـرف) يقـوم عـلى التفوق والاستعلاء، ويسـعى الى اقصـاء دور الاخـرين في هـذه الحقبـة مـن الحيـاة الانسـانية المعاصرة لصالح المنظور التوارتي والقـوى الخفيـة المرتبطـة بـه والتـي تحـرك الاعـلام لاغـراض السياسة وخدمة الاسـتراتيجيات الكـبرى وتسـتفيد مـن الثـورة المعلوماتيـة والزيـغ الزمـاني في المفهوم الانفوميدي.

الثالث: طور مواقف فكرية سـبق ونبتـت عـلى السـاحة الثالثيـة توزعـت بـين اغترابـين وموقف ناقد.

(1) موقف مغترب زمانا (تاريخيـا) عـبر عـن نفسـه مـن خـلال الاجوبـة الدينيـة، التـي تعلقت (بالماضي) وبالمقولات (السيانية). ان كانت على صعيد (اليهودية) او

(1) استوفينا هذا الموضوع في ص 22-24 معتمدين على مصادره العربية الإسلامية.

(المسيحية) او (الاسلام). كشف عن حجم (العصف الديني) الذي ساد الساحة الفكرية العالمية والاسلامية والعربية، على اختلاف منطلقات هذا العصف ودوافعه، ووسـائله وغاياتـه بدت فيه المتناقضات على سطح واحد يحركها العامل السياسي الجامح في رؤوس قادتهم قبـل برامجهم الحركية.

(2) موقـف مغـترب مكانـا (جغرافيـا) عـبر عـن نفسـه، بالانفعـال الطفـولي والسـاذج، بمتغيرات الفكر العالمي المنـوه عنهـا في المـوقفين (الاول) و(الثـاني) وراح يتحـدث عـن ضرورة (اعـادة قـراءة النصـوص) بطريقـة جديـدة، او (بتقليـد) الاجوبـة الكيوسـية، تحـت دعـاوى (التناغم) مع المتغيرات العالمية فكـرا وسياسـة واقتصـادا.. وان مالـت الكفـة في هـذا الاتجـاه لصالح (الليبرالية الغربية) ودعواها في تبني فكـرة (العولمـة) والابتهـاج لشـعار امركـة العـالم الكونية.

(3) موقف ادرك مخاطر الاغترابين (الزماني) و(المكاني) على التاريخ والجغرافيا لما ينطوي عليه هذا الاغتراب من (تناقض) في الحلول والاجوبة والقناعـات حـد التطـرف الـذي احتوتـه الاجوبة (السيانية) والاجوبة (العلمانية) النافية للـدين جملـة وتفصـيلا أو المتشـبثة بـه بهـا، اقول: ان هناك موقفا ثالثا[1]، تخطـى ازمـة الاغـتراب، والتقليـد، وتحـرر مـن احكـام الاجوبـة الفلسفية (الشمالية). وراح يبلور حلول فكرية نقديـة، تتـوازن فيهـا معادلـة (الانـا والاخـر) و(الذات والموضوع) و(الماضي والحاضر والمستقبل) و(العلم والدين والفلسفة).. انـه الموقـف (العقلاني النقدي) ولسعة، مساحة هذه المواقف في اوروبا وامريكا اللاتينيـة وافريقيـا واسـيا، ولصعوبة الاحاطة بها في مثل ظروف الحصـار التـي يعيشـها المفكـر العراقـي سـنتفحص هنـا الاتجاهات المغتربة وموقفها مـن تلـك المتغـيرات لوقوفهـا خـارج (الفعـل العقـلاني) المتبصر الباحث عن (موقع) في خارطة الفكر الانساني، عـلى الـرغم مـن (الغمامـة) التـي تضـلل تلـك الخارطة في زماننا هذا بتاثير منطق (العولمة) اللاعقلاني واعصاره الاعلامي، معتمـدين في ذلـك عـلى اجوبـة (عربيـة) واسـلامية، و(محايـدة) للوفـاء بمتطلبـات البحـث الفلسـفي المنشـود. متوقفين عند امثلة من المواقف الفلسفية داخل الفكر العربي سجلت في العقد الاخـير اجوبـة بالضد من التطور العقلاني النقدي الذي سنفرد له بحثا مستقلا في المستقبل ان شاء الـلـه.

(1) استعرضنا ذلك بإسهاب في الصفحات 13-21 استناداً إلى مصادره الأصلية والمعاصرة جداً.

أولاً:

الاتجاه المغترب (المنفعل) زمانا

سنقف بايجاز عند (الاجوبة المنفعلة) داخل الفكر العربي ذات الصلة بالمتغيرات العالمية، او ردود افعال لها ما دام الامر يتعلق بالموقف من المتغيرات، منطلقين من فرضية.. تقول "ان الموقف الفكري داخل الوطن العربي، مهما كان منشأه، يدخل في دائرة التحليل والدراسة حتى وان كان مناقضا لمنطلقاتنا العقلانية النقدية "فهو محسوب على الفكر العربي شئنا ام ابينا او متأثرا بتيارات الفكر الاممي بشكل او باخر، فكيف نظر عقلنا العربي الى مثل هذه الاغترابات؟

1. الاغتراب الزماني والنزعة السيانية – التاريخية:

لما كانت الاجوبة (الدينية) - المختلفة – ذات منطلقات ودوافع قد تبدو (متناقضة) لكنها من حيث الجوهر تجمع على تصورات مركزية ورؤى متقاطعة مع الموقف (العقلاني) النقدي مع ذلك فالضرورة تقتضي المرور سريعا على اهم واخطر هذه التصورات التي شهدتها الساحة الفكرية الحديثة والمعاصرة، مع الاخذ بنظر الاعتبار، وجود تيار متوازن سنقف عنده قدر المستطاع اعترافا منا بعقلانيته الدينية.

(أ) وظفت (اليهودية) بطريقة متطرفة، من قبل انصار الحل التوارتي[1] وهم يسعون الى تنفيذ مشروعهم ضد الارض العربية والعقل العربي والمجتمع العربي طوال قرن من الزمن، وتصاعد هذا التوظيف في العقد الاخير من القرن العشرين متناغما مع (الفكر الرأسمالي) وافرازاته السلبية. ان الفكر الصهويني قام على

---

(1) هذا الموضوع متشعب عالجناه في دراستنا الآتية:

أ. منطق الصراع في الفكر العربي المعاصر والبحث عن موقف فلسفي جديد دراسة في الفكرالصهيوني – الإستعماري. وتناقضه مع فكر النهضة العربية، ملف نحو فهم عربي لفلسفة التاريخ (معهد الدراسات القومية والإشتراكية) بغداد 1993 ص 58-103.

ب. الفلسفة ونهاية التاريخ بحث منشور في مجلة كلية الآداب عدد (40) بغداد 1995 ص 38-54.

ج. المشروع العربي الإنبعاثي والمواجهة مع الصهيونية بحث مقدم للمسابقة القومية، بغداد 1998، ص 12-42.

(ذرائع اسطورية)[1] تتحدث عن الشعب المختار، وارض الميعاد و(سبت التاريخ) ومركز توحد (الانسان بالاله) في الكون، وكان في جميع ذلك منفعلا بمقولات توارتية سياسية خطيرة تقوم على التزوير والتزييف والارهاب والتطرف والاستعلاء ولا سيما بعد ان وجد ذلك التناغم فرصة الاعتراف من مصدر واحد استعماري – توارتي- يستحث اصحابه لتحقيق (الدولة العالمية المقدسة) لشعب موعود تجري في عروقه دماء مقدسة، يتطلع الى فرض هيمنة على (الاغيار) من الامم والشعوب كافة من جميع الاسماء والالوان وفي مقدمتهم (العرب والمسلمين) انها حكاية الجلاد المقدس والهدف المقدس والضحية المقدسة. ولم تتردد (الصهونية) في توظيف بعض المقولات الفلسفية الهيجلية المحرفة، في الوصول الى غاياتها اللاتاريخية مثل حلول المطلق في الشعب المختار. (والاتحاد بالمطلق) (والنهاية السعيدة) ولتنفيذ الوعد الرباني لاسطورة عمرها. الاف السنين[2] وهو مشروع يجري تنفيذه بالحديد والنار على ارض فلسطين وبما يتقاطع مع الدافعية السايكولوجية التي استشعرها قدماء اليهود، وهم يرون ذلك الوعد في (الحياة الثانية) لا في هذه الدنيا،على رأي فيلون الاسكندري[*] (30 ق.م-50 م) ان تسييس الدين، واستغلاله بالصورة التي جرت عليها الحوادث والاحداث، وكتب عنها التوارتيون الجدد واباؤهم، تكشف مغزى (فكرة نهاية التاريخ)[3] فلسفيا، التي تحدث عنها الدكتور المسيري، قبل تأليف (فوكوياما) لكتابه بعقدين من الزمن، وقبل ترجمة هذا الكتاب الى العربية. ان الذي يتابع جغرافية الفكر الصهيوني ونشاطه المتزايد في السنوات الاخيرة، ممثلا بمكان تحت الشمس "لنثنياهو وغيره، لا يستبعد استغلاله للواقع السئ الذي يعصف بالعرب والمسلمين، مستفيدا من المتغيرات العالمية (السلبية) المنوه عنها في مقدمة هذه الدراسة للوصول الى الوضع الذي يتلائم مع تكوينه الايديولوجي والفلسفي، ودوافعه التوارتية العنصرية المتقاطعة مع

---

(1) شفيق مقار: قراءة سياسية للتوراه (الطبعة العربي) لندن 1987 ص 178 وما تلاها.

(2) روجيه غارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة (دار الغد العربي) للنشر القاهرة 1995 من 25 وما تلاها.

(*) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ط4 القاهرة 1958 ص 249.

(3) عبد الوهاب المسيري: نهاية التاريخ المؤسسة العربية ط 2 بيروت 1979 ص 54-65. صدرت الطبعة الأولى عام 1972 تحت عنوان، نهاية التاريخ مقدمة لدراسة الأيدلوجية الصهيونية.

الحق العربي والفكر العربي، قبل كل شئ والذي لا يمكن التغافل عنه في اية (دراسة او تحليل او استشراف للمستقبل العربي) والا يجوز السكوت عليه لاي سبب كـان عـلى طريقـة النعامة والخطر الداهم.

(ب) واذا اعتذرناعن الوفاء بمتطلبات البحث، في حيثيـات (النزعـة المسـيحية) المتطرفـة في هذا القطر العربي، او ذاك، لتعذر حصولنا على المصادر الموثوقة والمحايدة والباحثـة عنـه في كيفية تسخير الدين من قبل بعـض الجماعـات، في (الجزائـر، والعـراق، والسـودان، ومصرـ ولبنان..الخ) خدمة لاغراض اجنبية، لاتريد خـيرا للمسـيحية ولا بـالعرب ولا بالمسـلمين عـلى الرغم من المناخ الانساني المتحرر لجميع الاديان في الوطن العربي، الذي شهد قبل غيره، ميلاد (الفلسفات) التي تتحدث عن (مدينة الـلـه)[1] كما رأها القديس اوغسطين (في الجزائر) قبل ستة عشر قرنا. والداعية لتعلق، المسيحي المؤمن، (بعـالم الدينونـة) نقـول هـذا، مـن غـير ان نقطع ببراءة الساحة العربية اليوم من دوافع سياسية خارجية تغلغت (بـدعوات انفصـالية) هنا او هناك، تزداد مخاطرها، مع كل (خطة ضغط على الوطن العربي) كالـذي حـدث مطلـع العام 2000 في الارض المحتلة، في اطارما يعرف بتهويد المسيحية وصـهينة المسـيحيين، لتفـتح فجوة داخل (خندق الفكر العربي) طرفها الخفي بيد الدخلاء اما الظاهري، فله شكل ومظهـر اجنبي وذريعة، اجتمعت في زماننا هذا، تحت مظلة (الحضارة الغربية) التي عـدها الـبعض، نتاج تفاعل (يهودي - مسيحي) مشترك بلغة فوكويامـا وهنتنغتـون مـع ان للمسـلمين، فيهـا الف اساس ومدماك ووشيجة بحكم الحوار الحضاري الـذي وسـم العلاقـة بـين العـرب وبـين اوروبا، وفي ذلك يطول القول والمقام والبحث ولا سيما بعد ان اجتمعت شهادات، غارودي في (جـدل العصرـ) و(جيرنوفسـكي) في الصرـاع في القـرن القـادم عـلى تسـخير المسـيحية لصـالح المشروع الصهيوني الجاري تنفيذه في عالم اليوم.

---

(1) راجعها في اطروحة شرمين حسين عمر النفطجي للماجستير بغداد 1998، قسـم الفلسـفة آداب بغـداد بـإشراف الـدكتور عبد الستار الراوي، راجع أيضاً. برنتراند رسل: تـاريخ الفلسـفة الغربيـة (بالإنجليزيـة) لنـدن، 1976 ص 552 وبالعربيـة راجع حكمة الغرب (ح1/ح2) ترجمة فؤاد زكريا عالم المعرفة، الكويت 1983 ص 249 – 252.

2. الاسلام والمسلمون من السيانية الى التجديد:

واذا فتشـنا في الكشـكول (الاسـلامي)المعـاصر داخـل الفكـر العـربي، وجـدنا الى جانـب (الموقف العقلاني) المنصف والقائل بتناغم (العروبة والاسلام)[1]، ثمة مواقف وتيارات مختلفـة باختلاف طبيعة الاتجاه السياسي الذي يحركها. اكثرها سخونة تلك الفعاليات (السياسية التـي نشطت بعد هزيمة حزيران 1967) واججت الصراع في اكثر من ساحة اسلامية مـما اضـاف الى (المراكز المحركة) القديمة في (السعودية) مراكز جديدة في (افغانستان) و (باكستان) و(ايران) اتجهت شمالا باتجاه الجمهوريات الاسلامية السوفيتية (سابقا) لتعمل عملها التفكيكي، الـذي انتهت اليه الامور بعد عام 1991. وقبله كما هو الحال في الجمهوريات في اسيا الوسـطى كـل ذلك كان وراء:

1. فقدان (السعودية) لسمة (الفـرادة) في الاسـتقطاب الـديني، والـذي مارسـته طـوال العقود الممتدة من عام 1925 داخل التوجه الرسمي (السني).

2. فتح ساحات جديدة للتحرك السياني في الخليج، والمشرق العـربي والشـمال الافريقـي بشكل متطرف على قاعدة مضادة (ايران).

3. تحول (العمل الديني) من مشاريع (دعوتية) منغلقة على نفسها، الى(سـاحات صراع وصدام) بين التيارات الدينية المختلفة على امتداد العالم الاسلامي (من ماليزيا الى نيجيريا).

4. منح هذا الصدام الهادم فرصة ذهبية لاعداء العرب والاسلام (الصهونية والاسـتعمار) للحديث عن (الخطر الاسلامي) الذي يهدد الحضارة الغربيةمستفيدا من

(1) كتب عن ذلك الكثير من الدراسات والبحوث والكتب منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- محمد عمارة: الإسلام وضرورة التغيير (كتاب العربي) (29) الكويت تموز 1997 ص 20-146. كـذلك التيـار العـربي الإسلام (في الفكر العربي المعاصر) دار العودة بيروت 1997 ص 25 -30.

ب- محمد جابر الإنصاري: (رؤية قرانية للمتغيرات الدولية أو شواغل الفكر بين الإسـلام والعصر) المؤسسـة العربيـة للدراسات والنشر (بيروت 1997 ص 15-195).

ج- محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي ترجمة هاشـم صـالح مركـز الإنمـاء القـومي ط2، بـيروت 1996 ص 165-200).

مجريات الامور في (افغانستان، والجزائر ونايجيريا) ووسط افريقيا.. وجنوبي شرقي اسيا وسيبيريا وعلى ذلك أقامَ هنتنغتون نظريته في صدام الحضارات.

4-1: لقد وجدت الحركات السيانية الاممية الدينية مبرراتها الحركية للتنافس العالمي، وتحول النشاط (الديني) لانصار هذا المركز او ذاك، الى نقاط صدام وصراع، وخلاف وتكفير وهجرة انعكس سلبا على الانتماء الوطني والقومي (للمسلم) العربي واساء الى امنه وسمعته وامته في الوقت الذي حرصت فيه الحركات (السيانية) غير المسلمة على توحيد نشاطاتها وفق خطط كونية تبشيرية تجري في الاصقاع النائية او الوثنية وحتى المسلمة. ومهما يكن حجم اثارة التصعيد (الطائفي) او (المذهبي) الديني في العالم الاسلامي والوطن العربي، فان (الاممية الدينية)[1] كانت المدخل المناسب لافكار الناشطين على الساحة القومية من غير ان تخفى حقيقة دوافعها (الاقليمية) لمراكز التحريك لتلحق اذى بالمنافسين الاخرين.. ويتخذ السودان (نموذجا)[2] في ردود الاجوبة على (الحل الاخواني)[3]

---

(1) كتب عنها: الخميني: الحكومة الإسلامية (ولاية الفقية) طبعات عديدة بيروت 1979 (جميع الكتاب). كذلك مهدي بزركان: الحد الفاصل بين الدين والسياسة – ترجمةُ عن الفارسية – فاضل رسول دار الكلمة بيروت 1979 ص 10-80. قارنه بالنزعة القومية التي انطلق منها د. علي أكبر ولايتي في بحثه الموسوم: مدخل إلى العلاقة الكلامية بين المعتزلة والشيعة قسم سنة 1993 من بحوث المؤتمر الألفي للشيخ المفيد: ص 1-16 بالعربية.

(2) راجع عن حقيقة الصراع الفكري، الدموي بين الفصائل الدينية المختلفة، (صوفية وسلفية) وغيرها:

أ- بكري محمد خليل: الفكر الفلسفي عند الجمهوريين في السودان، (اطروحة ماجستير / قسم الفلسفة / آداب بغداد في كانون الأول 1996) ص 18 وما تلاها.

ب- محمود محمد طه، عقيدة الأخوان الجمهوريين (أم درمان) مجلدان منشورة في السنوات 1973 – 1986 ولا سيما رسائله (الخفاض الفروعوني، الرسالة الثانية، الفهم العصري، رسالة الصلاة، طريق محمد – لا إله إلا الله، القرآن ومصطفى محمود، تعلموا كيف تصلون، أسئلة وأجوبة) رسائل ومقالات، السادات. (سمهم الوهابية وليسوا أنصار السنة، هذه حقيقة الأخوان المسملين).

ج- حسن الترابي، أطروحات الحركات الإسلامة في مجال الحوار مع الغرب (صدام الحضارات) بيروت 1995 ص 125 وما تلاها وله الحركة الإسلامية في السوادن، التطور في الكسب والمنهج ط1 (أم درمان) ب ت.

د- الصادق المهدي: مستقبل الإسلام في السوادن، مؤسسة المدينة للصحافة السعودية ط1 خ 1983.

ه- محمد أبو القاسم الحاج محمد: السوادن (المأزق التاريخي وآفاق المستقبل) دار الكلمة للنشر ط1 بيروت 1982 ص 423.

و- عثمان السيد أحمد: الختمية والأنصار في السوادن (الخرطوم) ب.ت.

(3) راجع أبرز أدبياتهم في:

المعروف منذ ثلاثينيات القرن العشرين وهي تجربة لا نستبعد تكرارها في بقية الاقطار العربية غير المستقرة.

4-2: واذا كان تعقد الظروف الداخلية (السياسية) والصعوبات الاقتصادية والمشكلات الاجتماعية والاخلاقية الناجمة عن المشروعات الخارجية (الاجنبية) او اخفاق الحلول الاجتماعية الوطنية، وراء اتساع الفكر الديني (الاممي)[1] وشيوع مقولاته السيانية داخل خارطة الفكر العربي فان اشكالية من اخطر اشكاليات هذا الفكر، قد اربكت العلاقة بين (الديني والقومي)[2] في العقود الاخيرة على الرغم من تواترالدراسات (العقلانية – العربية - النقدية)[3] الجادة وموازنتها لمعادلة (القومي والديني) في اطار (النضال) القومي و الديني المشترك ضد المشروع الجهنمي للامبرياليةو النوازع ا لتوارتية في السنوات الاخيرة موازنتها للنضال (الطبقي والقومي) داخل المجتمع من اجل عدالة التوزيع، وتحقيق المساواة بين الشرائح الاجتماعية في الفرص الحيوية والعلمية. والتقنية وفي الرواتب والاجور والعمل ومكافحة الافات الاجتماعية، والاعتراف بدور الاغلبية الصامتة في صنع القرار السياسي واستثمار الخيرات المشتركة، ووضع الانسان المناسب في المكان المناسب.

أ- علي حسين الجابري، العرب بين منطقي الحوار والصراع بغداد 1996 ص 21-26 عرضنا فيه خلاصة الحل الأخواني.

ب- محجوب عمر: الصراع العربي الإسرائيلي، ضمن كتاب (صدام الحضارات) مصدر سابق، ص 105-109.

ج- محمد عبد السلام (المهندس): الفريضة الغائبة القاهرة 1979 ص 10 وما تلاها.

د- الدكتور رؤوف الشلبي، الشيخ حسن البنا ومدرسته القاهرة ب.ت (ص25 وما تلاها).

(1) راجع ما سجله عبد الحميد صديقي من وجهة نظر سياسية، أممية في كتابه (تفسير التاريخ) ترجمة كاظم الجوادي ب ت ص 110-120.

(2) حسن حنفي، تاريخية علم الكلام (بحث منشور في مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ع1 حزيران 1992 ص 62 وما تلاها) وهو أمر سبق وفصل القول فيه وعنه في بحثه الموسوم الفكر العربي بين التقليد والتجديد، (عمان) 1992. المؤتمر الفلسفي العربي الثالث ص 1-20.

(3) منه على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في مجلة (الفكر العربي المعاصر) ع حزيران 1980 من ملف عن (العروبة والإسلام لمحمد عزيز الحبابي تعريب أحمد المديني) ص 26-30 ومطاع صفدي ص 4 وما تلاها، وخليل حاوي ص 32 وما بعدها، وماجد فخري ص 53 وما بعدها وناصيف نصار ص 12 وما بعدها ومسعود ظاهر ص 67 – 121 ونسيم خوري ص 58 وما تلاها.

3-4: واللافـت للنظـر ان (مهـاترات) و(مجـادلات) (الاسـلاميين) الداخليـة- الفكريـة والسياسية والاجتماعية – كان يصـاحبها عـلى صـعيد (الواقعيـة العقلانيـة)، رغبـة حقيقـة في التعاون والعمل المشترك، لقوى (ماركسية وقومية ودينية) لمواجهة المخاطر والتحديات التـي تعصـف بـالمجتمع العـربي، وتهـددالامن القـومي، العـربي(اقليميـا) وعالميـا بمـا يفصـح عـن (ازدواجية)[1] الفكر والعمل، لقوى مختلفة في الوسائل متفقـة في الغايـات، سـعت بشـكل او باخر لارساء دعائم البديل السياسي على انقاض مشاريع توسلت بقوة السـلاح في الوصـول الى غاياتها.

4-4: وابعد من ذلك وجدناه بين الفصائل (الدينية) على الساحة العربيـة، التـي يفـترض نهوضها (لتحرير الواقع العربي) من اسباب الهيمنة والاستلاب، وجـدنامن يصـطف الى جانـب دعاة العولمة و(النظام العالمي الجديد) مدفوعا بنقمـة عـلى(واقـع الحـال) وبتـأثير (المـبررات الاممية) التي تحركه عمليا وفكريا، ليقفز فوق (متطلبات النضـال الـوطني والقـومي)، لـذلك ساد انصار هذه الاتجاهات والحركات في (ساحة الصدام) نوع من التشـويش الفكـري غلـب على تفكير (قادتهم) وتوجيهـاتهم، مسـتفيدين مـن مبـدأ (الطاعـة) و(التقليـد) التـي سـادت العلاقة بين (الاتباع) و(الامراء) وهم يسعون لحسم الصراع من اجل انتصار (الفئة الناجية)[2] على حساب حقوق الامة (المجتمع العربي) فالخصم (في ضلال مبين) وتلك هـي محنـة ادعـاء امتلاك الحقيقة المطلقة واليقين التام، لهذه الحركة او تلك من الحركات السـيانية في المجتمـع العربي اليوم، مثلما هي بالامس وغدا وستبقى سبب التوتر الدائم فيه وفي غيره.

---

(1) عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ ط2 (دار العلم الملايين) بيروت 1979 ص 69 وما بعدها.

(2) خـالص جلبـي مـن صـفات القـل النقـدي، دراسـة منشـورة في صـفحة دراسـات مـن جريـدة الجمهوريـة اليمنيـة، يـوم 1995/11/23 ص 7 عدد 1006 تحدث فيها عن مخاطر (العقل النقلي) الذي غلب عـلى تفكـير أعضـاء هـذه الحركـات على امتداد الساحة القومية بسبب سوؤ فهم، أو بتأثير مقاصد غير بريئة لمريدي ذلك العضو.

ثانياً:

الاغتراب المكاني ونزعة الانبهار بالاخر (الجغرافيا)

ان واقع (الفكر والحال) في الوطن العربي، وكما كشفته السطور الفائتة، كشف نصف الحقيقة (النصف الذي تعلق بالماضي والتراث والدين) ليعالج الواقع السئ من خلال (افعال) او (ردود افعال) على الاخر، حتى تشعبت باصحابها الدروب والمسالك والاجوبة، لذلك سجلناه على (خانة الاغتراب الزماني) التاريخي والان يأتي دور اغتراب اخر، كان له حضور وصوت في خارطة الفكر العربي وان تعارض مع الاجوبة السيانية جملة وتفصيلا من حيث المنهج او المنطق او الوسيلة وكلا المنظورين المغتربين، لا يخدمان الدور المطلوب من العرب في هذه الحقبة من القرن الحادي والعشرين في عملية الانقاذ الحضاري، بعد ان اختلت العلاقات بسبب (القطبية الواحدية) وما جره التحالف الصهيوني الامبريالي على العرب والعالم من ويلات ودمار، وبعد الصورة الشوهاء التي نقلتها وسائل الاعلام غير المحايدة عن بعض العرب النرجسيين الاثرياء!

فباتت صورة يعرفها (كل الغرب) عن كل (العرب) مثلما اقترن (الارهاب) بهم وبالمسلمين عامة، مع ان ملايين المسلمين يعانون من فقر وجوع وتخلف، الم تكن مفارقة صعبة مؤلمة واذا – اتفقنا جدلا مع الرأي القائل –ان ما يجري على الارض العربية، هو من جنس (اللحظة العالمية)، غير المنفصلة عن (الماضي) القريب الذي عشناه في ظل (التوازن الدولي) وغير مجزوءة عن (المستقبل) المشترك للانسانية وهي تدخل الالف الثالثة للميلاد، وقعنا في اصعب الخيارات واعني به اشكالية التوفيق بين (اللحظة العالمية) المنوه عنها في السطور الفائتة، واللحضات (القومية) و(الاقليمية) الاجتماعية والاخلاقية التي تعصف بالانسان العربي بعنف. هذا من جانب ومن جانب اخر نجد بين اغرب الغرائب في واقعنا العربي ان كل زيادة في اسعار النفط هي في المصلحة النهائية، دولار مضاف الى خزانة الغرب[1] (الاخر) امريكا وليس لاصلاح حال الانسان العربي- كما يقول هيكل – فمنذ عام 1985 ومليارات الدولارات العربية الخليجية " تدور كالطاحونة،

(1) محمد حسنين هيكل: زيارة جديدة للتاريخ ط2 القاهرة 1985 ص 422-442.

والطحين معظمه لخبز البنوك (الامريكية فطائر حلوة) وليس لخبز اصحاب الفوائض الاصليين (العرب) فهؤلاء ما زال خبزهم مخلوطا بحصى الرمال"[1] او قل برمال الصحراء العربية.

يا لها من مفارقة محزنة – ويواصل الاستاذ محمد حسنين هيكل – عرض هذا الواقع المؤلم قائلا " علينا ان نتخيل هذه الهراسات (المؤسسات) الامريكية الشرقية والغربية) التي تهيمن على كل شئ على رؤوسنا، والمؤسسات الغربية (تهرس) على المؤسسات العربية والبنوك على البنوك والجامعات على الجامعات والمفكرين على المفكرين". ولا عجب في ذلك ما دمنا نعاني من مجتمع (امريكي) يحترم في (داخله) اعماقه منطق العنف فهو بممارسة العنف تحول من مجتمع هجرة الى مجتمع امبراطوري يطبق السوق على السياسة[2].

جميع هذا يجري بعد ان استفاد الامريكيون من دروس هزيمتهم المرة في فيتنام، فعمدوا الى ضمان مصالحهم الحيوية في العالم عن طريقة (وكلاء) و(متعهدون)، كان من اشهرهم اعضاء (نادي السفاري)[3] الاربعة الذين شكلوا (في حينه) مربع قوة التدخل السريع.. في السبعينات، لحماية المصالح الامريكية في افريقيا وليمهدوا لقوة التدخل السريع الامريكية في الثمانينات، التي راحت تتدرب على اجواء الصحراء- من غير ان يكون في الافق مشكلات تستوجب ذلك- غير قرار العرب عام (1973) بتوظيف النفط في المعركة القومية، وحتى هذه المعركة استغلتها (الامبريالية الامريكية) لصالحها بشهادة هيكل ايضا واكثر من ذلك، فان شهية المؤسسات الامريكية الكبرى قد انفتحت ازاء المال العربي، في تسعينات ذلك القرن بعد ان جعلت امريكا هذه المنطقة بؤرة من اخطر بؤر التوتر في العالم، على الرغم من كونها، (المصدر الاهم في عالم للطاقة) التي تزود دول القارات الخمس بما تحتاج من (نفط) فتخرج علينا (الواشنطن) بوست عام 1993[4] بخبر

(1) ايضاً ص 443.
(2) أيضاً ص 444 – 446.
(3) ايضاً ص 234 و 346 – 347 و 433.
(4) أيضاً راجع النص العربي لمقال الواشنطن بوست / في جريدة العراق (البغدادية) عدد يوم 1994/10/20 صفحة دراسات.

صفقة (سلاح طائرات أف15) عقدت بين السعودية، وشركة (مكدونال دوغلاس) مكن الاخيرة من ضمان استمرار العمل، لثلاث سنوات قادمة، بعد ان زادت مبيعات واشنطن من السلاح 70% بلغت اقيامها (34 مليار دولار) في حين كانت هذه الحصة (21%) عام 1989 فاي استنزاف يجري لثروات العرب، بتأثير ازمات تفتعلها الادارة الامريكية وشريكاتها الامبرياليات؟ ذلك هو السؤال الاخطر الذي لم يدركه دعاة (الاغتراب المكاني) ومن انفعل (باللحظة الامريكية العالمية) فراح بتاثيرها يتحدث عن ضرورات عربية للتغير، فلنمض في فحص (امثلة) موجزة من هذا الفكر المغترب ولنرى، مقدار معقولية (الاجوبة المتداولة) في المحصلة النهائية او حقيقة الادعاء بضرورة التغيير الذي انفعل به انصار الفكر المقلد للحظة الامريكية وغيرها اعلاميا وعلميا وفلسفيا.

(أ) من الحقائق التي وقف عندها (فخري صالح)[1] وجرى تداولها بابتذال، تلك التي تقول (ان العالم تغير من حولنا نحن العرب) مما يوجب علينا ان (نتغير) والتغير الذي ينشده الكاتب المذكور ليس بالضرورة نحو الاحسن، ولكننا مضطرون رغم ذلك الى التعامل معه" لم يكن المبرر الوحيد لدعوة الكاتب لتغيير المواقف (تغير المحيط) المؤثر في(الساحة الكونية) بل تغيير مطلوب من (المهزومين) في جميع حروبهم (مع الصهيونية) وهكذا يعلنها بوضوح قائلا (ليس امام العالم العربي المنهزم سياسيا.. (الا).. ان يعيد التفكير في خياراته ويدرس المثل الياباني "أي عليه الانتظار نصف قرن اخر يعيش فيه تابعا مستعمرا). الى حين تتقيض له فرصة (يابانية) هذا والعرب، لم يتعرضوا بعد لضربة (ذرية) كتلك التي قامت بها (الولايات المتحدة) ضد القيادة اليابانية في (ناكازاكي) وهيروشيما"مع ذلك يطالبهم صالح بالتصرف (كالمهزومين) اذا لم يقصد بذلك (ذكريات حزيران) التي انتعشت في عقول البعض في عام 1991 بعد العدوان على العراق ومحاولات تضييع الحق الفلسطيني، وفي ظل حصارات (السودان وليبيا وفلسطين والجنوب اللبناني" الى جانب حصار العراق برا وبحرا وجوا؟)

(ب) وتتاكد هذه الحقيقة مرة اخرى، من خلال التشبث بفكرة (التناغم مع المتغيرات الدولية) كما رآها الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة (قبيل وفاته) أي

---

(1) فخري صالح: تغير العالم فهل نتغير نحن مقال منشور في دوليات جريدة الدستور الأردنية عدد 1994/7/17.

عام 1990 وما تلاه، شاخصة بعملية (اعادة النظام في الخليج العربي)[1] والشراكة الدولية لثلاثين دولة (لردع العراق).. وما رافق ذلك من تزايد حركة بناء (المساجد) في اوروبا وامريكا جنبا الى جنب مع حركة بناء الكنائس، بما يكشف عن واقع جديد يخدم العرب ويعبر عن توحد (اسلامي، مسيحي، يهودي) في الحقبة القادمة – يفرض علينا ان نكون (اكثر ايجابية) في التعامل مع المشكلات المطروحة ولا سيما (قضية فلسطين).. كذا..

(ج) تجليات هذه المرحلة كما رآها (السيد يسين)[2] من خلال التطورات العالمية المعاصرة، فتتمثل بذلك (التفاعل) القائم (بين النظريات المتناقضة) يقصد (الماركسية – والبراغماتية) وهذا يعني اننا نقف ازاء "فكر عالمي يموج بالحركة ويثري بالتجديد" لهذا، لم يعد السؤال – كما يراه سيد يسين"ما هو مصدر الفكرة – كما كان سابقا في زمن التوازن الدولي، بل اصبح "ما هو مدى صدق الفكرة على صعيد التطبيق "؟ وما هي قدرتها على التاثير الايجابي في الواقع.. الحرية.. الفرص الانسانية، اشباع الحاجات، من غير ان يخبرنا (يسين) عن كيفية استفادة العربي من ذلك فهو يرى ان ما يجري عالميا يؤشر الحقائق الاتية:

ج/1: ان تغيير العالم يجري وفق جدلية (الصعود والهبوط والوسطية) الطريقة التي يمكن ان نسميها (البندولية الرقاص).

ج /2: ان ما يجري اليوم هو تعبير عن ثورة كونية تؤشر بداية الصراع حول (المجتمع العالمي المنتظر) في القرن الواحد والعشرين (العولمة).

ج /3: وعن تحدي الحضارات والثقافات اليوم، يرى الباحث ما يأتي:

ج/3-1: سقوط النظريات والفروض والقوانين، المألوفة (السائدة) زمن (التوازن الدولي) بين الشرق والغرب وبين الماركسية والبراغماتية حتى اصبحت

---

(1) محمد عبد الهادي أبو ريدة: تجديد الحضارة المعاصرة بحث منشور في العدد (1) من المجلة الفلسفية المصرية، حزيران 1992 القاهرة، ص 199-268.

(2) سيد يسين: نحن والفكر العالمي، دراسة منشورة في جريدة الرأي الأردنية، عمان عدد يوم 1994/7/15، حاول الباحث من خلالها أن يكرر المقولات الواردة في أدبيات النظام العالمي الجديد ورد بعضها في محاضرات له القيت في الأعوام 1991 – 1992 بلندن، عن الموضع نفسه، تحت عنوان، سقوط النظريات السائدة وتحدي حوار الحضارات لندن أسبوع الأهرام الدولي نوه بها الباحث في الدراسة المذكورة أعلاه.

بنا حاجة الى قوالب (اجوبة) نظرية جديدة تعيننا على تلمس طريقنا باتجاه المستقبل.

ج/3-2: المعركة الحالية لا تعتمد على صياغة نظريات بديلة على تلك التي سقطت لصعوبة صياغة نظرية قادرة على تفسير جميع ما يجري في وطننا العربي وحوله "لتداخل الاحداث والحوادث وتصاعد النزعات القومية المتطرفة واشتداد الموجه الاصولية. الدينية وتزايد احداث العنف السياسي الى مرتبة الحرب الاهلية".

ج /4: ويرى سيد ياسين اننا "نشهد اليوم انهيار العالم القديم" بكل ما يرافق ذلك الانهيار من تفسخ وسقوط وتشتت فكري، مما يوجب على المفكرين والساسة العرب ما يأتي:

ج /4-1: فهم اسباب السقوط، لمعرفة موقفنا منه وموقعنا فيه.

ج /4-2: الاعتراف صراحة بعدم قدرتنا على صياغة نظريات بديلة

ج /5: اما ابرز مظاهر الانهيار كما يراها (سيد ياسين) فتعبر عن:

ج /5-1: ازمة الدولة القومية وفشلها في التعامل مع الاقليات العرقية، بسبب لا ديمقراطيتها، مما يحرك (الاحقاد الاثنية).

ج/5-2: اهمال الخصوصيات الثقافية للجماعات العرقية (كما قال فوكوياما).

ج /5-3: غياب المنافس الاشتراكي وتوحد السوق (الراسمالية واقتصاده).

ج/5-4: قيام دول جديدة انسلخت عن كيانات كبرى على اسس قومية او دينية بطريقة دموية عنيفة تركت الاسلحة مشرعة.

ج /5-5: تفجير الحروب و التصفيات العرقية والطائفية والعشائرية في عالم الجنوب والشرق بطريقة جنونية مفتعلة لتاكيد المقولات الفلسفية (الغربية الامريكية) القائلة بصدام الثقافات! والحضارات!

ج /6: دعوة النزعة الاستعلائية العنصرية وتصاعد وتائرها بشكل يتناقض ومقولة (نيل التقدير) ممثلة بـ "

ج /6-1: البطالة وازدياد، عدد العاطلين عن العمل والباحثين عن مورد للعيش الشريف في مستوى الكفاية لا الكفاف.

ج /6-2: الكره للاجانب الوافدين لا سيما من الجنوب (افريقيا وآسيا).

ج /6-3: التناقض الصارخ بين القيم الغربية والوافدة وبخاصة في (المانيا وفرنسا وايطاليا.. الخ).

ج /6-4: تصاعد مؤثرات الفكر العنصري المتطرف من جديد وامتلاك وسائل نشر وتأثير ينطوي على مخاطر جديدة على صعيد الاعلام.

ج/6-5: اتساع دائرة عمل التيارات الدينية (المتطرفة). ان سيد ياسين يميز تمييزا مقصودا او غير علمي بين ضرورات قيام الدولة القومية في اوروبا قبل قرون وبين الظروف الحالية التي تعتمد على اثارة العداء ضد الاخرين للحيلولة دون توحد الامم المتطلعة نحو التقدم والشراكة الدولية!

ج /7: اما اسباب التراجع والانهيار فيعزوها (سيد ياسين) الى الدولة القومية – كماهي النغمة عند فوكوياما وما ادى ذلك الى اهمال الخصوصيات الاثنية!

مع ان حقيقة الامر التي سكت عليها (سيد ياسين) تقول: ان سبب المحنة يعود الى:

أولاً: فشل الانظمة – في حل مشكلات الانسان - ضمن محيطه الاجتماعي والوطني والقومي والديني والانساني.

ثانيا: سياسة القهر والاستلاب، ومنطق القوة، وشريعة الغاب، ومحاربة المعتقدات الدينية والاستخفاف بها.

ثالثا: الاستفراد الكوني الناشئ عن نزعة التفوق العنصري (الصهونية) المتحالفة مع النزعة الرأسمالية. (السوبر–امبريالية) على حساب حقوق شعوب العالم الجنوبي بعامة ومنه شعبنا العربي المسلم!

رابعا: الاستهانة بالعقائد "الوطنية – الاجتماعية التي نشأت في عالم الجنوب والنظر اليها بعين الاستخفاف واللامشروعية! ما دامت ترفض الانضواء تحت (قوالب الفلسفة الغربية).

خامسا: تسخير العلم والتقنية والثورة المعلوماتية في العمل بالضد من الطبيعة الانسانية الحرة، من جانب، وللهيمنة على الاقتصاد والسياسة والثقافة والاعلام، خدمة للقوى الكونية وبما يخرج بالقيم الاخلاقية والمحرمات الاجتماعية عن اسسها الحضارية "الخاصة" ويفتح الباب على مصراعيه امام الهجمة " الميكيافيلية –المالثوسية- الذرائعية) والنفعية الجديدة من جانب اخر.

د- ثم يأتي (المثل الجلي للانفعال بالفوضى العالمية) ممثلا ببحث (سالم يافوت)[1] وهويبتهج للروح الفلسفي الجديد الذي يتجاوز (هكذا) الميتافيزيقا ويدور بين افلاطون وهيجل متنقلا من (الزمان الى التاريخ) على وفق منهجية – بنيوية - ايديولوجية، مسبقة " تفكك المجتمع العربي" لصالح المشروع (الكوني) على هدى مناهج (ميشيل فوكو ونيتشه ودريدا وبشلار) الذي (احكم) الحقيقة على ايديهم وفي هدى ممارستها الفلسفية لكي يعيد (التجديد المأمول) إلى الفكر العربي والمستقبل العربي على السواء[2]. تلك هي المهمة نقل "التفكيك " من النص الى المجتمع:

د/1: لقد وجد يافوت في النهضة الفلسفية المبكرة في سوريا (ولبنان ومصر) النموذج الجيد للنهوض بفضل هيمنة روح الاشتغال بالفلسفة " كموضوعات وافكارومذاهب ونظريات " لكن هذه الروح تلاشت بسبب النهوض ممثلا بالنزعة القومية العربية التي عرفها المشرق العربي منذ عام 1952 م ممثلة بالغليان القومي والايدلوجي "الناصري= البعثي" مما عرض ذلك التراكم الفلسفي الى التبعثر "فقد اصبحت القومية و الادلجة المبتذلة بديلا للثقافة المعاصرة وجوابا جاهزا لسؤال الحاضر والمستقبل" ومثلما ازاحت الدولة القومية "العربية –(كذا) وبمنطق فوكوياما الصراع والاختلاف على صعيد المجتمع لتستبدله بوحدة موهومة" هي- (وحدة القوم) فانها على صعيد الثقافة والفكر ازاحت التراكم

(1) سالم يفوت: النظام الفلسفي الجديد. عمان 1995 ص 32.
(2) أيضاً ص 2-8 و 15-17 و 18-21 و 21 - 32.

والاختلاف لتستبدله بثقافة قومية واحدة مزعومة تكفي نفسها بنفسها، لكن المسـمى ظل واحدا[1].

د/2: ويحـتكم (يفـوت) الى امثلـة فلسـفية في السـتينات فيقـول" والمتصـفح للانتـاج الفلسفي في الستينات يقف على عدة تأليفات احتذت الانموذج الايدلوجي (الناصري) القـائم للدولة القومية انئذ، ممثلا بكراس (حيـاد فلسـفي ليحيـى هويـدي)[2] الـذي جعلـه مقياسـا لحكمه عـلى تلـك الحقبـة (الناصريـة)، فـالخراب الفلسـفي يتمثـل في نظـر "يفـوت" بهـذا الانصراف الى تبرير فلسفي محايد يفتش عن صيغة فلسفية منسجمة (والاختيار الايـدلوجي) للدولة القومية فجاء الاختيار سطحيا او "وسيطا" غير منحاز شأنه شأن"مجلة الفكر المعـاصر "برئاسة "فؤاد زكريا" التي انتهت في (التوجه الاشتراكي).. الذي اعطته الدولة القومية لنفسها والذي كرس – حسب رأي "يفوت"مناخا سلبيا انعكس عـلى البحـث الفلسـفي حيـث بـدأ الاهتمام بالاصول الفلسفية للفكر الاشـتراكي ممثلـة بالماركسـية[3] التـي درسـوها بمعـزل عـن (منهج الدراسات التي كانت تجري في فرنسا) حتى بعد "انعدام ظروف القومنة"[4].

د/3: ان "يفوت" يدعو – كمقدمة لنظام فلسفي جديد- الى التوجه بعيدا عـن "هيمنـة الاصالة الموهومة "او الانشغال بقضايا (التراث) كما هو ديدن (العروى وعابـد الجـابري وطـه عبد الرحمن)! او نزعتهم الانتقائية وكما هو شأن (مطـاع صـفدي)[5] وغـيره ممـن يعتنقـون نزعة قومية ولا يجـدون غضاضـة في تسـخير الفكـر العـربي المعـاصر في دفاعـاتهم عـن اكـثر اطروحاتهـا ابتـذالا "مثـل الكتابـةعن (البطـل التـاريخي) تتضـمن بشـكل مكشـوف (عبـادة الشخصية)[6] والتي جاءت مديحا لحاكم

---

(1) أيضاً ص 24.

(2) راجع تعليقه على ذلك في (ص 24-25) من بحثه الأنف، وقارنه بحيـاد فلسـفي ليحيـى هويـدي (القـاهرة 1962) ص 7 وما تلاها. ثم توقف عند دراستنا الموسومة (يحيى هويدي بين حيـاد الفكـر وانحيـاز الفلسـفة) القـاهرة 2001 (ملـف العيد السبعيني) في (أوراق فلسفية) عدد 4-5 ص 130-142.

(3) يفوت، مصدر سابق ص 26.

(4) أيضاً ص 27.

(5) أيضاً ص 28.

(6) أيضاً ص 29 والإحالة على بحث مطاع صفدي (مدخل في قراءة القائد التاريخي، مجلة آفاق عربية بغـداد عـدد تشريـن الثاني 1989 ص 8-15).

عربي خطط لحربي الخليج الاولى والثانية[1]، فلنلاحظ اثار النظام الـذي يريـده "يفـوت" داخل الفكر الفلسفي العربي بشئ من التدقيق!

د/4: يخلص "يفوت "من هذه المقدمات" التمهيدية " الى امنية يتمناهـا عـلى المفكـرين العرب، ويعني بها الاعلان عن (الـروح الفلسـفي الجديـد)مـا دمنـا نعـيش مناخـات (النظـام الدولي الجديد) وهو الروح " المجرد " الذي لا يزدهر الا من خلال الاختلاف (التناقض) وتعدد المنظـورات وجميعهـا "قـيم ومبـادئ تكـرس قـيما، اخـرى كالتسـامح والحـوار وحريـة الـرأي والاعتراف بالغير (اسرائيل) وباختلاف الثقافات والحضارات ونسبية القـيم[2]. فـماذا نقـول في مثل هذا التصور الفلسفي، الذي جاء متناغما مع الدعوة الى احداث تغير في الموقف الفكـري العربي- بذات الايقاع الذي جاء به (فوكويامـا) والـذي تنـاسى "يفـوت بسـببه جميـع ثوابـت البحث الفلسفي ومنهجيته العلمية لـيرهن المسـتقبل العـربي لا في حـل مشـكلات الانسـان العربي الكبرى (الاستغلال والاستلاب والتشيئ) بدلا عن العقلية والتنـوير والاخـتلاف وعـدها "القيم الاساسية التي يقوم عليها المجتمع المدني الحديث قيمة التسامح،. والاعـتراف بـالاخر " متناسبا جميع (مقولات التواصـلية)[3] وداعيـا الى (منـاخ اخـتلافي يحكمـه التسـامح والتقبـل الايجابي للمختلف والمغاير) ونبذ التعصب بشتى الوانه واشـكاله لا سـيما القـومي !الـديني ! (فالمجتمعات العربية)- هكذا.. يرى – يفوت "لم تقف بعد في غالبيتهـا عـلى عتبـة ذلـك. ولم يتكرس فيها بعـد شـئ اسـمه انسـانية الانسـان"[4] مـا دام مناخـه القـومي المتعصـب. لهـذه الاسباب سجل د. محمد احمد عواد[5] نقده على الطرح الانف في تعقيبه على البحث المذكور، المذكور، في كونه لم

(1) أيضاً ص 29 قارنه بما كتبه د. خالص جلبي عـن ملفـات العقـل النقـدي، دراسـات جريـدة الجمهوريـة اليمنيـة صـنعاء 1995/11/23، ص7.

(2) أيضاً ص 30 وما تلاها.

(3) راجع ما كتب عن ذلك بقلم د. علي الشنوفي: الفلسفة والتواصل (المجلة التونسية للدراسـات الفلسـفية) عـدد سـبتمبر 1990 ص 16-22.

(4) يفوت: المصدر السابق ص 32.

(5) محمد أحمد عواد: تعقيب على بحث النظام الفلسفي الجديد لسالم يفوت (ملحق مع البحث السابق) عمان 1995 ص 1-2 بتكليف من الجمعية الفلسفية العربية قال: إن يفوت بقي أسيراً تجاه مغترب واحد ناكراً لبقيـة الإتجاهـات ومـع أنه بنيوي أنكر التحليل ورفض البساطة ولم يسع من أجل إعادة الإعتبار للإنسان العربي لذلك بقي معلقـاً بمصـطلحات ومفاهيم (مجردة) لا تعالج مشكلات المجتمع العربي لأنها ليست من نتاجه.

يقدم لنا اجابة مستقبلية، وكرر احكاما جاهزة بعد ان انفعل بالمتغيرات السياسية غافلا عن السمات العامة للفلسفة المعاصرة مبتعدا عن الواقـع... امـا نحـن! فنقـول: بقـي يفـوت (هادما) لكل شئ في الفكر العربي من غير ان يضع لبنة واحدة في البناء الفكري العـربي، لهـذا جاء فكرة مغتربا كشأن الذين نسوا حقيقتهم فتعلقوا بالاخر وقاطرته!

خلاصة القول

هكذا كشفت لنا الصفحات الفائتة عن امشاج من الاجوبة المغتربة داخل الفكر العـربي وسمت بعض اتجاهاته في العقد الاخير التي انفعلـت باللحظـة العالميـة ومتغيراتهـا، انفعـالاً، مزدوجا توزع بين القبول (بالنتيجـة) للمتغـيرات المظهريـة العالميـة المتسـارعة بفعـل سرعـة الاحداث داخل المنظومة الاشتراكية وفكرها وابنيتها الحركية، فوقعت تحت (هول) الاحـداث وفجيعة الزلزال الاشتراكي من جانب، او اخـذتها لحظـة الشـعور الرأسـمالي، بـالفوز النهـائي في (معركة) الصراع، المصيري بين (الماركسية) و(الليبرالية = البراغماتية) او يقف حـائرا بـين هـذه وتلك من الاجوبة = ليختار في لحظـة (الانبهـار) الانسـياق وراء لحظـة (العولمـة) العالميـة، او ينكمش على نفسه مغتربا عن عصره، باحثا له عن (مـلاذ) في المـاضي وفي ظـل الـتراث، عسـاه يمده باسباب (الصمود) والثبات، و(الانتصار) في معركة الـدفاع عـن الهويـة! وهكـذا وقـع في هوة (الاغتراب) من ابتهج (بالنظـام الـدولي الجديـد) او رفضـه بـلا وعـي وانتهيـا الى اغـتراب (زماني او مكاني) يبتعد او يقترب بقدر او باخر عن بعض، وعـن (الجـواب العقـلاني النقـدي) الذي تفوق على الموقفين بعقلانيته ومنهجيته وبصيرته وجدلياته ووضوحه.

خاتمة الباب الأول

تلك هي، حقيقة ظروف الانسان المعاصر بعامة، والانسان العربي بخاصة، وهو يعيش تحت تأثير ووطأة (غروب الحضارة) وتضخمها المادي /التقني، المعلوماتي، على حساب الجانب الاعتباري، والمعنوي، والاخلاقي، حتى تعمقت مأساته وتعقدت اشكال الاغتراب التي عاشها، او عايشها وتركه منفعلا، باختلال الموازين والمعايير، والمقاييس، وطغيان، اسباب القهر والاستلاب، وغلبة لغة القوة، ومنطقها الكيوسي الغاشم، على حساب انسانيته وعقائده، ومنظوراته، التي امتلكت عناصر، توازنه واعتداله في اطارها المتوازن.

فاغتراب، الانسان، المركب، من احساسه بالغربة عن مفاهيم الحق والخير والجمال، تضاعف بسبب غروب حضارته، وافول، معايير العدالة والمساواة، و التكافل والتعاون، واذا كانت هموم المفكرين والمصلحين، في القرون المنصرمة، تتجة لالغاء التمايز الطبقي والاجتماعي، والقومي والجنسي، والديني، فان البشرية تعيش اليوم صنوف التمايز (المعولم) الذي يهدد الامم والشعوب ويضطهد الدول، ويخترق السيادات، والحدود والحقوق! متسلحا بجميع اسلحة التفوق والقهر! الذي يخدم قوى خفية (توارتية / امبريالية) لا يكبج جماحها غير، وحدة تقوم بين المظلومين والمنصفين، والعقلانيين والتنويريين الانسانيين، تقود مسيرة الدفاع عن الحضارة وتعالج اختلالها، وصولا الى اصلاح حال الانسان، وهو امر ممكن التحقق!

الباب الثاني

الخطاب العربي المعاصر وجدلية الخوف
دراسة في واقع التجربة العراقية

الفصل الرابع

الخطاب العربي في ظل العولمة والعامل الغائب
(أو مقامة بغداد الما قبل والما بعد)

المقدمة

تعيد هذه المحاولة تركيب السؤال الفلسفي على وفق رؤية عقلانية نقدية نستكمل بها الصورة التي جاءت ناقصة بسبب حصرية النظرة الفلسفية بالجوانب (العلمية) التي اختصت بالانسان (الجسد) ودوافع (الحاجة) الى جانب دواعي (الدهشة) التي انشغل بها (الانسان / العقل) واسئلته المتوترة بين حقيقة الذات وذات الحقيقة او قل سؤال الوجود وما يتوسطه من (اسرار) تنتظر الانكشاف على ايدي العلماء والفلاسفة وهم يبحثون في العاملين الاكثر التصاقاً بالانسان (الهوية) (العلوم والفلسفة) اما العامل الثالث الذي غاب عن كثيرين فهو (رهبة) الانسان (القلب/والوجدان) الباحث عن الامن والامان او قل (الطمأنية) التي هي هاجس (اهل بغداد) في هذه الايام مادام الانسان مدفوعاً بعامل الخوف من المجهول والمخبأوالغامض والمضموم والمخفي و(الكيوسي) من الدواهي والخطط الغايات. نعم هذا هو العامل الغائب في الخطاب العربي ولاسيما في ظل العولمة او (الكوكبة) الذي نراه تارة تحت النظر ويختفي تارة اخرى لاسباب ذاتية وموضوعية لامجال للاسهاب فيهاهنا. فالقلب وهواجسه هو الموضوع المستقيل او المحاذي لدائرة الاهتمام الفلسفي باستثناءات تسللت اليه من دوائر الادب والسايكولوجيا وعلم الجمال والاجتماع وهي تومىء نحوملامح ذلك العامل الذي انفلت من بين اصابع المفكرين وضاع عن اجوبتهم مما ابقاه مشروعاً (فنياً) يحتل موقعاً بين الادب والعلم يكاد يحمل صدىً فلسفياً باهتاً. ان سبل التعبيرعن (السلام الداخلي) للذات وللاسرة وللجماعة وللمدنيةوللمجتمع وللوطن هو محورهذه (المحاولة الفنية) التي يتعانق فيها (صخب العلوم) مع (وهج الفلسفة) في (مركب من الالوان) تبدأ من الاسود فالابيض فالاحمر هي حصيلة مثلث الدوافع الانسانية واعني به (الحاجة والدهشة والرهبة) متشكلة على اسس (عقلانية نقدية) بها نستشرف حال الفكر العربي ما قبل الطوفان الامريكي ومابعده ونحن نخطو الخطوات الاولى للالفية الثالثة للميلاد ولاسيما القرن الواحد والعشرين من غير ان نعد القاريء المتخصص بحضور اسس المنهجية العلمية الصارمة والمطلوبة في كل ميامر البحث، ولعلنا نرجىء مثل هذا المشروع الى الفصل الخامس تحت عنوان (الخطاب العربي وجدلية الخوف) لشأن اخرمن شؤون الفكر العربي

المعاصر لهذا العام 2004 ان شاء اللـه. اماهنا فسنعزف على وتـر (المفـردة) المنثـورة - بتواضع - وبرمزية أحيانا ،عساها، تفصح عن المضمر، من المعاني، التي أنطوت عليها (المقامة) الدائرة حول العامل الغائب.

وأعني به عامل (الطمانينة)، لهـذا سـيتوزع العمـل عـلى ميامرثلاثـة يـدورالاول حـول مفهوم المقامة البغدادية (الماقبل) والثاني عن المقامة العولمية، والثالث عن المقامـة المابعديـة (العربية) انه سلم يجمع (حال الألم) الى (مقام الأمل). فعسانا نوفق في مسعانا هذا.

الميمر الأول

لماذا المقامة الفلسفية؟ لبغداد – الماقبل، وكيف هي؟

لجأ كاتب هذه السطور الى (فن المقامة) منذ بداية دخولنا الألفية الثالثة لتعذر الحديث عن بعض (الموضوعات) بلغة العلم والبحث وشروطه فمتى ما عجز الباحث عن الامساك بادوات البحث العلمي، ووسائله المنطقية، مال الى نوع من (البحث الفني). لا، لأن الفن ،حسب مدرسة فرانكفورت ولاسيما ادورنو يمثل الميدان الاكثر تعبيراً عن حرية الكاتب[1] فحسب بل ولانه المنطقة[2] التي تلتقي عندها منجزات (العلم والفلسفة والادب). والفرصة التي يتنفس من خلالها الانسان هواء الحرية والانفتاح، بها يتحرر من الخوف الذي يحاصره ليل نهار من سلطات (التكنولوجيا والطبيعة والدولة)[3]، اذا ما سخرت بالضد من ارادة الانسان. والباحث يعتذر سلفاً للقارىء الفاضل عن هذا (النشاز) الذي قد يبدو للوهلة الاولى من عنوان هذا الفصل في كون هذه المشاركة تحرص على استحضار جزء من الخطاب العربي بعد اجتياح بغداد عام2003 لكي لاينصرف الذهن الى بغداد في 1258م حين اكتسحها هولاكو في ريح (شرقية صرصر) تكسرت على نصال العذاب الدموي لقرون من الصبر وقرون، بعد ان فشل المحتل في فرض المنطق المقلوب ضد المغلوبين على امرهم[4] بفضل واحد من المفلوكين الاذكياء[5] حين أثبت تعذر التقاء الاسلام مع الظلم ليعلن سلب الاسلام عن الظالمين ما دامت العدالة هي غاية الحاكم الحكيم وراس الحكمة مخافة اللـه، وما

---

(1) رمضان بسطاويسي: الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية – ملف أوراق فلسفية ع 7 (2) خاص بمدرسة فرانكفورت الألمانية.. القاهرة 2002 ص 225-237 وص 238 – 247.

(2) علي حسين الجابري الخطاب الجمالي العربي والقيم المعولمة (مجلة الموقف الثقافي) ع 41 (أيلول – تشرين أول 2002) بغداد 2002 ص 6 – 24.

(3) أشرف منصور: مدرسة فرانكفورت نظرية هبرماس في المجال العام – أوراق فلسفية (7) عدد خاص (ج/2) عن الفلسفة الألمانية القاهرة 2002 ص 251 – 268.

(4) أخبرنا ابن الطقطقي في كتاب (الفخري في الآداب السلطانية) عن السؤال الخطير الذي وجهه هولاكو لممثلي المذاهب والطوائف الأسلامية في بغداد وحول (الحاكم المسلم الظالم، والكافر العادل) [راجع ذلك في كتابنا فلسفة التاريخ في الفكر العربي / ق / 1 بغداد 1993 ص 178 – 183].

(5) الدجلي أحمد بن علي (شهاب الدين): الفلاكة والمفلوكون طبعة الآداب النجف الأشرف 385هـ ص 12-120.

دامت الرعية امانة في اعناق الحكام. وبهذه (المقامة) أخرج العقل العربي المصاحب (لسقوط بغداد الاول) نفسه من لعبة استدراج (امراء القلم) الى دائرة السيف الذي يستهويه الاستحمام ببحور من النجيع. واليوم تاتي (المقامة) لتناغي السنوات الاولى من الالفية الثالثة للميلاد من غير ان يهمل المؤلف دعوة مجنونة تتحدث عن (انصرام حقبة الرحمن) وبدء (حقبة الشيطان) كناية عن هزيمة الخير امام الشر بما يشيع منطق (الشر) والاستدراج والخديعة وجميع الذرائع التي سبقت اذار 2003 ورافقته ولحقته.

هكذا جاءت (المقامات البغدادية) الماقبل في مواسم القنص والطرائد التي تقع في مصائد الكبار لكن طرائد زماننا هذا ليست من الايائل والكباش والغزلان والثعالب والاسود والفيلة بل من (الدول والشعوب والارادات والثروات) مما يتوافق معه اسلوب الرمز والتزمير فعذراً مرة اخرى عن التقصير. ولكي نخرج من باب العموم الى الخصوص سنلج باب (خان الحكمة) القريب من (جامع مرجان) الذي اعلن فيه ماسينيون عام 1908 اسلامه[1] ثم عودته عنه بعد الحرب العالمية الثانية في دير اللاتين ببغداد أيضا وبحضور الشيخ عباس العزاوي على اثر حوار معه حول التصوف والحب و الحلاج. واليوم تسوق المقامات في خان مرجان على مقربة من (خان الحكمة) ولكن بطريقة التنفيس عن الهم العام من خلال الخاص أو يتبادلان الادوار وكأن المنشدين يشكون من كلل في البصر وليس بالبصيرة فمازال الفارابي يلعب بعيدان القانون لامن اجل ان يضحك الناس أو يبكيهم ولا من أجل ان يناموا بل لكي يستيقظوا من سباتهم وليواجهوا سبعة قرون من الغزو التتري الذي تبادلت فيه خيول الغزاة الأدوار شرقاً وغرباً، مهددة العباد والبلاد. تلك هي مقامة بغداد[2] الماقبل فهي معروفة معّرفة مكشوفة موضّحة. أما بغداد (ما بعد) فهي مجهولة غائبة خلف أفق القدر، لذلك سيعمد الباحث الى نص معروف في الأولى أما في الثانية فلا يستعير الكاتب لغة الكهانة

---

(1) كان ذلك في مجلس السادة علي (علاء الدين) ومحمود شكري الأوسيان بحضور جمع من الشاهدين منهم عباس العزاوي وآخرين يراجع ذلك في دراستنا الموسومة: ماسينيون في منظور الباحثين العراقيين 1908 – 1998. مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد الثامن القاهرة 1999 ص 289 – 331.

(2) علي حسين الجابري: مقامتان في أحوال العباد والبلاد فيما بين الألفين الثاني والثالث للميلاد. مجلة بين النهرين عدد خاص رقم (107-108) بغداد 1999 ص 158 – 168.

والرهبنة وقراءة الطالع والكف! وبين الأولى والثانية تقف المقامة الغازية مقامة العولمة/ والامركة والدمقرطة وهي تتحدث عن الأرهاب والحرب العالمية الثالثة بما يتصل بموضوع القلب والطمأنينة والأمن والأمان، التي أصبحت (غائبة حاضرة) لابل هي (العامل الغائب) عن معادلة الأنسان (صحيح البدن) و(سليم العقل) و(مطمئن القلب) فهل سننال المراد؟

ذلك هو السؤال؟ المتعلق بشواهد الحال ومصادر المقال.

شواهد الاحوال

أولاً: الاحوال

من اجل عيش افضل لعيال اللـه: الفقراء والبؤساء والمفلوكين من ارباب الحكمة والعلم والحجى والمستضعفين في الارض من الدهماء والكثرة التي لفها الزمان برداء الانقطاع والقطيعة، من اجل هؤلاء جميعاً وغيرهم نقول: (هلموا يااصحاب البطون الخاوية والعيون الكليلة وفقراء الدرهم والدينار وسر الكثرة على وجه الارض والماء! هلموا ياعنوان المصلحين وغاية عقائد الانبياء والمرسلين والقديسين للمنادة بقطع دابر الظلم اينما وجد وكيفما بدا، والفاقة من أي كبد اكلت والاستبداد باي شكل ظهر، والوحشية بأي لون بدت ! هلموا..... ياعباد اللـه : الى استنهاض روح المحبة والاخوة والعمل من اجل الحق والخير والعدل ومد جسور التكافل بين الموسرين والمساكين!

فالفقراء ... عيال الرب والفقر طاعون يفتك بالملايين امام انظار الجميع. فهل تناسيتم ان جميع البرايا:مالكين ومملوكين حاكمين ومحكومين هم عباد اللـه واسياد انفسهم في هذه الارض المحروسة بعين الرحمن التي لاتنام؟

واذا كانت الاحوال والمقامات على مراتب ودرجات نفسية، معرفية يمر بها السالك نحو الحقيقة والسعادة فأن احوال ومقامات العباد هي تعبير عن واقع الحياة، بلغة الرمز والاشارة التي تنأى عن معايير العلم الدقيقة ومنطق العقل الصارم فثمة احتمالية نتفق من اجلها او نختلف ؛ لكنها مقامة جابرية مشرقية - على أي حال! جاءت تتخفى وراء كلمات واشارات لم تكن بعيدة عن وسائل العلم وادوات الحكمة واساليب المنشئين عبر عصور الناس.

1 - شواهد الحال ومصادر المقال:

اجتمع المفلوكون[1] على (مائدة الحق) ليتأملوا ملحمة جلجامش واصلاحات اوركاجينا وحوارية السيد والعبد وحكمة احيقار[2] وليتدبروا ماجاء في (الكنزه ربه)[3] "والعهدين القديم والجديد"والمزامير.. وصولاً الى القران ونداءالرحمن " اني جاعل في الارض خليفة، قالوا: اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء"[4] بعد ان احزنتهم وقائع (كربلاء) ومحنة (احمد)[5] و(طواسين الحلاج)[6] و(غصة السنمار)[7] لذلك مالوا الى سماع (مقامات الحريري والهمذاني) واشعار ابن عربي[8] وابن سبعين وما هو طريف جديد من مقامات مدني صالح[9] صالح[9] وسليمان الطروانة[10] ويوسف حبي[11] وعبد الستار الراوي[12] والعبد الماثل امام التاريخ وحذاقة القاريء.

---

(1) الدلجي – أحمد بن علي: الفلاكة والمفلوكون.

(2) مصادر عراقية قديمة سبقت الأسلام كان الأنسان والمصير والعدل محورها راجعها في كتابنا (الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان) – بغداد 1985 ص 15 وما تلاها.

(3) الكتاب المقدس للصائبة المندائية.

(4) القرآن الكريم – البقرة 30/2.

(5) محنة أحمد بن حنبل بسبب مشكلة (خلق القرآ،) المعتزلية.

(6) أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج: الطواسين نشر لويس ماسينيون: باريس 1913 – النص العربي -.

(7) المهندس الشهير في دولة المناذرة الذي أقام عمارة على حجر الزاوية اعتماداً على طابوقة تتيح تداعي القصر حين رفعها من محلها فألقي من أعلى القصر لكي يموت السر معه فهذا (ثمن العبقرية الهندسية).

(8) الحريري والهمذاني وابن عربي وابن سبعين شخصيات مبدعة في التراث العربي الإسلامي كل منهم ترك لنا تجربته في الكتابة الإبداعية (الأول والثاني) في دائرة الآدب الإبداعي والثالث والرابع في دائرة العرفان.

(9) مدني صالح: المقامات – بغداد – طبعات عديدة.

(10) د. سليمان الطروانة: المقامات:

أ- مقامات المحال، مؤسسة رام اللـه عمان 1991.

ب- مقامات التحولات، مؤسسة رام للتكنولوجيا – مؤتة 1992.

ج- البتراء الأم العذراء – دار الفارس للنشر والتوزيع عمان 1994.

(11) يوسف حبي: مفكر عراقي صاحب رؤى ومقامات في الحياة والإنسان والوجود بغداد 1997.

(12) الدكتور عبد الستار عز الدين الرواي باحث وشاعر رقيق الإحساس تملكت (المدن الفاضلة) مشاعره فكتب عنها وعن الذين يحلمون بالأمس واليوم والغد الكثير من الدراسات والبحوث ولا سيما وهو يؤرخ للمشهد الفلسفي العراقي.. قديماً وحاضراً (ندوة بيت الحكمة في 1998، عن واقع الفكر الفلسفي العربي، والمتغيرات العالمية).

مفلوكو الدلجي، يهمهـم (الانسـان) الـذي يفـتش عـن منـاخ (الخلافـة علىهـذه الارض لاعمارها واستثمارها) لا ليكون مشروعا (للأستثمـار والأستلاب والتجويع)! الأنسان الذي يحلم بالأمن والأمان والعدل والحق والعلم والعقـل والأيمـان. ليسـتعين بهـا عـلى أسـباب (الخلـل) و(تطفيف الميزان) بعد أن أرهقته كـوارث الحدْثان!.. وهاهم مفلوكو هذا الزمان يجتمعـون لمواجهة (النقص في الأعمـار والأقوات وتبدد الطاقـات والسـنين والأعـوام)... فـذاك هـومعين الكاتب... الى القادم من الشهور والـدهور ولأستشـفاف سـمات الحضـارة المقبلـة ومسـتقبل أحوال العباد!

2- أحوال الأهل بين البوادي والأنهار:

من ذا الذي يعرف الأتجاه حين تدلهم الخطوب وتعصـف بالأنسـان العواصـف؟!مـن ذا الذي يحدد الأتجاه حين يكون في صحراء (الغربة الغريبة) الشاسعة غير ان يتأمل أفق الكون ويتطلع الى قبة السماء وخـط الأفـق ليكتشـف أنـه (مركـز) ذلـك المكـان ودائرتـه الكـبرى ومحورها الأول ؟!

أ. حال النقطة: حال السبات واليقظة

بعـد سـبعة قـرون مـن أنطفـاء (عـين بغـداد)أنشـغل الأهـل بـين (تحديـد الموقـع) و(التطلع) الى السماء حتى جاءت (يقظة الذاكرة) والخطوة الأولعلى الطريق ولكن الى أيـن؟ ومعالم الطريق تبددت بفعل تعاقب سنابك خيول المغول التتـار ومـن أنتسـب الـيهم ونهـج نهجهم من الغرباء وأعداء العلم والحضـارة والخـير مـن الشرـق والغـرب.لكـن لابـأس- قـال العقلاء- فليسـت هي المرة الأولى التي نفتقد فيهـا معـالم الطريـق! فبـالامس نسـينا التوحيـد (الأبراهيمي) بالشرك فكانت جهود الأسـلاف تنفعـل بنـداء الـرب أن طهـرا بيتـي للطـائفين والعاكفين[1] فجاءت دلالات الطريـق واضحة.. نحـو العُـلى، واليـوم عـلى الـرغم مـن وحشـة الدرب فحكمة القـوم تقول ((الأنس في الطريق الموحش يزيل الوحشة)). حسنا ولكن كيـف تكـون (نقطة) البـدء. والأهل شتات! و الشمس مختفية؟ هذا هو (الحـال)! ((هـل في وسـع أجسامنا الهزيلة وأرجلنا الكسيحة ان تلحق بركب الأخرين؟ وهـو بعيد

---

(1) البقرة 2 / 152.

بعيد لم نرمنه في الأفق الغربي الأبعد غير بريق متقطع يظهرويختفي؟))[1] مع ذلك فالبريق وحده كاف لأن يبعث الأمل في وحشة النفوس التي تخشى المجهول بعد أن ظن أصحاب الأنظار القوية أن هذه الأنوار هي الغاية والمراد والوجهة المقصودة والمرام المطلوب! فلا بد - والحالة هذه- من اللحاق بركب السائرين ولكن: كيف يسرع الناس ونصفهم مريض وجاهل والنصف الأخرمحجور عليه؟! ثم:كيف يلحق بالأخرين وبقايا الأضاءات البعيدة تظهر وتختفي هي أيضا وكأن الركب لم يحط الرحال أو ما زال في سيره متقدما والى أهدافه سائرا فأختلف القوم!!

ب. حال الخط: حال الأختلاف

كيف وكيف وكيف السبيل الى جمع المختلف ومعرفة المؤتلف ؟!و..و.. أسئلة ممضّة: اختلف حول أجابتها (العقلاء) وتشتت الأراء !فمن قاعد يتأمل الماضي ويلتذ باستحضار بقايا صور أطلال الأجداد وبين قائل بضرورة التقدم وبعدم الألتفات الى الوراء كسباً للوقت وتوفيراً للجهد ومن هو بين بين! لايمتلك حرية القرار! وحين حاول القادرون على الحركة رسم خط المسير خاطبهم الزاجر مستفهماً وناهياً ((الى اين؟ لانهضة ولاتقدم الا بامر مني! تلك هي امتيازات المرجعيات الشرعية والسياسية والمالية! أما الذي يخالف فيعرف الثمن!)) قالها الزاجر لكي يؤكد جبروته وسلطته ثم مشى!.. مع ذلك تململ البعض وسار خلسة ... نعم تحركوا وأختلفت حركتهم بأختلاف هممهم حثّ بعضهم الخطى وأندفع مأخوذاً بالبريق الأتي من جهة الغرب لكنه في سويعات استراحته كان ينظر الى الوراء حيث (الجمع) مازال (مؤتلفاً - مختلفاً) متحركاً وواقفاً أو قل واقفاً وقاعداً! فتأخذه الغصة ويلملم شتاته ليواصل مسيرته حتى اذا انقطع خط البعض عن رؤية الأهل والعشير أختلفت حوله الأراء وظنت به الظنون (!) الى أن عاد ذلك البعض بعد حين متسلحاً بأسلحة (تختصر الزمن) وتقصر المسافات وتقلل الجهد . كان الحبور بلقاء الأهل لايوصف وكان الأبتهاج ببشرى اكتشاف خط الطريق المفضي الى سوق الحضارة والمدنية والعلم والحكمة الغاص ببضائع ملونة ومراهم

---

(1) من نص لكاتب هذه السطور منشور ضمن مبحث (مكانة المرأة في الفكر العربي) – مجلة كلية الآداب ع 44 بغداد 1998 – مشترك مع الدكتورة فضيلة عباس.

للجروح والقروح ومنشطات الارجل الكسيحة منذ قرون فكانت الحضارة والتقدم والوطنية والحرية وحقوق الأنسان والديمقراطية والمساواة وجمعيات الرفق بالحيوان وأنصارالبيئة! وعشاق طبقة الأوزون! وكان أعداء الأرهاب ومستعمرو الأرض والبشر! وغيرها!

ج. حال السطح[1] والتسطيح

ومرت الايام والاعوام! اجتمعت النقطة على النقطة فكان الخط واجتمعت الخطوط فكان السطح!واختلف القوم مرة اخربعلى السطح هل يقبلون بضاعة الاخر! ام لا ؟ام ان ذخيرة الاجداد وافية كافية؟! وهل وهل.. متناسين عائدية جميع ذلك الى مصادر الانسانية المشتركة وغير ابهين بمقولة الفاروق (رض) ((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً !)) وكأن الطبع العربي قد غادر ما فيه من الانطلاق في مديات المكان والزمان بلا قيود او حدود؟ فهو هو ابن الوديان الحضارية الخصبة وابن الصحراء الممتدة من حضرموت وخليج عمان الى المغرب وسواحل المحيط الاطلسي. فهو والحرية صنوان لا يفترقان وهو والحكمة رفيقا وجود افضى الى تأسيس العلوم وابتكار الفنون وتدوين الاداب وسن الشرائع فكيف به اليوم فاقد الذاكرة الا من بقايا احلام مشروعة! لا نخجل من تسميتها بأحلام الفلاسفة[2] فالمشكلة في جوهرها مشكلة فكرية فلسفية ذات ابعاد اجتماعية سياسية - اخلاقية وحضارية. فكيف كان اللقاء - على سطح الحياة - بين احوال البلاد والعباد في مداخل الالف الثالث؟

سؤال سنرجئ الاجابة عنه بلغة (المقامات) التي ستلي.

ثانياً:- المقامات

المقامة نشيد امل يردده البعض بهدف ايصاله الى اسماع الجمع! فكان للعباد في البلاد مقامتان الاولى: مقامة الحقيقة والثانية مقامة الحال! فلنسرع في

---

(1) النقطة والخط والسطح مسطلحات (رياضية هندسية فلسفية عرفانية) فإذا كان السطح مجموعة خطوط والخط مجموعة نقط فالنقطة التي تحت الباء هي التي ميزت (الكثرة) عن (الواحد الأحد) وبهذا اكتسبت مضموناً عرفانياً حاولنا توظيفه لغرض عرض الأحوال.

(2) علي حسين الجابري مصدر سابق.

المقامة الاولى: مقامة الحقيقة القاسية!

نغم رقراق يتصاعد من جنبات الديوان رافقته اصوات تردد:

((هلموا يا عشاق الفضيلة ويا من تدافعون عن حق الحياة لكم ولغيركم ويا من تدعون الى الخير وتسعون الى منع الشر هلموا الى (عهد مقدس) هو عهد اجتماع جديد للناس في الالف الثالث للميلاد. بعد ان قطعنا المسافة بين نقطة اليقظة وخط النهضة وسطح الحضارة في ظل ظرف مختل داخلاً وخارجاً كان الاخر فيه هو الفاعل وكانت الذات هي القابل وكان وكان مما يعرفه الولدان حتى سيطر الاخر على مجمل حياتنا ورمى بظلاله الثقيلة علينا وحال بيننا وبين اللحاق به!

لقد علمتنا الايام: ان نهوضنا غالي الثمن وخطر التبعات لعيوب فينا وفي الاخر! فكانت التضحيات والدماء والآلام.. هوالصراع بين حق الحياة وحق المنع من هذا الحق. هذا هو سر المواجهة المختلة ولكي نتجاوز التشتت والفرقة الى توحد واتحاد وقوة، حال الخصوم بينها وبين التحقق! بعد ان ضربنا على الاصابع! وزاجر يقول: اتركو بقرتكم مباحة الحليب مستباحة للثيران! ولكي لا تزعلوا سنترك لكم الفتات والقشور كي بهما تلهون الاسنان واللسان وتتوقفون عن الثرثرة والهذيان بشأن حقوق الانسان وحق الاوطان! حتى غاب المنطق عن العقل والتاريخ والقرار مما يرفضه الاحرار وكل صاحب وجدان فكان ما كان من قتال ودفاع وعدوان وكان الحصار وكان الارجاع الى عهود ما قبل الطوفان!.. تصاعدت معها خطط الاخرين بمزيد من التقطيع والتجويع والاستعداء! لا في عموم الساحة الممتدة من المحيط الى المحيط! بل وفي الدار الواحدة والخيمة الواحدة والدولة الواحدة. فمضيف الاهل شتات والغرباء يجوسون الديار ليل نهار! تلك هي الساحة.. وتلك هي الخيام في اكثر من اتجاه وموقع ومكان. وتلك هي مرارة الواقع!))

عند هذا الحد ادرك العقلاء ان في الافق املاً وفي المستقبل تفاؤلاً شرط ان نضع الخطوة امام الخطوة لنرتقي على سطح الحضارة باستحقاق ونضع اللبنة على

اللبنة ليرتفع البناء بعد ان اقتنع الجميع بضرورة البناء وان اختلفوا على حجم البناء وكيفيته! فالحضور على سطح الحضارة يتحقق حين ينطلق الجميع من موقف سليم من العقل والعلم والدين والواقع والاخر والمستقبل وبعد ان يصبح الوطن ساحة للجميع يسهم في تطويره امٍ واعية متعلمة وقرينة مثقفة تعرف كيف تربي الاولاد! وبنت واعية تعرف كيف تصون شروطَ العلم والعفاف والحياة الكريمة. نداء للجميع لا نهضة او تقدم من غير عمل مشترك يتنافس فيه الجميع من اجل الجميع فخير الناس من نفع الناس و(من غشنا ليس منا). ورحم اللـه امرءاً عمل عملاً فاتقنه. عندها سننفتح على شعوب الارض من غير عقد او خوف او شك. هكذا غادرنا الالف الثاني للميلاد لندخل برزخ الالف الثالث منه.

المقامة الثانية: مقامة الحال من المحال

العقل يلح بالسؤال وتعصف في الرأس هواجس الاسئلة: ماذا حلّ بنا بعد الفين من السنوات مرت على ميلاد (يسوع) عليه السلام؟ او اربعة مثلها منذ اكمل الخليل (عليه السلام) دورته التوحيدية في هذا الربوع! صادحاً ((ان وراء الافق سر الافق وجوهر الوجود حتى تفجرت بالموحد الثورة في عاصمة الدنيا - بابل - حين كانت النيران برداً وسلاماً ((على ابراهيم وال ابراهيم الى يوم الدين))!

الاف من السنين مرت كان الصراع فيها يقوى ويضعف بين الجائعين والمتخمين حتى شهدت الارض من اسباب الظلم والاستبداد والاستلاب ما يمزق الروح ولكن... فليس للانسان الا ما سعى والتشبث بما يعيد التوازن الى المختل والاستقرار الى المضطرب.. فكان الانبياء وكان الرسل وكان ما كان لمواجهة طغيان الفرعون! هل سيكون الكائن في الالف الثالث - ما ليس بكائن، مما لا سبيل معه للانسان في هذا الزمن المأساوي - الا التشبث بشروط الانتماء الى دائرة العقل والفطرة والايمان؟ فهي دلالات الدرب المفضي الى نوابت العرفان وحيّ بن يقظان وصواب الحل والعنوان! ووضوح الحق والميزان. ومفلوكو هذا الزمان يقولون: ((حذار حذار من عواصف الدهر وضياع العنوان ومخاطر فقدان الدرب.. في متاهات (العولمة) والكوكبة ولعب الشيطان! فغول العصر الموسوم بمافيات المال وجيوش المرتزقة وحكم اللقطاء يستلب الناس ويشيع الجوع على مدار الساعة في كل مكان! هكذا تجف المبادىء الفاضلة من حول الوجدان ويتحول

الانسان الى سلعة تباع بأبخس الاثمان! تلك هي بوادر عصر الاشرار ممن يريـد لبهاليـل الارض ان تعيش بلا وجدان! ونحن في فجر الالـف الثالـث للمـيلاد نريـد حيـاة شـفافة لبنـي الانسان نفتش عن (بلال) ذي الصوت الذي يؤذن للرحمن نفتش عن قـديس يقـرع نـواقيس الكنائس داعياً حي على العقل حي على الحكمة والمحبة ووهج الايمان! حي على الثقلين لعله يبعـث في افئـدة اربـاب السـلطة والمـال مـا يجعلهـم عونـاً لمجتمـع الخـير والعدالـة وكرامـة الانسان!"

ويذكر الـبعض بأسـنان الحـمار لا انيـاب الـذئب ليصـلح في ضـوئها الواقـع كي لا تغشىـ الجميع ظلمة القنوط واليأس وسورة البأس ولسان حال الجميع يردد ونحن على عتبة الالـف الثالث للميلاد:

((مهلاً مهلاً يا عشاق الحقيقة وطلاب الحل فالانقاذ لا يأتي من خلف تخـوم الكـون ولا من وراء المحيطات فهو هنا.. في جوف عقول الناس اخبرنا به الرحمن منذ الفين من الاعوام)) ((ان اللـه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) (الرعد 11/13).

هكذا يصبح الصباح على مفلوكي الارض في اليوم الاول من الالف الثالث ليبـدأوا العمـل مع دورة جديدة. ونهضة جديدة يكون حاصل (فائض الزمن) فيها والعدالة اكبر من (فـائض القيمة والمنفعة والثروة والقوة) وذلك هو الفوز الاكبر في قاموس النهضة! وتلك هي مقامتنا.

بغداد - في فجر الالف الثالث للميلاد

الامركة واسباب غياب العامل الثالث

مقامة اخرى يطلقها الاخر ليوصف بواسطتها واقع الحال من وجهة نظر ((حاله وحال الاخرين ونحن بعض منهم)) واللافت للنظر ان مقامة العم سام تتحدث بلسانين وتظهر بلونين فتراه يتكلم عن مصادر الارهاب والخوف الذي يهدد حضارة ورفاه مواطنيه ثم يتحدث نيابة عن الاخرين جنوبيين وشرقيين! او قل بلسان (الغرب) لمواجهة لسان الشرق حين كان الغرب رمزا لفكرة المواطن العالمي (الكوسموبوليتي) وكان الشرق الاممي يتحدث عن (اتحاد الطبقة العاملة) كونياً (ياعمال العالم اتحدوا) اما حين غاب صوت الشرق/الشمالي وبقي الغرب/ الشمالي راح يتحدث باسمه تارة وباسمنا اخرى لذلك تداخلت المفاهيم والاصوات وضاعت مرجعيتها وما عاد العالم يسمع غير (لغوة) معولمة تتداخل فيها جميع الاصوات! فلم نعد نعرف من خلالها - انفسنا ولا حقيقتنا! ثم راح يبني على هذه القاعدة الفوضوية المشوشة خططه ومشاريعه كيفما يريد ويرغب! من غير ان يخوله احد حتى وهو يقرر اجتياح العراق بمعزل عن الارادة الدولية تلك هي المعضلة التي تركت (العامل الثالث) غائباً او مشوهاً نعم غاب عامل الامن والامان والطمأنينة لدينا مثلما اضطرب القلب وخاف الناخب منا! تحت دعاوى الارهاب والارهابيين! فمن يخاف من؟ ذلك هو السؤال المعضل. ولكي نخرج من هذه الورطة فلنفصل بين الاصوات! في الميمر الثاني! اعتماداً على شهادات محايدة ومنحازة للشمال.

الاول: حقيقة المقال: ارهاب الدولة، ام ارهاب العقائد، في خطاب الامركة

ما دام الامر قد كشف عن نوع من (المواجهة/والتجاذب) بين دعاوى الحق والخوف عندنا وعند الاخر فلنقف عند شواهد الاخر اعتماداً على الخطاب الرسمي للاخر والخطاب الفلسفي (المحايد والمنحاز). فأين نحن بين الخطابين!

1- الخطاب العربي جاء منفعلاً لانطلاقه من ردود الافعال التي حاولت التوافق مع الظروف المحيطة صحيح ان هذه الظروف مسؤولية عربية. لكنها ليست من صناعة اصحابها ولا سيما الحلقات الاخطر فيها! لهذا السبب (خسر

العقل العربي) الشرط المطلوب للفكر المعبر عن وعي الحال او تقرير الحلول المناسبة لذلك بقي لاهثاً وراء حلول مبتسرة متسرعة لكي يحافظ على توازنه بين ذلك الكم الهائل من المؤثرات في الساحتين الافريقية والاسيوية. وان كان مركز الثقل في سيرورة هذه الاحداث هو مشرقنا العربي بسبب الحضور المبكر للمشروعين (العبري والامبريالي) وما رافقهما من اكتشاف لمكامن الطاقة في ديارنا (المحروسة) هكذا اذاً نشأ وعي (عربي للذات) قلق مشوش مأخوذ بالخشية والرهبة من المجهول (والمفاجئ) على الصعد القطرية ما دام هناك تنغيص يهدد امن المواطن ومستقبله مثل ما هو امن السلطة وخططها.

وهكذا توالت الصدمات وتعزز الخوف على الحاضر وان وجد هذا الحال ازاءه بالمستقبل! لكن المستقبل العربي الذي اصبح حاضراً كشف عن عمق المأساة وتجذر الخوف المركب فيه وفي دواخلنا منه ايضاً اما ما هو مصدر هذا الخوف ودوافعه ومحركاته؟ التحليل الاولي يقول انه يتوزع على (وهم) ذاتي و(حقيقة واقعية) وقلق رسمي على (الاوضاع) ثم تضخم ذلك الخوف ليلبس ثوب (الخوف من الداخل) بعد ان تعددت اشكال العداوات وتخندقت اطرافها مع مرور الايام والسنين؛ استثمر الاخر هذا التخندق ليستر فيه ضعفه ويسلب منا عناصر قوتنا! لهذا السبب تداخلت الخنادق واختلطت الاوراق وما زالت على هذه الحال ولا سيما بعد ان اكتفينا (بمشاريع كلامية/خطابية) والمتربص بنا يعمل اكثر مما يتكلم! واذا كانت (الاخطار) التي تهدد الاخر تتغير بتغير ظروفها لتنتقل من الاحمر الى الاخضر وربما الاصفر فالاسود وعلى وفق خطاب منظم وتوقيتات محسوبة! ما زلنا نتحسس جراحنا من غير ان ندري هل نحن جناة ام ضحايا؟ ما دام الاخر يتكلم بأسمه وعلى لساننا ونيابة عنا وعن اعداءه في آن واحد فهو يتحدث عن عدو بلا ملامح (زئبقي) نتلفت من حولنا فلا نجد غير مزيد من التهم! ضدنا مع اننا نسبح ببحر من دمائنا! من القاتل؟ ومن المقتول؟ لا ندري! ويدري الاخر اننا لا ندري مع انه يعرف جيداً من القاتل ومن المقتول؟ مع ذلك يضع نفسه قاضياً علينا. لقد تسارعت دروس واحداث ووقائع، اختلفت حولها الشهادات فكيف يجري الصراع ومن يديره؟ نحن لا نمتلك الاجابة الا ظناً وتخميناً في حين يعرفها (الاخر) حتماً ويقيناً! فما هي حقيقة المعركة وحدودها واللاعبين فيها؟ الاجابة مشوشة ما دمنا نواجه (عدو) بلا ملامح بعضها (جزء منا) وبعضه الاخر جزء

من المجهول! و الله اعلم! لا نملك ازاء هذه الورطة غير الاعتذار والتبرير والتأويل والتفسير مع تواصل قوافل المغدورين والمنحورين والمسلوبين والمسجونين! اما الاخر الذي كشف عن (ميدان كوني) للمعركة وللخطر والتحديات انطلاقاً من خطوط تقاطع لا يجمعها جامع فأوقعنا في حيرة المواقف وترك مستقبلنا على كف عفريت وشل السنتنا عن ان تقول الحقيقة. الحقيقة التي تعرفها - عنا - (ذاتنا) التي ليست (بريئة من التهم) انما هي (ضحية) تفتش عن منقذ! هذا هو واقع الحال فماذا نعرف عن مقال الاخر شهادات من (مقامات الاخر).

1- تحدث (ريغان) سنة 1982 عن النظرية الامريكية لمفهوم السيادة المحدودة (المنقوصة) للاخرين من الدول والهيئات قائلاً ان امريكا (تملك مشروعية اعمالها التي تحد من سيادة دول تقع في منطقة النفوذ الامريكي وبعض الدول الاخرى التي تقع خارج هذه المنطقة[1]).

2- هذا الحديث يذكرنا بالخطاب الذي دشنه جون فوستر دالس وهو يدعو لحرب مقدسة ضد (الخطر الشيوعي[2]) مع أن أمريكا كانت - في حربها الباردة تعول على الضغوط الأقتصادية بديلا عن المجابهة المباشرة بين القوتين الأعظم قبل 1990 بأسم المثل الديمقراطية التي عدّت نفسها راعية لها منذ أنتهاء الحرب العالمية الثانية.

3- حين كسبت أمريكا الحرب جعلها الرئيس ترومان الدولة الأقوى وان (لديها الحق بموجب هذه القوة بأن تتولى ادارة تنظيم العالم..!)[3] وجميع النظريات اللاحقة من ايزنهاور الى نكسن فكارتر أكدت هذا الأتجاه الأخير.

4- وبهذه الكيفية أستبدلت الولايات المتحدة شيئاً فشيئاً المركزية الأوربية (الأوربة) بالمركزية الأمريكية (الأمركة) في سياق من التمييز بين العالمين

---

(1) النص أورده باسيل يوسف: (في): أثر النظرية الأمريكية للسيادة المحدودة على العولمة ونظام وآليات مظمة التجارة العالمية ضمن (ج/5) من بحوث ندوة بغداد العالمية أصدار بيت الحكمة بغداد 2002 ص 164 تحت عنوان (العولمة وأثرها في الأقتصاد العربي).

(2) أيضاً 175/5 وهامش (9) نقلاً عن مصدره الأصل 187/5.

(3) أيضاً 175/5 نقلاً عن مصادره الأصلية.

(البربـري/ المتـوحش) و(المـدني / المتحضرـ)[1] .فكيـف اذا نظـر منتصـف القـرن العشرين من زاوية كون (اسرائيل: تمثل اخر محطة حضارية - غربية - مطلة عـلى عالم الهمجية؟)عزز هـذا الأتجـاه في التمركـز وجـود معظـم الطاقـة (البتروليـة) في المشرق العربي مما جعل أمريكـا حسـب اعلامهـا المسـوّق بعنايـة عـبر امبراطوريـة مردوخ ((هي مصدر الأمل والطموح لجميع الذين جردّوا من حريـاتهم))[2]. نعـم هكذا طرحت نفسها كملاذ آمن للمغلوبين.

5- ان انتقال السطوة للقوى الفضائية (الغربية/الجنوبية) في الولايـات المتحـدة التـي تنامت مع سباق التسلح وغزو الفضاء مع الأتحاد السوفييتي السـابق قبـل عـام 1991 خلـق مراكز قوى جديدة تخطت الهيمنة الشرقية للكتل (القديمة) البترولية أو المتخصصـة بصـناعة السلاح وتمكنت من ايصال ممثليها لدست الحكم طوال العقدين الأخيرين مـما تطلـب تبنـي (فلسفة جديدة) في الأستراتيجية تقوم على جعل النموذج ((الأمريكي للديمقراطية هو منتوج للتصدير العالمي)) ولاسيما بعد تفكك المعسكر الأشتراكي وظهـور القطبيـة الواحديـة وان كـل تعطيل لنشره بأسم السيادة الوطنيـة يثـير ضرراً عـلى الأقتصـاد العـالمي ويشـكل خطـراً عـلى السلم))[3] هكذا يرى ريغان والى مثل ذلك دعا كيسنجر بهدف حماية التعددية وكسرـ شـوكة الرافضين للمشروع الأمبريالي.

6- وكي لا يكون الأغنياء رهائن (للفقراء) لابد من العمل على تلاشي مفهوم ((سـيادة الدولة التي تحمل تعدياً على سلامة المواطنين الأمريكان)) ويكفي حسب - كارتر ((ان تكـون حقوق الأنسان والأرهاب)) و (معـاداة الأرهاب) أو الحرب عليه حسـب ريغـان وبـوش الأب وبوش الأبن ((سـبباً كافيـاً لتخطـي مفهـوم السـيادة الوطنيـة للأرهـابيين أو الـدكتاتوريين)) فالأرهاب ومخاطره على الولايات المتحدة وحلفاؤها هو المبرر القانوني الجديد لأعلان الحـرب العالمية[4] الثالثة في العالم.

(1) أيضاً 176/5 نقلاً عن مصادره الأصلية.

(2) أيضاً 176/5 نقلاً عن مصادره الأصلية.

(3) أيضاً 177/5 نقلاً عن مصادره الأصلية.

(4) أيضاً 177/5 – 178 نقلاً عن مصادره الأصلية.

7- وأنطلاقا من شعار الأمساك باللحظة الحضارية وعولمة العالم أو أمركته بجميع مكوناته المادية (الأعلام والمعلوماتية والمال) والأيديولوجية: (نهاية التاريخ وصدام الحضارات وصدمة المستقبل) كانت الدلائل تشير بالأتجاه الأخطر لقوى اليمين في الأدارة الأمريكية لتسويق العولمة عسكرياً ولاسيما بعد تصاعد ايقاع الأحداث (المخطط لها أدهوقراطياً)[1] وصولاً بها الى صدمة الحادي عشر من أيلول 2001 ليعلن (بوش الأبن) بعدها الحروب تحت عنوان مكافحة الأرهاب مما زاد في عصف الأعصار العولمي للدول النامية وأصبح من الصعب على الدول القومية - حسب الأمين العام كوفي عنان عام 1999 مواجهتها بمفردها - لفرط القوة المسخّرة من قبل أمريكا ضد الأرهاب[2] مع ان النشاطات الأخطر اجراماً (أرهاباً) في العالم - ليست هي التي يمارسها مواطنون من البلدان المحتْلّة أو المظلومة أو المستغلة للتعبير عن رفضهم للظلم والأستبداد و الدكتاتورية والتمييز العرقي والطائفي والمذهبي والأجتماعي - أنما هي التي تنفذها مافيات (متعدية) للقارات والحدود والقوانين والأنظمة. يحاسب عليها القانون الدولي أصبحت تعمل في خدمة مشاريع معولمة بالتعاون مع المؤسسات السرية والمخابراتية[3] قبل عام 2001 بسنوات طويلة وترعاها دول كبرى أنه ارهاب الدولة ؟

8- أن ما مهّدت له القوى الكبرى من حرب على (الأرهاب) جرى في سياق ما يعرف بعولمة الأقتصاد وهي - في حقيقتها الظاهرة الأرهابية الأولى الماثلة في أختلال المعادلة الحيوية لعالم القطبية الواحدية بين عالم القلة المترفة (الشمالية) وعالم الكثرة الجنوبية تلخصه الحقيقة القائلة (أن 10% من سكان العالم تهيمن على 90% من الثروات تاركة 10% منها ل 90% من السكان) فأين هي

(1) الأدهوقراطية هي الشكل الجديد من العلاقات السوبرامبريالية الذي سخرته القوى الكبرى لتحقيق أهدافها بعد عجز (البيروقراطية) عن مواكبة أيقاع التطور المتسارع في ظل (الزيغ الزماني) الذي هو الزمن محسوبا على أساس تقني / هندسي تكمن في مفاجآت التنافس الأعظم بين القوى الأقتصادية والإنتاجية العملاقة في عالم اليوم. تقوم على مثلث (الفريق والحاسوب والرئيس) [يراجع ذلك مفصلاً في دراستنا الموسومة: حركة التاريخ من اللحظة الحضارية إلى الزيغ الزماني بين كارل بوبر وعصر العولمة. مجلة الفلسفة (المركزية) يصدرها قسم الفلسفة آداب المستنصرية العدد الثاني بغداد 2002 ص 17 – 33].

(2) باسيل يوسف: مصدر سابق 179/5.

(3) جماعة: جريدة اللوموند – دبلوماتيك – الفرنسية: الجرائم الكبرى في ظل العولمة. ترجمة وإعداد نادرة سلامة منشورة في مجلة المشعل ع 112 لسنة 2001 ص 30-34 (طرابلس 2001).

حقوق الأنسان الفطرية؟ وهو يعاني من سياسات النهب وصناعة الفقر[1] تلك واحدة من اثار الأرهاب (المعولم) في عالم اليوم.

9- أستكمل مراحل الزحف على (الثروات) والخبرات ما تعرّضت له: (معامل) ومؤسسات (النفع العام) في العالمين (الثاني الأشتراكي سابقاً) و(الثالث: العالم النامي) في اطار ما يعرف بالخصخصة[2] انتهى الى (ابتلاع) مليارات الدولارات والثروات والخبرات تركت الكثير من الدول تحت نقمة شروط بنك النقد الدولي وغيره بالضد من مصالح (الفقراء) والبؤساء الذين خسروا الدعم الحكومي في عشرات الدول النامية مما زاد في شهية الشركات العملاقة.

10- والى جانب اتفاقيات الجات عام 1994 جاءت بعد عام اتفاقيات أخرى . ترسخ الهيمنة على الأقتصاد والعلوم والتكنولوجيا والتقنيات والعقول والكفاءات لخدمة العولمة في ثوبها (السوبر امبريالي) مثل التريبز TRIPS وتيرمز TRIMS على الرغم من ظاهرها البريء الذي لا يستفيد منه الاّ الأقوياء في كل شيء ولاسيما اتفاقيات (الحقوق الثقافية) واتفاقية الجوانب التجارية للاستثمار وبما يخدم غرض (الهيمنة) وفرض ارادة السيطرة وتسخير هذه (المؤسسات)[3] المتوالدة مع العولمة لصالح الولايات المتحدة ولاسيما النظرية الأمريكية في السيادة المحدودة للدول (العدوة) وما نجم عن ذلك من قوانين لمعاقبة بعض الدول بشكل فردي بعد اقترانه بموافقة الكونغرس على تشريعه ضد كوبا وليبيا والعراق وايران

---

(1) يوسف نور عوض: نقد العقل المتخلف أو فقراء العصر التقني. بيروت 1985 ص 37 وما بعدها.

(2) علي حسين الجابري: الشمال والجنوب في ظل العولمة حوار أم صراع؟ الخصخصة وأثرها الإجتماعية – أنموذجاً. ملف المائدة المستديرة لجامعة ناصر الأممية [الدورة 12] طرابلس 2002 المبحث 15 ص 1 – 24.

(3) سامي عطو: حماية الملكية الفكرية ونقل التكنولوجيا – منشور ضمن ملف العولمة وأثرها في الإقتصاد العربي – بيت الحكمة. ج /5 بغداد 2002 ص 121.

وسوريا والسودان وكوريا الشمالية[1] وصولا الى اوربا[2] هو ما كشفته اتفاقية دايتـون[3] (عام 1995) وتطبيقاتها.

11- تلك هي حقيقـة العولمـة /الكوكبـة= لامركـة/ التـي إنطلـق منهـا بيـان المثقفـين الامريكيين الستين الكبار بين شباط 2002 وايلول للتبشير باخطر ظاهرة وصلت اليهـا العولمـة في مراحل تطورها المتلاحق واعني به (اخلاقية الحرب الوقائية) ليست ضد العراق فحسب او افغانستان انما ضد جميع الذين يشكلون - من وجهة نظر الادارة الامريكية واليمين المتطـرف فيها - خطراً على مصالح هذه الادارة وامن امريكا، بعيدة كانـت هـذه الـدول الشريـرة عـن حدود الولايات المتحدة ام قريبة للامسـاك باللحظـة العالميـة وتسـخير القـوة اخلاقيـاً لامركـة العـالم بعـد ان وجـد هـذا الخطـاب تنـاغماً مـع خطـاب ايـديولوجي/مثولـوجي لجماعـة هرمجدون[4].

12- امـا محـاولات الـربط بـين (الارهـاب العـالمي) ومخـاطره عـلى الامـن الامـريكي وموضـوعة (اسـلحة الـدمار الشـامل) فهـي ورقـة لا تخلـوا مـن بريـق عولـت عليـه الادارة الامريكية المفتونة باحلام العولمة وعالمها اليوتوبي القـائم عـلى فكـرة (امركـة العـالم) وطبعــه بطابع الحداثة الثالثة وتسويـق (الليبرالية والحرية والديمقراطيـة) في عـالم الجنـوب ولا سـيما المشرـق العـربي (الشرـق الاوسـط) فهـو الجـزء الاخطـر في الخطـاب الرسـمي المعـولم للاعـلام الامريكي المنفعل بهذه اللحظة من غير ان يغيب عـن (الخارطـة) الموقـف المعـارض ليتحـدث عن (الهم الامريكي الداخلي) بنوع من الخطاب الكلاسيكي الـذي مـن غـيره تنبعـث ذكريـات (فيتنام) وعقدتها و (الاحراج الذي) عانته ادارتها! لذلك حرصت عـلى دفـن هـذه العقـدة في (رمال الخليج عام 1991) ثم استكملته بمشروع (تحرير العراق) عام 2003 من

---

(1) باسيل يوسف مرجع سابق 181/5 – 185.

(2) عصمة عبد المجيد بكر: حماية الملكية الفكرية ومنظمة التجارة العالمية – ملف العولمـة – بيـت الحكمـة (ج /د) بغداد 2002 ص 189 – 208.

(3) جعفر عبد المهدي صاحب: اتفاقية دايتـون دراسـة تحليليـة قانونيـة – سياسـة. دار شـموع للثقافـة الزاويـة الغربية ليبيا 2002 ص 67 و 70 وص 75 – 134 إلى جانب ملاحقهامن ص 135 – 261.

(4) معتز محمد هاشم الجعبري: نصاري الغرب المتصهينون يرقصون على طبول هرمجـدون. عـالم الثقافـة. عـمان 2003 ص 7-29 (بالإمكان الوقوف على نص ذلك البيان على الإنترنت معهـد القـيم الأمـريكي) شـباط 2002 وأيلول 2002 أو بتوسط مكتبة الكونغرس قسم الوثائق. واشنطن 2002.

غير ان تقطع صلة الحبل السري بمشيمة احداث ايلول وفكرة الارهاب! وابن لادن والاسلام!. والحقيقة نحن لانعانى من خصومة مع الشعب الامريكي ونمط الحياة التي يختارها! لكي تحاول لغة الاعلام ان تتحدث عن كره العرب او كراهية المسلمين للامريكان! انما- حذر خصوم الادارة الحالية في نشاطاتهم الانتخابية مع مطلع عام2004 من (حقد) وكراهية قد تجمع عليهم شعوب الارض قاطبة ودول الشمال والجنوب! بأستثناءات محدودة - اذا ما أستمرت سياسة (الحرب الوقائية) التي تقوم على (نوايا الخصوم) المستقبلية بسيناريو قريب من مضمون (رواية 1984 لجورج اورويل) وهذا يعني خوض حرب عالمية ثالثة غير محددة الزمان والمكان تتطلب المزيد من الاستنفار والاستعداد والارصدة والتضحيات للحفاظ على (مكاسب الاجداد[1]) في عالم الرأسمالية ضد عدو (زئبقي) اسمه (الارهاب) هو في حقيقته (تكوين سايكولوجي) مصّنع لاستبدال خطر بخطر بعد ان توثقت الادارات الامريكية انه من غير (الخوف) - هذا العامل الغائب- لايمكن تمرير المشاريع الكبرى ذات الاهداف الاستراتيجية فلا بد اذا من العمل على استحضاره فكما ان هذه الادارات تسخر (العلم) لتحقيق اهداف القوى الكبرى تحت ذرائع (الخطر والتهديد والارهاب) اصبح عامل (الامن والطمأنينة) هو المحرك للسياسات والقرارات والاعلام لا في الميدان الداخلي انما (سوّق) خطابه الى العالم الخارجي وبخاصة المجتمعات المستهدفة في المخطط العولمي في مشرقنا العربي فالشراكة التي دعا لها فوكوياما عام 1990 مطلوبة ما دام البرابرة (يقصد بهم الشيوعيين) ماعادوا على الابواب! تلك هي شراكة الفرقاء! لكن الادارة الامريكية اكتشفت بعد سنتين ان مثل هذه الفكرة ستقتل فرصة (تطوير القدرات السرية) مما فرض فكرة (الافاعي السامة) التي تحدث عنها كلنتون 1993 قائلاً :

((كنا نظن خطأ ان الخطر قد زال بسقوط الدب السوفيتي فما زال - هكذا ترى الادارة الامريكية - العالم مليء بالافاعي السامة!)) وهكذا صخب الخطاب (بصدام الحضارات) لصاموئيل هنتنغتون والبقية معروفة للجميع!

(1) علي حسين الجابري: العرب وما بعد العولمة. ملف أعمال المؤتمر الفلسفي العربي الثالث لبيت الحكمة تحت عنوان: كتابة تاريخ الفلسفة العربية المعاصرة. بغداد 2003 ص 379 – 394.

1- بعد جميع الذي جرى من قرارت للادارة الامريكية خارج دائرة الشرعية الدولية والشراكة في اطفاء الحرائق كانت حكاية اسلحة الدمار الشامل العراقية التي ستعصف بحياة سكان الكرة الارضية ببحر (45 دقيقة) هي (اللعبة) التي توظف (عامل الخوف والرعب) للحصول على الغطاء المطلوب نفسياً واعلامياً وقانونياً! وهو امر تكشفت حقيقته بعد عام مما غيّب عامل (الطمأنينة) عنا لهذا السبب حذر الامين العام للامم المتحدة من خطورة الوضع الدولي على هامش مؤتمر دافوس عام 2004 قائلاً ((ان العالم يواجه تهديدات امنية وصعوبات اقتصادية تعرض النظام العالمي بأسره للخطر)) ويبدو ان الامين العام يقرأ الجزء الغائب من المعادلة! حين نوه بمخاطر الارهاب (الحركي) و(الدولي) قائلاً ((بأن الارهاب والحرب الدولية ضده تمثلان خطراً على حقوق الانسان وتحدثان انقسامات حضارية ودينية وعرقية في العالم)) ولما كان المحرك الحقيقي لهذا الوضع المأساوي هي القوى الخفية في عالم العولمة لم يخاطب الامين العام (رؤوساء الدول) انما خاطب رجال الاعمال في مؤتمر دافوس السويسري قائلاً ((ان الشركات صاحبة مصالح قوية في منع النظام الامني العالمي من الانحدار الى منافسة شرسة مبنية على قانون الغاب ... (ففي) غضون اعوام قليلة حدث تحول في المناخ السائد من ايمان شبه حتمي بالعولمة الى عدم يقين عميق في استمرارية النظام العالمي المعّرض للخطر)) مثلما هو الخطر يهدد الامم المتحدة نفسها ومستقبلها.

فالمرجو من رؤوساء الشركات العالمية الكبرى ((ان يستخدموا نفوذهم لدى الحكومات لتعمل على ان تصبح التجارة اكثر عدلاً وتعمل على دعم الامن)) .. وحثها على لعب دور هام في تفادي الصراعات التي عادة ما تدور حول السيطرة على مصادرالطبيعة الى جانب التشجيع على (الشفافية) ومكافحة (الفساد الأداري). من خلال اجراءات فعّالة تحول دون وقوع النزاعات والحروب. ((أن التجارة غير العادلة وعلى وجه الخصوص السياسة الزراعية لاتدمّر البيئة فحسب بل تقلص العائدات في الدول الأكثر حاجة لها)) (الدول المتخلفة).

((فالمطلوب - كما يرى الأمين العام للأمم المتحدة - الرفق بالفقراء شعوباً وحكومات والا فلا معنى للمساعدات من غير تطوير القدرات الذاتية للفقراء في العالم[1])) تلك هي الخلاصة المأساوية لواقع الحال. كانت حصةمشرقنا العربي فيه ثقيلة !وهي حقيقة عجزت كتابات فوكوياما[2] وهنتنغتون[3] وتوفلر[4] عن تبريرها.

2- ام الحكم الاكثر مداعاة لليقين فهو الذي تجتمع عليه قناعات مجموعة من الباحثين (المحايدين) مثل جارودي[5] ونوريس[6] وبوردو[7] وكانتول[8] ودريدا[9] واخرين ويتعذر استدعاء نصوصهم في هذه الدراسة. لكن يبقى موضوع الخوف وعلاقته بالارهاب! ومخاطر تسويقيه عالمياً هو الاكثر اغراءً والاشد قرباً من روح المقامة البغدادية وان كان رجاله من مدرسة فرانكفورت لهذا وقع اختيار كاتب

(1) كوفي عنان: حوار على هامش مؤتمر دافوس: قانون الغاب يهدد النظام العالمي. ترجمته العربية منشورة في جريدة الزمان الدولية – بغداد في 2004/1/24 ص 2.

(2) فوكوياما (ف) نهاية التاريخ وخات البشر. تر / حسين أحمد أمين (مؤسسة الأهرام للترجمة) القاهرة 1993 ص 62 – 247. قارنة بكتاب عبد الوهاب المسيري نهاية التاريخ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) بيروت 1979 ص 42-72.

(3) هنتنغتون (ص) صدام الحضارات. تر/مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث (شؤون الأوسط) بيروت 1995 ص 17-88 وما تلاها.

(4) توفلر، الفين: حضارة الموجة الثالثة تر / عصام الشيخ قاسم (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع) ط1 مصراته 1990 ص 334-446 وله: تحول السلطة: تعريب فتحي بن شتوان ونبيل عثمان (الدار الجماهرية) ط1 مصراته 1992 ص 226-332.

(5) جارودي (ر) أمريكا طليعة الإنحطاط تقديم كامل زهيري. تعريب عمرو زهيري دار الشروق ط2 القاهرة 2000 ص 12-19 من المقدمة وص 21 وما تلاها لجارودي.

(6) كريستوفرنوريس: نظرية لا نقدية – ما بعد الحداثة المثقفون وحرب الخليج تر / عابد اسماعيل ط 1 دار الكنوز الأدبية بيروت 1999 ص 86 – 273.

(7) بياربوردو: أسباب عملية إعادة نظر بالفلسفة تعريب: أنور مغيث (الدار الجماهيرية) ط1 سرت 1995 ص 15-285.

(8) الآن كانتل: الأيدز من يقف وراء انتشاره / مجلة الفجر الجديد الإسترالية DOWN NEW عدد كانون الثاني / شباط 1998 تر / ناطق خلوصي منشور في مجلة الموقف الثقافي ع 17 بغداد 1998 ص 125 – 133 وكذلك: حروب الطقس (ص 133-135).

(9) جاك دريدا: أطياف ماركس أو لاعب غامض تر / منذر عياش حلب 1995 ص 28 وما بعدها.

السطور على استحضارهم كشهادة غير مطعون بحياديتها! مادامت تلامس جوهر المشكلة واعني بها (العامل الغائب) أي طمأنينة القلب منظوراً اليه من زاوية الفن.

أ- فالفن عند رجال مدرسة فرانكفورت الالمانية ولاسيما ادورنو يحرر الانسان من جميع اشكال العبودية والتسلط؛ عبودية الحاجة وتسلطها ليكشف حقيقة المواجهة الشمولية المعاصرة بين (هيمنة الكلي) [ايديولوجيا، سلطة دولة، شمولية] المتسلط على كل شيء والفن الباحث عن فرصة للتعبير الحر[1]. وتحرير الانسان من هذه العبودية. وجدل العلاقة يتركب عند هذه المدرسة من مكونات توحد ثمار الانجاز الحر لاي انسان في مقابل تهديد ذلك الانجاز الناشيء من تسخير عوامل الخوف والعنف والقهر والارهاب فالجدل منهج وصيرورة يفصح عن تجلي وقائع الحياة العملية عند ادورنو في سياق سعيه للكشف عن اغتراب الانسان وغربته وضياعه شأنه في ذلك شان الفلاسفة الذين تحزنهم مأساة الحياة الانسانية بسبب نزوع مسيرة الحضارة الغربية المعاصرة نحو القمع والتسلط والالغاء وخيبة الامل بالعلم بعد ان حوله (السادة) الى وسيلة لعبودية الانسان للطبيعة بدلاً من تأكيد سيادته عليها[2].

ب- فليس انسان الجنوب هو المغلوب على امره والخائف والمستعبد بل انسان الشمال ايضاً يعيش عبودية مركبة لفرط خضوعه لسلطات قمعية مختلفة سلبته حريته وارادته الابداعية. نعم اجتمع عليه (القمع والبيروقراطية والتسلط والنزعة الاستهلاكية والاجراءات البوليسية) انه التلاعب بالبنى الفوقية الذي قاد الى ((قيام البنية التحتية القمعية لجميع مظاهر الحضارة الاستهلاكية المعاصرة)) انتهى بالانسان الى نوع من التشيء[3] وان حرصت هذه الحضارة على اضفاء الطابع العقلي على (الواقع التسلطي) لكنه اصبح موضوعاً للسيطرة والالغاء يسحق كل لحظة انه يعيش بين سندان التكنولوجيا ومطرقة الاستهلاك وحياة البولسة

(1) جميع نصوص المدرسة ولا سيما أدورنو أوردها رمضان بسطاويسي (في) الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية. مجلة أوراق فلسفية ع7 ج2 القاهرة 2002 ص 225؟

(2) أيضاً ص 232.

(3) أيضاً ص 233.

والمراقبات وهو امر يتطلب ادانة عالمية وفضحاً يومياً للـذي يتعـرض لـه الانسـان مـن هـدر للكرامة والالغاء[1]. في ظل العولمة والكلي.

ج- ويبدو ان (الفـرد) قـد تحـول الى مجـرد (موضـوع للتبـادل السـلعي) بـين ممـثلي الاحتكارات الكبرى واشكال التنظيم الاجتماعي للدولة بعد ان توفر الغطاء التضليلي الاعلامي لتغيب الوعي ومحاصرة العقل ((مادام وعي القمع يعتمد عـلى (المعرفـة) والمعرفـة مقننـة فالانسـان محـاصر بـأجهزة الاعـلام والتربيـة[2])) ولاخـلاف بـين المفكـرين عـلى ان النزعـة الاستهلاكية السائدة في عالم اليوم، تصادر فردانية (المـواطن) التـي ماقامـت الا عـلى الفكـرة الليبرالية اصلاً[3] ان الليبرالية تأكل نفسها وتتخطى قيمها في ظل العولمة. واكثر من ذلك وجـد (هوركهايمر وادورنو) ان شمس الحقيقة كشفت البذرة البربرية في العقل الحسابي (الرقمـي) التي تشكل جوهر اقتصاد السوق البرجوازي[4].

مما لاسبيل امام من يريد تحرير الانسان الغربي الاّ بنقد الاسس التي قامت عليها هـذه الحضارة خارج اطر السيطرة التي سخر العقل فيها لفرضها عليه. نعم لابد من تحرير الانسان من الخوف أي تحريره من عقل التسلط الـذي كـان وسـيلة السـادة للسـيطرة عـلى الانسـان وتدجينه وتقنينه وبرمجته لصالح المرجعيـات والسـلطات الكـبرى في عـالم السـوق والسياسـة والاقتصاد[5]. ليتمكن من اكتشاف ذاته واطلاق طاقاته.

د- لقد لاحظ العقلانيون النقديون في الفكر الغربي فشل العقل التنـويري الحـداثوي في تحرير الانسان من الخوف اوقل اسطورة الخوف وتركه تحت رحمـة قـوى (اسـاطير) جديـدة لايقدر على الخلاص من جبروتهـا مثـل (الحتميـة والتسـلط والخـوف والاسـتهلاك والجمـود) فبقى اسير الخوف[6]. لذلك وظـف كل من

---

(1) أيضاً ص 234.
(2) أيضاً ص 235.
(3) أيضاً ص 236 .
(4) أيضاً ص 237.
(5) أيضاً ص 238.
(6) أيضاً ص 238 – 239.

هوركهايمر وادورنو كتابهما المشترك (جدل التنوير) في عملية تحرير الانسان من خطر التدجين والعبودية الجديدة التي نشأت في المجتمع الصناعي الرأسمالي الغربي وضد حربهما الشاملة على الانسان لدوافع غريزية بربرية لاحد لها؛ غريزة التحمس للموت والتدمير انه سلوك لاعلام مرعب يهدد الانسانية جمعاء ومثل هذا السلوك الارهابي المدان لم يصدر من الافراد بل تجلى في سلوك الدول ضد الافراد والشعوب من خلال الحروب المجنونة المتأججة في كل مكان انها العبودية الجديدة عبودية السيطرة على الانسان والطبيعة والعقل والعلم والتكنولوجيا ((انها حروب تدمير الانسان وعظمته[1])).

هـ- استكمل هبرماس مهمة (الجدل النقدي) بعد ان لاحظ تعويم القوى الفاعلة في الصراع الاجتماعي والأيديولوجي والطبقي والسياسي كما وجدها ماركوز[2] - لانقاذ الحقائق النسبية من ركام الاهداف الزائفة للسلطات المستبدة فبالعقل النقدي (الرافض) يتحرر الانسان من الخوف[3]. ويحقق طمأنينة القلب وذلك هو ميدان (الفن) الحقيقي لكي نضمن (الابداع) بعّده الفرصة المعبرة عن (عالم الامل) اوقل- الملاذ الآمن - المستولد من قلب المأساة[4] لهذا اكد هبرماس[5] في نظريته (المجال العام) على انحسار حرية الافراد، بسبب تدخل الدولة الرأسمالية مدفوعة بازماتها الاقتصادية العالمية تدخلاً وصل حداً طال شؤون الافراد الداخلية (الخاصة) وتخويفهم (ارهابهم) والتنصت على مهاتفاتهم ومراقبة حياتهم الداخلية وصولاً الى غرف نومهم وبريدهم! كما هيمن الاعلام والدعاية والاعلان والتلاعب بالعقول على حياة المواطنين حتى اصبحوا (رعايا لا مواطنين) وأقتصر نشاطهم على التصويت والصفير والتهليل ... والعكس بالعكس[6] خلاصة الأمر ان الأنسان

---

(1) أيضاً ص 228.

(2) ماركوز؛ هربرت: الأنسان ذو البعد الواحد. تر / جورج طرابيشي- ط 3 دار الآداب بيروت 1988 ص 17 – 24 (المقدمة) وص 25 – 256.

(3) اشرف منصور: مدرة فرانكفورت! نظرية هبرماس في المجال العام – أوراق فلسفية ع 7 (ج2) القاهرة 2002 ص 248.

(4) أشرف منصور: مصدر سابق ص 244.

(5) هبرماس؛ يورجن: الحداثة وخطابها السياسي / جورج تامر مراجعة جورج كتورة ط1 دار النهار بيروت 2002 ص 97- 124.

(6) أشرف منصور: مصدر سابق ص 260.

(الغربي) تعرّض الى غسيل دماغ (يومي) وغلبتة البيروقراطية السلطوية وأحتكار الحقيقة لكي تحول الناس الى قطيع يساس بمكر[1]. ولا خروج عن هذا المأزق (الارهابي) من غير وعي جديد ((يتناغم فيه السياسي- الاقتصادي - التكنولوجي)) ضمن اطار اجتماعي اخلاقي يحل الحوار بديلا عن الهيمنة والقمع والتسلط[2]. هذا هو واقع حال الانسان - الشمالي - بحسب شهادات محايدة:- في ظل دول قومية متقدمة مستقلة تعيش نوع من الرفاه المادي! فكيف بإنسان الجنوب الذي يعاني من غياب شروط الكيان المتحرر مثلما يعاني من ضغوط التخلف! الناشئة عن الاستبداد والفجوة التكنولوجية والاقتصادية والتشريعية! والحقوقية! والانسانية في هذا العصر الاستهلاكي العاصف!؟ هذا اولاً، وثانياً؛ كيف بهذا الانسان الثالثي الجنوبي اذا كان عربياً مسلماً يستوطن المشرق العربي حيث يتزاوج كل من المشروع التوراتي - والمشروع السوبر امبريالي! على صعيدي النظر والتطبيق؟ الامر يتطلب اذاً المزيد من الجد والاجتهاد والعقلانية لكي نصل الى مستوى من (العقلنة) وتسخير العلوم لكي نحقق نوع من (العلمنة)[3] عندها سنجد العقيدة الدينية المتفتحة على ذاتها وعصرها ومستقبلها: وسيلته في مواجهة تعقيدات الحياة المعاصرة. بهذا يمكن احتواء (العولمة) واستيعابها وفهمها والتعامل معها وتسخير عناصر القوة فيها لصالحنا ونلعب على عناصر الضعف فيها لتأكيد قوتنا! عندها سننال تقدير الاخرين ويكون لنا صوت مسموع على مسارح الحياة الضاجة بفضاءات تستوعب المزيد من الكتل العملاقة لمواجهة القوى العملاقة لا ان نتقزم ونتفتت ونتشرذم تحت دواعي الاستقلال والاثنية والاختلاف والصراع! فمنطق العصر هومنطق الفضاءات الكبرى لكي تكون الامم عصية على افواه تماسيح العولمة ودينصوراتها.

---

(1) أيضاً ص 261.

(2) أيضاً ص 262.

(3) طه تايه النعيمي: البحث العلمي والتنمية المستدامة في ظل العولمة: (ج/5) من أعمال ندوة بغداد عن العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي- بيت الحكمة- بغداد 2002 ص 59-60.

مقامة المابعد والكشف عن حقيقة ما جرى ويجري في بغداد

ومن اجل ان يستقيم البحث على قاعدة من العلم والمنطق نقول ان حقيقة ما يجري منذ سنة 2003 (في العالم وفي المشرق العربي) مبثوث في مئات الكتب والاف الدراسات المنشورة في جهات الدنيا الاربع[1]. توّصف للقارئ نوع المنعطف الحاصل على صعيد الدول والفضاءات والشعوب والقوميات عبر البحار والمحيطات تصّنع فيه الاشياء! نعم فللطقس حرب وصناعة وتصنيع! في ظل المنعطف الجديد وثمة صناعة للجوع والفقر والافقار - وصناعة للذوق والمزاج وصناعة للقتل والنهب والانفراج.

وصناعة للحكم والسلطة وادارة الاحزاب - وصناعة للخوف والرعب واشكال الارهاب! - وصناعة للكذب! ووأد للحقائق بلا ارتياب واخرى للتجهيل والتهليل! - وصناعة للاديان والنظريات والايديولوجيات المضادة! ما دامت جحافل (نفايات التقنية) في ازدياد وضحايا الامراض المصنعة والمستعصية بأتساع! وارتياب نعم. مئات الوثائق والنصوص والحقائق تقول لك عزيزي القارئ: ان بالانسانية حاجة لاعلان بيان للتحرير جديد لمواجهة بيان الاستبداد الذي يجري تسويقه في البلاد!

فبأسم الحرية يستعبد الانسان بالالة والسلطة والدولة والارهاب! وتستباح اقتصادات البلدان[2] وتهتك منها الابواب؛ وتذبح ارادات الدول الوسطى والصغرى وتصادر كالاسلاب لـ (الجات) و(صندوق النقد الدولي) و(البنك الدولي) ومصارف الاعتماد، وتهمش الامم المتحدة ومجلس الامن! وتتحول المنظمات المتخصصة! الى مجرد (اجهزة) لتوزيع الاحسان على الاصحاب؛ اما مافيات القتل والتزوير

---

(1) علي حسين الجابري: الانسان المعاصر بين غروب الحضارة واغترابه بغداد 2003 ص 3-125، الباب الاول من هذا الكتاب في فصوله الثلاثة).

(2) عرضنا للعديد من الدراسات عن العولمة/ والارهاب/ أنجزت باقلام عربية موثقة في جميع العواصم العربية طوال العتقد الأخير تتناول حقيقة العولمة ومشروعها الخاص والعام ومواقف اليابانيين والصينيين والألمان والفرنسيين والروس والانكليز والايطاليين من مفهوم العولمة.. وما يدبر لأفريقيا وآسيا وضد عالمنا العربي ولا سيما في المشرق العربي. يمكن الوقوف عليه في كتابنا الموسوم العرب ومنطق الازاحات.. دراسة في حقيقة العولمة ومصيرها ببغداد 2002 ص 7-375. (طبعة عمان 2005).

وتجار المخدرات! فيستحمون بجنات من المال مبثوثة بجميع القارات! كحزام يجّمل الارض! تغتسل فيه مليارات الدولارات ويتبادلون الانخاب اما اما اما.. ما يجري من تواطئ بين (جواسيس الامس) وجيوش من البوليس السري والمخابرات! فهو العجب العجاب بين جميع حيثيات (النظام العولمي) جيوش وجيوش لا ندري كيف واين ومتى ولماذا.. تتحرك وتعمل وتختفي! نعم انها الادهوقراطية وما ادراك ما الأدهوقراطية.. الادهوقراطية واحدة من وسائل (الاخر) لتغليب الشر على الخير ولما كانت حدود البحث وميمراته لا تتحمل الاطناب فسأقف هنا عند شهادة (عربية/قومية) عما يجري من صراع وزع طرفيه على خندقين الاخطر منهما يحمل عنوان (الخطر والخوف والشر)[1] تناول فيه صفدي حقيقة الصراع الفلسفي والاخلاقي في العالم اعتماداً على نصوص وشهادات عالمية نحاول استحضار خلاصتها هنا لاستكمال متطلبات البحث الثلاثة.يوظف صفدي الدراسات الفلسفية المعاصرة جداً لما بعد الوضعية وما بعد البراغماتية وما بعد الماركسية وما بعد الحداثوية ونتائج الدراسات الوجودية والبنيوية والتفكيكية والعقلانية النقدية وصولا بها الى (الفوضوية) باحثاً عن مصير الانسان وماله في اتون الصراعات الكبرى في ظل العولمة التي يفضل عليها مصطلح (الامركة) باحثاً عن اسباب الشر من خلال اثار الاشرار وهم يوظفون المنطق المرأوي لكي يتلاعبوا بالاحاسيس والغرائز ويحولوا ملايين البشر الى كائنات استهلاكية.

ان اعلاماً مرائياً مدروساً بعناية وعلى اسس علمية سايكولوجية يسوق الافكار بدهاء عبر انفاق سرية تخترق اللاوعي لكي تنتهي بالانسان الى نمط من العبودية لا يقوى على الافلات منها حتى يستجيب لمنطق الامركة حيث يبسط الشر بصماته على قناعات البشر بالكيفية التي نوه بها الفين توفلر في موجة الحضارة الثالثة:-

1- وجد صفدي ان ((الدولة العالمية المنسجمة مع ايقاع المتغيرات المتسارعة)) قامت على انقاض (عصر الايديولوجيات المفككة) تولدت عنها ايديولوجيا جديدة (للشر)هي (الكيوسية). ((ومن غرائب الفكر ان ايديولوجيا (نهاية التاريخ) هذه لا تستطيع ان تجد لنفسها فلسفة جاهزة)) الا (على سبيل الاستعارة)

---

(1) مطاع صفدي: نقد الشر المحض: نظرية استبداد في عتبة الألفية لثالثة.
مركز الانماء القومي- بيروت 2001 ص 9-288.

من هيجل. من هنا سوف ((ينقسم العالم الى قطاعين يضمّ الاول الامم التي تعيش نهاية التاريخ ويضم القسم الثاني تلك الامم اللاحقة بالتاريخ)) فالنهاية المنتظرة ((يمكن ان تمتد الى ما لا نهاية)) حتى يسقط مفهوم النهاية هذا ((امام حركة الحدث التاريخي الذي يصنع مجدداً - تاريخاً بلا حدود))[1] فيصبح عندئذ نهاية التاريخ يعني ((خطاب الامركة))[2] لذلك يقول: ((ان امركة العالم هي الترجمة المحتومة لعصرـ نهاية التشكل الغربي)) لسببين اثنين:

الاول:- باعتبار ان الولايات المتحدة تجسد نسيان نسيان الكينونة بدون اية حنينية.

الثاني:- (امركة العالم تخول نفسها استلاب اوربا والعالم معاً باعتبارهما مساحة التصفيات الاخيرة لحتمية نهاية التاريخ[3]) هذا ما يخص العالم (ناقصاً امريكا) اما ما يتعلق بالعرب فيكفي ان تأتي اجتياحات الجيوش الامريكية في الجزيرة والخليج وصولاً الى العراق ((عنواناً حربياً احتفالياً مطلقاً يدشن (مرحلة) البدء في تشكيل تاريخ اخر تحت اسم امركة التاريخ)) لاشاعة الشر ولكن تحت عنوان (اشاعة الديمقراطية) مع ان جوهر المشروع في حد ذاته ((مشدود بحتمية مفهميه استبدادية صارمة بسبب وقوعها اسيرة ايديولوجية ليبرالية متأمركة على طريقة فوكوياما))[4] وبهذا ينهار المشروع الحداثوي كلياً.

2- ويرى صفدي ان الذي سقط بعد الاعتداء على الخليج هو المشروع الرأسمالي ليجد طريقة الى المال الشيوعي ولكن الفارق بين السقوطين هو ان السقوط الشيوعي جاء انكفاء على الوجه بخلاف الرأسمالية الامريكية التي تعيش لحظة الانكفاء على الظهر في ظل حقبة الاستهلاك الذي يستحسن تسميته ((بعصر الانسان الغربي المرأوي))[5] او كما يسميه المفكر الامريكي رورتي بعصر ((فن تكوين الحقائق)) الذي يراه اهم من فن ((امتلاك الحقائق)) فالامركة تعني امتلاك

---

(1) أيضاً ص 75 مع احالات صفدي بمصادره الأصلية.

(2) أيضاً ص 76.

(3) أيضاً ص 80.

(4) أيضاً ص 81.

(5) أيضاً ص 81-82.

الحقيقة المتفردة على الرغم مما تنطوي عليه من نزعة استغلالية فجة[1]. بعد ان ادلجت ((الاستهلاك على نسق من الحقائق القادرة على بناء الديمقراطية بقوة السلاح وجبروت الدولة الكبرى وان استتباب الامر لمعقوليته... سوف يكلف العقل والانسانية تكرار الحلقات الكارثية من التاريخ بعد ان جرى الاحتفال بنهايته))[2].

3- ان تداعيات احداث السنوات الاخيرة بعدَ الالفين وصولا الى 2003 تعني ((ان الامركة... سواء استطاعت ان تحشر حدثها في اطار الهيجلية المستحدثة او ظلت اقرب الى اوربا (الرسالة) الاستعمارية للقرن التاسع عشر فانها اخطر ما ينعطف نحوه اليوم الما يحدث العالمي)) وهكذا تبدو الامركة ((كما لو كانت تصفية التصفيات كلها التي لن تتأتى الدولة العالمية المنسجمة نتيجة لها... بل سوف تأتي على انقاضها بالذات وعند بوابة عالم المستقبل نفسه كما لو كان بدءاً من الصحارى العربية))[3]. مع ذلك يبقى التاريخ الاخر (الذي لا نتحدث عن نهايته) هو ((من صنع كل من يقدر على المشاركة في صنعه ونقش اسمه (عليه) بحروف لغته الخاصة وجعله تاريخ بعض - ما لم - يدون - بعد))[4].

4- ولكي لا يغالي دعاة الشر والامركة وهم يحتفون بلحظتهم يرى صفدي ان التماهي بامركة العالم يعد الامركة الخيار الوحيد امام الانسانية في اطار من الحرب الثالثة كما استبدلت امريكا العدو الشيوعي المستقيل بعدوجديد (الاسلام) بعد احراز نصر عسكري ((حاسم على العدو الاخر العربي))[5] وفي ذلك يتهافت القول بنهاية التاريخ ويعلن عن قيام عقلنة جديدة هي في جوهرها لا عقلانية[6] فكأن ثمة ثلاثية قديمة تستعاد من جديد تحرص من خلالها امريكا تأكيد (الذاتية / الهوية) بعدها الدولة السوبرامبريالية الاولى في العالم (أ=أ) ولا يوجد ما يناقضها او يتفوق عليها حتى من الحليفات الاوربيات (قانون عدم التناقض). تاركة للاخرين

---

(1) أيضاً ص 82-83.
(2) أيضاً ص 83.
(3) أيضاً ص 91.
(4) أيضاً ص 91.
(5) أيضاً ص 183-184.
(6) أيضاً ص 185.

(قانون الثالث المرفوع!) يعيش مهمشاً تابعاً في اطار مـن التنظـير الايـديولوجي (المعـرفي)[1]. كناية عن دول العالم الثالث.

5- اما تبادل المواقع بين رأسماليي الامس وسوبرمانات اليوم فتم على اساس الامركـة في اطار من التداعيات الحاصلة في صلب النمو الرأسمالي السرطاني المتعـاظم[2]. الـذي تتقاسـمه الشركات الخمسمائة العملاقة (المتعدية) بشعارها المعروف اذا لم تأكل تؤكل بعد ان اجتمـع لـديها (السفسـطة مـع المكيافيليـة والنفعيـة والليبراليـة والداروينيـة والنيتشـوية والمالثوسـية الجديدة) لترسم لنا خارطة الدولـة العالميـة المنسـجمة مـع منطـق القطـب الواحـد والقريـة الصغيرة وحسم الصراع لصـالح الرأسـمالية التـي راحـت تقطـف ثمـار (الارهـاب) لا بالسـلام والتعاون والمصالح المتبادلة بل بتأجيج الكراهيـة والحـروب ضـد (الفقـراء) وتشـجع الازمـات وتسعى الى تخريب كل ما تراه حاجزاً بينها وبين مشروعها (الاسطوري)[3].

وبهذه الكيفية تكون العولمة تعبيراً عن الامركة التي تقود حرب عالمية ثالثة ضد شعوب العالم اجمع تحت عنوان مكافحة الارهاب! مع انها تزرع الخوف والارهاب في كل مكان! انهـا الحقبة الاشد خطراً على الامن والامان! وجميع ما يهدد حقوق الانسان! في تاريخ الانسانية.

---

(1) أيضاً ص 187-198.

(2) أيضاً ص 199-208.

(3) أيضاً ص 213-287.

خلاصة المقال

رأينا وسمعنا وعايشنا وعشنا وقرأنا الكثير في خطاب الكبار علماً وحكمة وعقيدة ومقامة! حتى انتهينا الى الصورة الاتية:

ثمة كائنات خرافية اجتمعت في هيكل واحد اسمه النظام العالمي (الجديد) هو آخر صيحة في صيرورة الرأسمالية (السوبرامبريالية)ينمو على حساب الظرف والمناخ لغياب المعادل (التوازن) يلتهم الحدود والحقوق والهويات والخصوصيات ويتخطى القوميات والاديان والثقافات! عن طريق الاعلان المبهر وقوة الانترنيت والمال والاعلام! وجيش من المنظرين الاعيان:

1- الداعين الى الحرب الوقائية (ذات المضمون الاخلاقي) ضد محور الشر.
2- ونهاية التاريخ وصدمة المستقبل وصدام الحضارات.
3- والداعين للامساك باللحظة الحضارية للعم سام.
4- والمدركين لاسرار (الزيغ الزماني) وهندسة الجينات!
5- والعارفين ان (الادهوقراطية)هي مفتاح الاحداث الجسام.
6- جميع ذلك يقوم على قاعدة فلسفية اسمها الكيوسية!
7- وقاعدة علمية اسمها (الاستنساخ)
8- وقاعدة اخرى لاتعترف بحوار الاديان والثقافات ولابتبادل المنافع والمصالح! انما بمنطق السطوة!

9- اما الفن الذي عدّه البعض نافذة للابداع وسر التجديد وعنوان التحررمن الاسطرة! بجميع صورها واشكالها فلقد غدا شائهاً مشوهاً ومسخاًمبهرجاً ممزوجاً بتعاطي المخدرات فيعصف بالاذواق والمسامع! ويطيح بقيم الفن والجمال والذوق الرفيع؛ دائب البحث عن الغريب المرهب! والبهيج المرعب! ويراهن على (اللامعقول، واللامألوف وغير المعروف) بعيداً عن

القيم الرفيعة والذوق السليم بعده عن الاخلاق الفاضلة والمضامين المحمودة! وبذلك فـارق (الراؤون) سواء السبيل.

10- وتفرقت بالاقدام الطرق وغاب الدليل فلاحدود ولاقيود ولاشهود في عالم مسكون بروح الاختراق والافتراق في كل دقيقـة تلـك هـي الحقيقـة للـذي جـرى في العـراق فغـاب بسببه الامن والامان وحل الارهاب بدلاً عن العامل الغائب!

الفصل الخامس

الخطاب الثقافي / الاعلامي العربي
وجدلية الخوف

المقدمة

يرتبط الخوف بالقلق والخشية والرهبة من الغامض والمجهول ومن الخطر والتهديد والمنغصات التي تقلق راحة الناس وامنهم وحيواتهم ويزداد الشعور بالخطر مع التكرار وقد يقود الى صدمة او صدمات تتسع في نطاقها الحدود وتتخطى الفرد الى الجماعة ويعم الخاص ويتموضع الذاتي. فالصدمة تولد ردود افعال ذاتية وموضوعية تقود جميعها الى (الخوف) وحين يتعزز الخوف بتكرار(المخاطر والصدمات) يرتكس الى (لاشعور الانسان) او (الحياة الباطنية) فيظهر في احلامه الى جانب تصرفاته اليومية وتكاد المعادلة (الطردية) هي التي تحكمه فكلما ازدادت المخاوف ازداد معها اضطراب الانسان وقلقه حتى ينكشف للخائفين (مصدر خوفهم) وتنفرج المسافة بين خندقين وتأخذ مفهومها الجبهوي ليتخندق كل طرف من طرفي (الصراع) في خندقه ويتسلح بأسلحته المادية والمعنوية.

وهذا يعني انكشاف لون العدو وسحنته ولغته وملامحه وعقيدته وجنسيته وتتضح (هويته) بتواتر الشروط المصاحبة له.نعم (الخطر) و(الفكرة عن الخطر) الاول خارجي والثاني(داخلي) مما يوجب الاعداد والاستعداد لمواجهته والحيلولة دون استمرار تهديداته ايضاً المادية والمعنوية.

نحن لا نتحدث عن (الخطر) البيولوجي الذي يقود الى نوع من (الخوف) على (الذات) فهذا امر - سنقف عنده في لحظته- لكن الحديث هنا عن (العدو) الذي يخطط لالحاق اذىً بالناس اوالارض اوالمؤسسات اوالثروات او السيادة حتى عانت شعوب كثيرة من خطر السيطرة الاستعمارية البغيض. اما حين كانت المواجهة بين معسكري الشرق والغرب فكان (الخطر الاحمر) هو مصدر التهديد مع انهماالمعسكران ذاتهما اللذان اتحدا في الحرب العالمية الثانية لمواجهة الخطر(النازي والفاشي). ولكن بعد تفكك المعسكر الاشتراكي وقيام القطبية الواحدية! لم يعد ثمة خطر احمر (شيوعي) لذلك قال فوكوياما (الابرابرة على الابواب) ليغلب على العلاقات منطق الشراكة في اقتسام الثروات! لكن اتضح بعد حين - كما وجد كلنتون - ((ان العالم مليء بالافاعي السامة)) بعد ان ظن (ان الخطر قد زال بسقوط الدب السوفيتي!) والبديل الجديد هو(الخطر الاخضر=

الاسلامي) وربما (الاصفر = الصين - الكونفشيوسي) او الاسود (الافريقي) ليخلص من جميع هذه الاخطار الى اعلان (لاهوية) العدو الذي يهدد الحضارة الانسانية (الارهاب) الذي يهدد الرفاه. ومعنى هذا اننا ازاء دروس واحداث ووقائع خارجية وداخلية ورسائل اعلامية وشهادات ايديولوجية تؤكد هذا المعنى واقترنت في وعي الناس باسماء وملامح وهويات مصنعة هكذا وصولاً الى يوم الحادي عشر من ايلول سنة 2001 وهو يوم الاعلان العالمي (لملامح الخطر بشكل قطعي انه الارهاب = ابن لادن، القاعدة، المسلمين، العرب، الاسلام، العرب الافغان) اذاً على العالم ان يصطف في خندقين خندق الارهاب والارهابين يقابله خندق اعداء الارهاب ودعاة المدنية والرفاه والحياة الرخية. فالارهاب الذي يبدأ خطراً وشراً هو (عدو بلا ملامح) ومن الناحية الاعلامية انطبعت عنه صوراً شتى في اذهان الناس! أخذ شكلاً (مرآوياً) عاكساً لكل شيء! مما يوجب اتخاذ الاجراءات الكفيلة بقطع دابره بأقسى الاساليب. لقد بدا الامر بعد احداث ايلول ووضوح الخنادق [من وجهة النظر الغربية: ان المعركة طويلة مع الارهاب مفتوحة الازمنة والامكنة الى حين حسمها لصالح الامن والامان وانتزاع فكرة (الخوف) من وعي الناس ولاشعورهم!] وقائد الحملة هنا امريكياً لم يستثن - دعاة الحرب على الارهاب الشرقي - الامم المتحدة ومجلس الامن وحلف الناتو والاتحاد الاوربي والتكتلات الاقتصادية الكبرى، من دائرة نشاط ذلك الارهاب الذي طال، موسكو وبرلين وباريس ولندن ومدريد والرياض والرباط والقاهرة و(تل ابيب)وماليزيا واندونوسيا وطوكيو، براً وبحراً وجواً. مثلما هو الخطر يهدد (الماء والكهرباء) وانفاق المترو والقطارات والمطارات والجسور هكذا اذاً نحن ازاء حرب كونية على عدو هو مصدر (الخوف). هذا هو مضمون الخطاب الاعلامي / الثقافي وحتى الفني للاخر! وتلك هي حقيقة الحملة الموجهة ضد (عالم الجنوب) في ظل العولمة تحت عنوان مواجهة الخطر (في عقر داره) والاصطدام مع (معسكر الشر) الذي يهدد العالم باسلحة الدمار الشامل! و سياسات المغامرة. اين نحن من كل ذلك، وماذا اعددنا لمواجهة مصادر الشر الذي يحاصرنا منذ قرون؟ استعماراً وهيمنة واستيطاناً ومصادرة، لحرياتنا وحقوقنا، وتسخيراً لطاقاتنا في غير محلها، والهائنا عن فرص تقدمنا، ومنعنا من اللحاق بركب المدنية الانسانية المتقدم الى امام. ومن حقنا ان نتساءل: ما هو شكل (الخطر) الذي هددنا ويهددنا؟ واي (الارهابات) يأخذ بخناقنا

منذ قرن خلا! (1904-2004) وما هو دور المؤسسات والاجهزة الثقافية والتربوية والاعلامية في حماية المواطن والوطن؟ من المخاطر المحيطة واشكال الارهاب (جماعات وشركات ومؤسسات ودول) ولاسيما نحن نتعرض لحلف غير مقدس بين (المشروع التوراتي / والمشروع الامبريالي):

1- الايفترض ان ثمة ستراتيجية لبيان الحقائق والدفاع عن النفس واعلان برائتنا مما يلصق بنا كل يوم؟

2- الايتوجب علينا القيام بحملة لتفنيد دعاوى الاخر واسقاط تهمة (الخطر = الارهاب) عنّاوعن اديانا وعقائدنا؟

3- الايفترض بالدول وذوي القلم العمل على مواجهة (ارهاب الدولة) - المركب- الذي رمى بثقله على صدورنا منذ حين؟

4 - الايترتب على الارهاب المئوي تعويضات يتوجب على الدول الاستعمارية دفعها لنا؟

هذا وغيره من الاسئلة كان وراء انبات بذور البحث ومتابعة نموها في ميادين تتعلق (بجدلية الخوف) ذاتها ومعناه وما تحمله الذاكرة التاريخية عنه ورأي علم النفس فيه وصولاً الى فحص دور السياسة المعاصرة والفلسفة الفوضوية في ظل العولمة! يدفعنا الى ذلك هول التجربة التي رافقت الحياة العربية المعاصرة ولاسيما في فلسطين والعراق ومعايشة هذه التجربة دفاعاً عن الحقيقة دفاعاً عن الحق وكشفاً لمصدر الخطر الحقيقي الذي تجتمع فيه شرور الحياة ومصادر الخوف قاطبة؟ وذلك واحد من شعارات المرحلة (المعرفة قوة) معتمدين على شهادات محايدة ومن الخندق الاخر لايضاح ملامح الحقيقة واسقاط التهم عنا متسلحين (بقوة المعرفة) والحقيقة. فعسانا نوفق في مسعانا.

الباحث بغداد في شباط 2004

أولاً:

الخوف لغة واصطلاحاً

نوافق الاستاذ (مطاع صفدي) فيما ذهب اليه من ان (الصمت) يعني ((مضي الوقت من غير كلام)) ما دام التصويت هو تعبير عن (الزمن). (فالصمت) ((لايعرف الاّ في نقيضه الذي هو الكلام))[1] لكن الامر الذي سكت عنه (صفدي) هو (الكلام) نفسه فلا تدرك اهميته الا من خلال نقيضه (الصمت) لاعلى سبيل المنظور المرآوي انما على اساس (فلسفة الصمت) نفسها، حين يحاصر المفكر خوف مرعب يحول بينه وبين الاعلان عن الحقيقة. فالصامت قد يحتج بصمته على امر ما لكنه لهول المخاطر يلوذ بالصمت كما فعل فلاسفة مصر القديمة (امحوتب ، سنوحي..الخ) في مواجهة بعض قرارات الفرعون! وهنا يكون الصمت ابلغ من (الكلام) نفسه لذلك قالت العرب (اذا كان الكلام من فضه فالسكوت من ذهب) وهذا يعني ان ثمة (خوف) من الكلام تترتب عليه مخاطر جسيمة فما هي حقيقة الخوف ومعناه اللغوي والاصطلاحي بلساننا العربي؟

أ-المعنى اللغوي:

قال الرازي في مختار الصحاح ((خَوَفَ: خاف: يخاف خوفاً وخيفة، ومخافة، فهو خائف)) ((وقوم خوّف، على الاصل (وخيّف) على اللفظ ، ومنه (خف) والخيفة والخوف والاخافة والتخويف)) امور محكومة بعللها ((ويقال وجع مخيف.. وطريق مخوف لانه لايخيف وانما يخيف فيه قاطع الطريق، (اما) نخوّفه بمعنى ننغصه))[2] فهو المقصود من فعل التخويف.

ب-اما المعنى الصطلاحي:

فيطلق على الحالة التي يكتشف فيها الانسان عدم الامان. فالخوف حالة مرهونة بعلتها تسبقه علامات مثل الشك والريبة والتشويش والاضطراب والقلق

---

(1) مطاع صفدي: نقد الشر المحض: نظرية الاستبداد في عتبة الالفية الثالثة- مركز الانماء القومي- بيروت 2001 ص 58.

(2) محمد بن ابي بكر الرازي: مختار الصحاح دار الكتاب العربي بيروت 1981 ص 193.

وصولاً الى الفزع. واضطراب دقات القلب او اصفرار الوجه او ارتعاش الاطراف او العجز عن الحركة. ومن الخوف ذاتي، وموضوعي، ومنه آني، ومستديم، ومنه غريزي، ومكتسب، ومنه طاريء، ومرضي يكتنف (الفرد) و(الجماعة)ليحول بينهم وبين الامن والاطمئنان. فيشل قدراتهم الابداعية ويتركهم منفعلين لافاعلين يعيشون ردود افعال انفعالية تنأى بهم عن العقل والعقلانية والعقلنة[1] انه اضطراب القلب وارتباك الجنان وتشوش الفؤاد اوقل (النفس) آلة الانسان لا الجسد ، ولاالعقل، ويعصف بدواع الطمأنينة ويؤجج مظاهر الرهبة والخوف. مما ينغص حياة الفرد والجماعة بالعيش النكد.

ج- الجدل والجدلية:

تتوحد في بيان (حدود) هذا المفهوم الاراء الهيجلية والماركسية والوضعية حين ينتقل من ابنية (الطبيعة، والبيولوجيا) الى الابنية الاجتماعية (الانسانية) لبلوغ الغاية المنشودة ونعني بها (توافق الواقع مع الحقيقة) وتصاعد صيرورة (النفي) نحو الصورة المستقبلية التي تضمن للتجربة الحضارية / الانسانية تصاعد البناء والتقاء الطاقات العلمية والفلسفية والعقيدية، بفضل تناغم الارادة الفردية مع الهدف الجماعي المشترك الذي تنشده المؤسسات والمرجعيات والسلطات والدول، انه الترابط الجدلي. ولاتنفصل الجدلية (العقلانية النقدية)عن شبكة جدليات الفكر العربي التي سبق وتحدثنا عنها في بعض كتبنا[2].

ان الجدل على تنوع قوانينه (الجدلية) يوظف المنطق العلمي -التاريخي في (نفي وحدة المتناقضات) وتحويل العلاقة العضوية الى(جدلية) التي تتصل، وتفارق، وتلتحم في منطقها من جديد على سبيل التفاعل بين الاسباب والعوامل وشبكة المحركات الاخرى وليس على وفق قاعدة السلب يقصي الايجاب! وتتوزع هذه الجدليات الى مجموعتين (معرفية) تتركب من شبكة معقدة من العلاقات يتفاعل فيها ويتجاذب معها ويتخطاها (الذاتي مع الموضوعي) والفكر مع الواقع والمثال مع

---

(1) علي حسين الجابري: الانسان والواجب اشكالية فلسفية دار الشؤون الثقافية، الموسوعة الصغيرة 411 بغداد1998 ص 11-62.

(2) علي حسين الجابري: العرب بين منطق الحوار والصراع (ق/ 2) دار الشؤون الثقافية بغداد 1996 ص 201-227.

الحقيقة والروح مع المادة والاجتماعي مع الطبيعي و(مجموعة جدلية تاريخية) تتعامد فيها شبكة العلاقات فنجد (الكمي مع الكيفي) و(الخاص مع العام) و(الازمنة الثلاثة) و(الهدم والبناء) و(الحرية والالتزام والضرورة)[1].

تكشف هذه الجدليات حقيقة قاسية تقول: ان محنة المجتمع العربي الناشئة من طغيان (وطأة الكم) على حساب النوع والعدد على حساب الوعي والغرائز على حساب العقل والمخيال على حساب العلم والسلطة على حساب الانسان فتسحق الجميع بطاحونتها الجبارة بعد ان وضعت الفرد ازاء المجتمع، والسلطة ازاء الفرد والنظام ازاء الجماعة، والحق ازاء المصلحة مما يفرط بالطاقات ويذهب بالامكانات ويوفر فرصة ذهبية للخصوم والاعداء! ويفتح باباً من الخوف (الشرطي الداخلي) لاندري متى يتوقف عن ممارسة صلاحياته القهرية مادام المناخ الموضوعي للخوف هو اللغة السائدة في حياتنا. هكذا توفر لكاتب السطور هذا المفهوم الاصطلاحي للجدل والجدلية وهو يتفحص اشكالية (الخوف) في خطابنا المعاصر.

---

(1) علي حسين الجابري: الانسان والواجب ص 211-229.

ثانياً:

الخوف في الذاكرة

لما كانت الفسحة الحضارية التاريخية - لهذا الشعب - عميقة وعريقة تبينَ للمتأمل ثمة علاقة بين المرء والخوف، فطرية نشأت على مر التاريخ[1] كشفت عن مواجهة الانسان لسلسلة من (المخاطر) طبيعية – فلكية – مناخية -بيولوجية دأب على مواجهتها بوسائل مختلفة باختلاف ظروفه الحيوية والمعرفية[2] تفوق عليها بالتكيف تارة او النأي عنها تارة اخرى بـ (الهجرة) وان هو تعامل معها بنوع من (الجبرية=القدر الضروري)[3] الذي لاحيلة للانسان على دفعه الا (بمراجعة ذاته واكتشاف عيوبه واخطائه). او (بالتودد) وطاعة القوى الخفية التي بيدها مقاليد امور الكون ومقدراته كل حسب عقيدته وتصوره لهذه القوى مادية ام روحية. وبعد حين من الدهر! ادرك الانسان ان ماظنه (الهة) هو في الحقيقة تجليات (لقوة اعظم) تسمو على الوجود (المادي) قادرة عالمة مريدة قوية خالقة لما عداها من الموجودات، هي الجديرة بالطاعة والتوقير. بهذه الكيفية (تحرر) الانسان من فكرة (العبودية) وخرج من تبعيته (للسادة) بجميع اصنامهم واوثاهم ومسمياتهم، ليعلن الطاعة (للواحد الاحد)[4] الذي لم يلد ولم يولد ، الجبار القهار، العادل الرحيم، الذي بشر به ابراهيم الخليل (عليه السلام) قبل اربعين قرناً[5].

---

(1) علي حسين الجابري: الحوار الفلسفي –دار الشؤون الثقافية- بغداد 1985 ص 12-103.

(2) علي حسين الجابري: فلسفة التاريخ في الفكر العربي ق/ 1 دار الشؤون الثقافية بغداد 1993 ص 12 وما تلاها.

(3) علي حسين الجابري: الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية دار عويدات بيروت 1977 ص 15-33.

(4) الآيات القرآنية تشهد على هذه البشارة منها قوله تعالى: ﴿ **ألم تر إلى ٱلذى حآج إبرٰهيم فى ربه أن ءاته الله ٱلملك إذ قال إبرٰهيم ربي ٱلذى يحى ويميت** ﴾ [سورة البقرة: أية 258] وقوله تعالى: ﴿ **وإذ قال إبرٰهيم لأبيه وقومه إننى برآء مما تعبدون** ﴾ [الزخرف: أية 26] وقوله تعالى: ﴿ **وإذ قال إبرٰهيم لأبيه ءازر أتتخذ أصناما ءالهة** ﴾ [الأنعام: أية 74].

(5) الآيات القرآنية تشهد على هذه البشارة منها قوله تعالى: ﴿ **ألم تر إلى ٱلذى حآج إبرٰهيم فى ربه أن ءاته الله ٱلملك إذ قال إبرٰهيم ربي ٱلذى يحى ويميت** ﴾ [سورة البقرة: أية 258] وقوله تعالى: ﴿ **وإذ قال إبرٰهيم لأبيه وقومه إننى برآء مما تعبدون** ﴾ [الزخرف: أية 26] وقوله تعالى: ﴿ **وإذ قال إبرٰهيم لأبيه ءازر أتتخذ أصناما ءالهة** ﴾ [الأنعام: أية 74].

واذا كانت وطأة الخطيئة قد انتهت بتضحية السيد المسيح (عليه السلام) حين خلع عن كاهل الانسان فكرة الخوف منها او الشعور بالذنب عن جرم لم يرتكبه، فأن تحرير الانسان من الخوف وصل مدياته القصوى على لسان محمد بن عبد اللـه (صلى الله عليه وسلم) وهو ينقل بشارة الوحي في اعلان (خلافة الانسان)[1] لله على هذه الارض وليكون مسؤولاً امام سيد واحد في الوجود هو اللـه الواحد القهار[2]: وماعدا ذلك فالناس سواسية في قيمتهم الانسانية. اذاً بهذه الكيفية حسمت في داخل الانسان فكرة الخوف من المجهول الكوني والمصير الانساني بفضل توالي الرسالات السماوية وتكاملها بالاسلام[3] الذي جاء تذكيراً بحنيفية الخليل (عليه السلام) ((واذ قال ابراهيم ربي ارني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي[4])) وتجلت العناية الالهية في لحظة ضيق نجمت عن مواجهة بين الحق والجهل والوثنية ((قلنا يا نار كوني برداً وسلاما على ابراهيم[5])).

وفي هذا السياق استوت حياة الناس (الاحرار) على الارض مسترشدين بالنص المقدس وهو يتحدث عن طمأنينة النفس من كل خوف[6] حتى في مسألة المصير ف ((يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية، وادخلي عبادي وادخلي جنتي))[7]. ان التحرر من فكرة الخوف الوضعي (الارضي) رافقه تعليق

---

(1) في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملـٰئكة إني جاعل في ٱلأرض خليفة**﴾ [البقرة: أية 30].

(2) في قوله تعالى على سبيل التخصيص: ﴿**يٰداوود إنا جعلنـٰك خليفة في ٱلأرض فٱحكم بين ٱلناس بٱلحق**﴾ [سورة ص: أية 26]

(3) علي حسين الجابري: الفكر السلفي ص 19-38.

(4) البقرة 260/2، وقال اللـه تعالى: ﴿**إن إبرٰهيم كان أمة قـٰنتا لله حنيفا**﴾ [سورة النحل: أية 120].

(5) الأنبياء 69/21، ﴿**وٱتخذ اللـه إبرٰهيم خليلا**﴾ [سورة النساء: أية 125] وأيضا مريم 48/19 والعنكبوت 16/26.

(6) وردت في الأمن والطمأنينة (12 أية) منها:

﴿**وما جعله اللـه إلا بشرىٰ لكم ولتطمئن قلوبكم**﴾ [آل عمران: أية 126]، وقوله تعالى: ﴿**وما جعله اللـه إلا بشرىٰ ولتطمئن به قلوبكم**﴾ [الأنفال: اية 10]، وقوله: ﴿ **ألا بذكر اللـه تطمئن ٱلقلوب**﴾ [سورة الرعد: أية 28]، وقوله تعالى: ﴿**وضرب اللـه مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة**﴾ [النحل: أية 112].

(7) الفجر 27/89، وربط الخطاب المقدس بين أداء فريضة الصلاة والأطمئنان (النساء 103/4).

مصدر القوة والجبروت باله رحيم عادل ينتزع الخوف من قلوب الصالحين[1] قال سبحانه ((فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف[2])) فالامر حسم هكذا ((وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً[3])) على الصعيدين العقيدي (الذاتي) والسياسي والسياسي الاجتماعي (الدولة) لكي يحسم الصراع بين الدين الجديد وعوامل الظلم والاستبداد لصالح الحرية والطمأنينة وبهذا ورد الخطاب[4] الصريح ومنه انطلق الفاروق (ﷺ) في نداءه ((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً)). واعلن عن مسؤوليته وهو في المدينة المنورة عن مصير الشاة التي تنكفىء في شاطىء الفرات ومن ذات المعنى استقى الخليفة الرابع (عليه السلام) قوله ((لو تمثل الفقر لي رجلاً لقتلته)) وقوله (كرم الله وجهه) ((أمام كل نعمة موفورة حق مغدور)) على وفق هذا الفهم لقيمة (تحرير ألانسان من خوف الانسان) انطلقت جحافل التحرير لتعصف بالامبراطوريات القديمة، وعلى هذه الاسس استقامت دولة الاسلام، فلا فضل لعربي على أعجمي ألا بالتقوى ولا فضل لابن البيضاء على ابن

---

(1) وردت في الخوف (121) آية منها على سبيل لا الحصر: قوله تعالى: ﴿**إن فى ذٰلك لأية لمن خاف عذاب ٱلأخرة**﴾ [سورة هود: أية 103]، وقوله: ﴿**وأذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى ٱلأرض تخافون أن يتخطفكم ٱلناس فئاواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من ٱلطيبات لعلكم تشكرون**﴾ [الأنفعال: أية26]، وقوله تعالى: ﴿**وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا ٱمرأتك**﴾ [سورة العنكبوت: أية 33].
﴿**قالا ربنآ إننا نخاف أن يفرط علينآ أو أن يطغىٰ**﴾ [سورة طه: أية 45]، وكذلك الآيات النساء 83/4 والنحل 112/16.

(2) قريش 4/106 وكذلك قوله سبحانه:
﴿**ولنبلونكم بشيء من ٱلخوف وٱلجوع ونقص من ٱلأموال**﴾ [البقرة: أية 155].

(3) النور 55/24.

(4) ورد في الآيات ثمان تحت (ر هـ ب) أظهرها، قال تعالى: ﴿**لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**﴾ [الحشر: أية 13].
وقوله تعالى:﴿ **وأعدوا لهم ما ٱستطعتم من قوة ومن رباط ٱلخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾ [سورة الأنفال: 60].
يراجع: الأعراف 116/7 و 154 والبقرة 40/2 والنحل51/16 القصص 32/28 و: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم إعداد محمد فؤاد عبد الباقي – دار الكتب المصرية – القاهرة 1945 ص 325.

السوداء الا بالحق والناس سواسية كاسنان المشط[1] وترك للناس حرية التنافس على الافعال الفاضلة والاعمال المحمودة طوال السنوات الممتدة من[1هـ-656هـ/622م-1258م] وأن هم انشغلوا بهموم داخلية ذاتية كتلك التي تتصل بالخوف من الكرسي وعلى الكرسي ودست الحكم من غير ان يتجاوزوا الحقيقة القائلة: (ان التاريخ تاريخ الاعمال والسلوك يمتد مع الانسان فى موته ولا ينقطع بمجرد وضعه في القبر ما دامت الحياة الاخرة مرهونة بأداء الانسان في هذه الدنيا). بهذه (الاخلاقية) الممتدة من المادة الى ما ورائها ومن الدنيا الى الاخرة تراجع هاجس الخوف الذي تمثل بالفلاكة وسوء الطالع عند الدلجي (ت 835هـ/1435م[2]): حتى فقدَ الانسان حسن الطالع وهيبة الدولة طوال الحقبة الممتدة من (القرن الثالث عشر ميلادي الى القرن العشرين) تناهبت خلاله قلب الانسان وفؤاده جيوش من الخوف والاستبداد والظلم لم يرتبك بسببه واقع المجتمع العربي المسلم فحسب انما اضطرب وضع الانسان داخل اسرته، لابل داخل ذاته جسداً وعقلاً وقلباً.

فاذا كان الجبريون خلال ذلك يعّلقون مأساتهم وخوفهم على الاسباب (الماورائية)، هرست نفوس الاخرين مأساتهم وذهبت بالعقلاء الوساوس على افكار (العدالة، الحرية، الثورة، السلطة، الحق، الجميل، والفاضل) وشوشت اسباب القهر والتسلط على انشطة العقل والقلب فلم ينفع معه ذلك الامل الحداثوي الذي بزغ مع سلطة العلم والعقل وازدهار انوار الغرب في طرد (دافع الخوف) وظلامه في دواخلنا بعد ان اصبح ذلك الغرب هاجساً (قدرياً) لاخافتنا بعد ان تجسد لنا (استعماراً) للارض والبشر والثروات والعقول والاقتصاد والسياسة. من هنا تعقدت (محنة الخوف) لدينا وما زالت تتعقد حتى ونحن نسمع عن كشوف تقنية وتكنولوجية مبهرة انه عصر جديد من العبودية سخر فيها الغرب كل شيء من اجل بث الرعب والخوف في قلوب الشرقيين من الدول النامية لفرط استخدام فتوح العلم والاعلام لصالح مشروعاته الاستثمارية. وفي عودة جديدة لعصر اخر من العبودية والخوف والاستلاب والظلم. ولاسيما بعد ان تهاوت مشاريع اصلاحية ويوتوبيات

(1) ابن الطقطي: الفخري في الآداب السلطانية – المطبعة الرحمانية – القاهرة 1927 ص 8-51 وص 108 وما تلاها.

(2) الدلجي، علي بن أحمد: الفلاكة والمفلوكون – مطبعة الأداب النجف الأشرف 1385 هـ ص 15 وما تلاها.

ايديولوجية مثل الماركسية والوجودية والوضعية والذرائعية ولم يعد ثمة وجود للجنة الارضية سوى (ارض الميعاد!) وعاد الناس لسياسة (القطيع) وتغلب منطق الغاب ونهاية التاريخ واللحظة الحضارية! الامريكية والعولمة على منطق الحق والعدل والخير والجمال! ولم يسمع احداً من الاقوياء صراخ الفقراء وخوفهم ومصادرة حقوقهم مادامت القوة هي التي ترتب الحقوق والمواقف. وعاش الملايين في اطار من (الفقر المصنع)[1]. الملايين من الشعوب الغنية بثرواتها المقموعة (بالخوف) من السيد المستعمر بوسائل حديثة جداً لاترى بالعين المجردة. حتى بات (الخوف) في ظل العولمة هاجساً يرافق الناس والمؤسسات والدول والشعوب واخترقت (منجزات العلوم) دفاعات الانسان الجسد، والانسان العقل، والانسان القلب، ونالت بواطنه وفؤاده ما دام سبب العدو ليس عضوياً ولافلكياً انما (خوف مصنع) سخرته القوى (السوبر- امبريالية) في ظل لحظتها الحضارية التي امسكت بها بعد افول حقبة التوازن الدولي، وتوحيد الخطط لاستثمار مواطن الثروات على قاعدة من الشراكة الشمالية / الغربية / اليابانية. وللحد من الخطر (العربي /الاسلامي /الجنوبي /الكونفشيوسي) حسب منطق صدام الحضارات المتأجج بين (الارهاب) ومعسكر الشر من جانب، والحضارة الشمالية (اليهو/ مسيحية) من جانب آخر. هكذا قرأ الاخر المعادلة اما نحن فلا نفهم الا حقيقة واحدة تقول: ان هناك (دولاً ارهابية) تحاول فرض سلطانها على امم الارض، ونحن بعضاً منها، باثارة الفزع والخوف في دواخلنا بطريقة معكوسة مرآتية! حفاظاً على الدولة العالمية وعالمها المرفه. بعد اتهام الجنوب / والاسلام / والعرب، بالارهاب! وبذلك اصبح المقتول، قاتلاً، والمرهوب، ارهابياً، والمظلوم ظالماً فكيف سيقرأ اعلامنا الحقيقة المرة كما ادركتها الذاكرة العربية الحية؟ وما هو راي علم النفس في (جدلية الخوف)؟ سؤال سنجيب عنه في البحث الاتي.

---

(1) يوسف نور عوض: نقد العقل المتخلف، أو فقراء العصر التقني بيروت 1985 ص 35 وما تلاها.

ثالثاً:

جدلية الخوف من وجهة نظر علم النفس

1- الخوف الانفعالي:

صحيح ان ارسطو سبق وتحدث عن فكرة (التطهر) في معرض كلامه عن الاثر الانفعالي (للخوف) الذي تولده المأساة في النفس بعّد: ((المأساة ذات احداث تثير الشفقة والخوف كما يتحقق (من خلال المسرح) تطهير مثل هذه الانفعالات))[1] من دواخل الناس، لكن فرويد هو الذي اعتمد هذه القاعدة في التحليل النفسي لمعالجة المصابين (بالخوف) المرضي، مستفيداً من دراسات بروير عن العلاج التطهيري من الخوف للمصابين بالهستيريا. وذلك ((بالانفعال الشديد))[2] لتفجير العمليات المكبوتة التي لم تصل الى الشعور بعد ان فسرا فاعلية العلاج ((بتصريف الانفعال الذي يظل مختفياً لارتباطه بالافعال النفسية المكبوتة)) مما يتطلب (الصدمة) او سلسلة صدمات متفاوتة الشدة[3]. بخلاف الامر مع الناس الذين يؤمنون (بالجبرية) او ينطلقون من دواعي العجز عن مواجهة الشر بسبب قوته المدمرة فيأتي رد الفعل الطبيعي لدى اصحابه ((بعدم المقاومة))[4] او الرد عليه حتى وان كانت تلك الشرور تهدد الحرث والنسل. والاسلوب نفسه استخدمه بافلوف في الانعكاس الشرطي (على الكلاب) بهدف التلاعب بالظروف المحيطة بالانسان، وتفعيل عوامل الخوف والرعب واسبابها لكي تمررَ (اهدافاً) و(سياسات) وخططاً حقيقتها الخفية غير المعلنة من الذرائع والمبررات الاعلامية اعتماداً على دراسات تجريبية لتشغيل عناصر الفعل الغريزي العاطفي من خلال التسلل عبر عوامل (الخوف)[5] التي يراد بها التأثير على السلوك الجمعي في (لحظة استقالة الوعي).

---

(1) سامي محمود علي: معجم المصطلحات (الفرويدية) ملحق بكتاب فرويد (المترجم من قبله) والموسوم: ثلاث مقالات في النظرية الجنسية ومراجعة مصطفى زيعور دار المعارف القاهرة 1963 ص 184 [نقلا عن النص الإنجليزي من الأعمال الكاملة لارسطو طبعة لندن 1952 ص 6].

(2) أيضا ص 185.

(3) Freud; Freuds Psycho- analyticmethod collected Papers 1, P 264-5.

(4) عزيز فريد: علم النفس العملي مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1945 ص 102-107.

(5) نوري جعفر: طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف- مكتبة التحرير ط2 بيروت 1978 ص 31-467.

ولاسيما تلك الاحداث التي تتداعى فيها (العوامل المخيفة) الى الحد الذي تستسلم فيه الجماعة (الشعب) للقوى المتحكمة بعوامل الخطر مقابل الخلاص من هذه الفكرة[1] (فكرة الخوف). وفي الحديث عن (الانفعالات) وجد العلماء: ان الانسان كائن عضوي يستجيب ويعمل ويؤثر في بيئته ويتأثر بها وهو مهيأ للاستجابة الانفعالية في ضوء نظامه الوراثي، وليس المكتسب فحسب! ((ومن الامثلة على هذه الانفعالات الخوف والغضب والدهشة التي يقع الفرد خلالها تحت تأثير الانفعال الوجداني والسايكولوجي)). والحديث عن الخوف - عند علماء النفس - انما هو توصيف لحالة انفعالية تختلف في شدتها باختلاف المؤثر وتتسع مدياتها باتساعه. ومن الجلي ان الكلمة (الخوف) في حد ذاتها ((تشمل فوارق جمة من الحالات الوجدانية اوسع مما يمكن ان تحصل بين حالتين انفعاليتين توضحان بمسميات عدة))[2] فكيف اذا كان ذلك الخطر (ارهابياً) - هلامي الملامح مفزع ينطوي على جميع عناصر الاخافة-؟ من المعلوم انه وبحسب الشدة الانفعالية يأتي السلوك ((المؤدي الى توجيه متواتر ازاء هدف معين من اختلاف الوسائل الموصلة الى ذلك الهدف؛ فالانسان الخائف مثلا لا يكتفي فقط بانتهاج وسائل عنيفة لتؤثر في هروبه من الخطر وانما يحاول (ابتكار) وسائل في السلوك لا تقل عنفاً عن سابقتها في حالة اخفاق الوسائل (والاساليب) الاولى لديه))[3]. هذا هو القانون الذي يجري تشغيله في موضوعة (الارهاب) انطلاقاً من القاعدة القائلة: لما كان الخطر يقود الى الخوف والخوف انفعال وجداني (قلبي) يصبح استثمار هذا (الخوف) وتجسيم مكوناته امراً يقصد منه دفع المواطن لتسليم زمام اموره الى السلطة لكي تدفع عنه ذلك الخطر[4] وتحول بينه وبين الخوف! وهو امر تحدث عنه نايت ركس ومارغريت وهما يربطان بين (الانفعال) وردود الافعال عليه قياساً الى حجم الخطر، وما يتطلب من الانسان لكي يتجاوز هذا الشعور بجميع الوسائل التي يتجنب بها الاحساس بالخوف[5] متوقفين عند استجابات (الخوف) الشرطية مع

---

(1) ميشيل دنتكن: معجم علم الاجتماع تر/ احسان محمد الحسن دار الرشيد بغداد 1980 ص 64-65.

(2) عبد علي الجسماني: علم النفس والتطبيقات التربوية الاجتماعية ط2 مكتبة الفكر العربي 1984 ص 44.

(3) أيضا ص 45.

(4) أيضا ص 51.

(5) نايت: ركس ومرجريت: المدخل الى علم النفس الحديث تر/ عبد علي الجسماني ط3 منشورات افاق عربية، مكتبة الفكر العربي، بغداد 1984 ص 28-52.

الانسان في ضوء تجارب بافلوف، ولا سيما استجابة (النفور) ازاء الخطر ((فاتضح ان الخوف سرعان ما يصبح خوفاً شرطياً.. (يعكس) استجابة تتمثل فيها الارجاع اللا ارادية المميزة للخوف، مما دفع العلماء للبحث عن سبل لتمكين الخائفين من التكيف الانفعالي الشرطي وصولاً الى مرحلة التعزيز))[1]. والتعزيز هنا ينشق الى جزئين (تعزيز عامل الخوف).. وضمان فرصة لمواجهة ذلك الخوف. و(تعزيز الحلول) لتطهير الانسان من الافكار المثيرة للخوف وصولاً بالخائفين الى مستوى ناجح من التكيف الشرطي[2] علماً ان الخوف هو واحد من العوامل التي تنتكس بالانسان الى حقبة الحيوانية حين يكون مرداً للاضطراب الفكري الذي يستشعره أصحاب الاحساس الشديد بالخطر بناء على نظامهم المعقد للعواطف[3].

اما توهم الخطر فهو نوع من المرض الذهاني الذي يزداد اثره باتساع دائرته الاجتماعية، وينعكس على احلام الناس في نومهم وعلى تصرفاتهم في يقظتهم[4]. قد تدفع باصحابه الى تبرير ما يقدمون عليه من افعال متطرفة تحت وهم الخوف والخطر (او ردود افعالهما) او ماينشأ من الصراع بواسطة عملية افتاء موشاة.. بالضد مما يفعله من الناحية المبدأية [5] و(الاخلاقية)!

2- الصدمة:

اما الصدمة (التي تحدث الخوف) Traumatic Neurosis فهي حسب المنظور الفرويدي ((حالة من حالات الكائن العضوي تتميز بالافراط في الاثارة الى حد يمتنع فيه التصريف فيجهد الكائن العضوي في التوافق مع الموقف بأن ينأى بنفسه عن أي استشارة اضافية))[6] (مثل الاغماء كهروب مؤقت عن مكامن الخطر والخوف المفاجيء) ولكن حين يواجه الانا (الجمع) منبهاً صادماً أي منبهاً لايمكن التحكم فيه في الفترة الزمنية المألوفة، فأنه لايلبث ان ينغمر بكميات مفرطة من

---

(1) أيضا ص 81-85.

(2) أيضا ص 85 و87.

(3) أيضا ص 314-315.

(4) أيضا ص 324.

(5) أيضا ص 328.

(6) سامي محمد علي: معجم مصطلحات: ص 185 (ملحق).

الطاقة تهدد وسائله (الدفاعية) في الوقاية (وقد) تقضي عليها، فأن تهاوت بالفعل (كتهاوي برج التجارة العالمي في اوكلاهوما عام 1993) ولم يظهر للقلق اثر في ذلك (هو) دليل على ان الصدمة قد وقعت وان الموت يستتبعها او وشيكاً. (فكرة الفناء والمصير والخطر والارهاب)، اما ان كانت وسائل الوقاية مهددة (كلياً كما هو شأن تهاوي برجي التجارة في نيويورك- مانهاتن-عام 2001) فأن الانا يفقد (توازنه) وقدرته على الاستجابة بما يقتضيه الواقع وتصبح استجابته من قبيل (القلق) المتحسب له اما ((من يفاجأ بحدث داهم خطير يفقد معه السيطرة على الموقف(فيغدو) ضحية لعصاب الصدمة)) ((لانها تولد كميات من التوتر تنصرف في صورة اعراض مرضية اهمها تعطل وظائف الانا المختلفة، (العقلية، الجسدية والانفعالية) او ضعفها)) يرافق ذلك - بسبب التضخيم الاعلامي والتهويل- ((ازمات انفعالية قهرية يغلب فيها القلق والغضب خاصة... وارق واضطراب في النوم مصحوب باحلام يتكرر فيها موقف الصدمة ... وقد يسترجع المريض موقف الصدمة في حالة اليقظة ايضاً فيحيا المرة تلو المرة في اخيلته وافكاره ووجدانه وقد يزيد الامر تعقيداً ظهور اعراض عصابية ثانوية)) تطال من لهم صلة بالصدمة[1] بالخوف. وحين نستأنس باراء فرويد حول الاثار السايكولوجية للصدمات نجد أنه يتحدث عن اربعة أشكال اذا اجتمعت خلفت نوع من المرض الساكوباثي لدى الجماعات والشعوب (وربما الدول):-

الأول: المبالغة في تقدير الذات والزهو الذي يتراوح بين الأعجاب بالذات وجنون العظمة مما يعني ان أي تحرش بها هو ذروة الأرهاب والأخافة.

الثاني: عدم الثقة بالغير ((وهو موقف انفعالي يمهد لافكار الاضطهاد (أو التهديد المستمر)، ويولد القلق والريبة من (الغرباء)، ويتجلى في حساسية مفرطة تجعل اصحابه سريعي الأحساس بالتجريح ويعّدون (أنفسهم) أنهم ضحايا الأخرين))[2] من غير أي مبرر!

---

(1) سامي محمد علي معجم المصطلحات الفرويدي ص 185 نقلا عن:

Fenichel Theorie Psychanalytique des Nevrses Paris. 1953 Cha: P: 5 P .U .F

(2) فرويد: ثلاث نظريات في النظرية الجنسية ص 174.

الثالث: زيف الأحكام (الأباطيل المضللة) الناشئة بسبب العوامل الأنفعالية التي تتغلب في أحكامهم على المعطيات الموضوعية للأحداث.

الرابع: الفشل في التوافق الأجتماعي والأنساني الكاشف عن العجز في الأندماج بنظام أجتماعي وانساني يقوم على مبدأ: (عدم) التناغم مع الشعوب والأمم والدول يعزز لدى أصحابه العزلة والضياع والأغتراب (والحقد على الأخرين) جميع ذلك يؤدي الى أن:

أ- تفقد معه الجماعة شروط التوحد والتفاعل والتوافق على الصعيد الأجتماعي في حدود المجتمع الواحد وعلى الصعد الأنسانية[1]. أو الدولة الواحدة.

ب-هذا الأمر يتطلب تطهيراً (كتطهير ارسطو من المأساة) يخرج بالجماعة من دائرة الخوف الى الأمن والطمأنينة، وهو عند فرويد يعالج عن طريق التحليل النفسي بهدف ازالة الأعراض التي تثيرها عوامل الخوف في النفوس[2]. في سلسلة من الصدمات المرعبة لتحرير (الجماعة) من اسباب الخوف، ولاسيما في الحالات التي تتكرر فيها الصدمات[3]. ومسرحها العملي.

وأفضل من درس هنا عصاب الصدمة: TRAUMATIC NEUROSIS كل من سونيا هانت وجنيفر هيلتي حين تتبعتا الجماعات البشرية والأتصال الأجتماعي وضغط الجماعة[4] وصولاً الى مراحل الضغوط النفسية والصدمات التي تقود الى (الخوف)[5] لبيان حاجة الأنسان الى (الطمأنينة من الخوف) والتقليل من الضغوط الأنفعالية التي تحاصره والناشئة عن التوترات البيئية والأجتماعية والذاتية بهدف الصمود أمامها للحيلولة دون تهديد نظامه الطبيعي والنفسي والقيمي. فأذا ما تجاوز الناس التفسير (الجبري) في مواجهة المخاطر، فأنهم سرعان ما يفصحون عن خوفهم من الأخطار كلما استشعروا (خطراً) قريباً منهم فالخوف أو التهديد بالخوف

---

(1) أيضا ص 177.

(2) أيضا ص 184.

(3) أيضا ص 185.

(4) سونيا هانت وجينفرهيلتن: نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية تر/ قيس النوري دار الشؤون الثقافية بغداد 1988 ص 55 و277 و305.

(5) أيضا ص 331.

يؤدي الى تغيرات بايولوجية ونفسية تتطلب التطمين. وللأمساك بزمام المبادرة من (الناس) في حالة الخطر الشامل، تبادر (السلطات) الى أخذ تخويل ودعم وصلاحيات تتيح لها القدرة على مواجهة الخطر بفعالية وحماية المجتمع من آثاره[1]. وبخاصة الأخطار التي تورث صراعات اثنية داخلية وخارجية يصعب تحديد آثارها المستقبلية القريبة والبعيدة.

ان توقع (الخطر) - المثير للخوف - يوجب التحسب منه كما ان المبالغة بحجمه تقود الى (الذعر)، الذي يقصد منه اطلاق أيدي السلطات لأتخاذ التدبيرات المطلوبة ورصد المبالغ الكافية للمعركة ضد الخوف[2] والرعب والخطر. الخوف؛ مثلما هو عند الحيوانات يقود الى الهرب او القتال كذلك الحال مع الأنسان، وبما يؤكد الأساس (الوراثي) للخوف الذي ينتظر مثيرات وصدمات تبعثهُ من مرقده! يتناسب طردياً مع المثير. فكل صدمة كبرى تقود الى خوف (مرعب)، وردود أفعال كبرى يصعب السيطرة عليها من غير حلول كبرى، لأسباب ذلك الخوف. والأخطر ما في الخوف لايكمن في الجانب (الفيزيقي/ البيولوجي) انما بذلك النوع (المصنّع) والوهمي منه والذي ينبعث بكيفية غامضة ومجهولة ولاسيما الخوف كما قلنا من الغرباء ومجهولي الهوية والمهاجرين، فيما يتعلق بالمجتمعات التي تعيش في اقاليم ذات حدود طبيعية مانعة (محيطات، أنهار، جبال، بحار، صحارى) كما يتم اكتساب (المخاوف) عن طريق (الصحافة) و(التعليم) و(التلفزة) حين تأتي اثر(صدمة) ورعب وفواجع وتهديدات مستمرة بالأنتقام، حتى يبدو للجماعة ضرورة اتخاذ ما يجنبها (الصدمة والخطر) من قبل أجهزة واسعة الصلاحيات[3]. (فالمخاوف المكتسبة يمكن أن تكون وقائية حيثما تؤدي وظيفة واقعية (نخطط لها سلفاً) ولكنها قد تفشل نفسياً عندما تصبح- رهاباً PHOBIA - ولعله ينقلب (ارهاباً) باضافة الالف (المقصودة) حين ((يمنع الناس حتى من مغادرة بيوتهم او الدخول الى المناطق المزدحمة، وفي ظروف كهذه قد يأخذ الخوف موقعاً مركزياً في وجود الشخص، بحيث ان حياته كلها تتأسس حوله وقد يختلط هذا الخوف

(1) أيضا ص 334.

(2) أيضا ص 35-336.

(3) أيضا ص 337.

الشديد مع خوف اخر))[1] متوهماً من امثلته الاختلاف بين خوف (الفلسطينيين من الارهاب الصهيوني) وخوف العراقيين من الارهاب المصنع ، وخوف الامريكيين من العرب والمسلمين. (الارهاب) في ايامنا هذه مثل الخوف الامريكي المصنع يأتي من تهديد خارجي على شكل توقع مستقبلي (غامض)، ينطوي على عنصر اللاعقلانية، سبق ووصفه فرويد: بأنه قلق يدعو الى (تهديد الانا) وينشأ عنه عدم استقرار ولاسيما حين يكون الناس عرضة للتهديد وقد يقود الى تداخل الخوف مع القلق الناشيء عن حالات متطرفة تؤدي الى توترمستمر، وتهديد موضوعي محتمل، يتخطى رد الفعل عليه، جميع القيم، اذا ما صاحبه اعلام مثير ومدروس (متطرف)، يبرر في ضوئه تجييش الجيوش واعلان الحروب لمحاربة مصدر ذلك (الخوف) وتجفيف منابعه ومصادره. فماذا يجري من الناحية السايكولوجية والشعورية في مثل هذه الاجواء مقابل ذلك الخوف الذي تزرعه الالة العسكرية امام الاطفال في فلسطين والعراق؟ لقد ثبت استقالة العقل وتوقف الوعي! عند نقطة محددة بسبب الضغط الهائل على مصادر القرار العقلي في الناس وهو مايشبه حالة الغيبوبة المؤقتة التي يهرب خلالها المرء من الخطر. هذه الغيبوبة المؤقتة هي التي تسمح بمرور الرسائل المطلوبة الى حيث المراكز الشعورية لكي تؤجج القلق حال العودة الى الوعي، وبهدف اختيار الاسلوب الصارم والمنمط للاستجابة اللاحقة ازاء تعقيدات الموقف ومفاجأته حتى يصل حد ((تقليص استقبال المعلومات الجديدة))[2] بسبب انسداد مساحة الاجهزة المكلفة باستقبال المعلومات من قنوات شتى. ان حالات عدم الوثوق وشيوع الشك والقلق مقدمات للوصول بالناس الى استقبال عوامل الصدام والصراع بعد تمرير الرسائل الحاملة للتهديد للحيلولة دون الفشل في تحقيق هذه الغاية ((فالبشر الذين لايرون انفسهم معرضين للمشكلات يحتمل لهم الاستجابة اكثر للعقل المرهوب تحت تأثير التهديدات القوية للخطر مما لو كانت التهديدات قليلة او مبالغاً فيها))[3]!

اما اؤلئك الذين يرون انفسهم اكثر عرضة للخطر فيصبحون ذوي نزعة قدرية غيبية (اويستسلمون للسلطة الماسكة بالقوة والحكومة) للتخفيف من وطأة التهديد

(1) أيضا ص 338.

(2) أيضا ص 39-340.

(3) أيضا ص 340.

بالخوف ويبدو ان تشخيص (مصدر الخوف) و(العثور عليه) امر مطلوب بهدف القضاء عليه ((واذا تعذر تشخيص مصدر الخوف واذا كان قوياً يصعب مواجهته فلا بد من ايجاد وسيلة للتنفيس (عن هذا القلق) و(الدليل على ذلك) حدوث مشكلات التوتر العنصري (في امريكا) وزيادتها في اوقات عدم الاستقرار الاقتصادي))[1] في اسواق المال والبورصة. يذكرنا ذلك بالقصص الصحفية الامريكية والبريطانية قبيل الحرب العالمية الثانية حول (الخطر النازي) وبعدها جاء (الخطر الشيوعي) لتهيئة نفسيات الناس الى حجم الصراع ومخاطره في القادم من الايام والسنين مادام المطلوب توقع المزيد من الاحداث المخيفة لابقاء الخوف مصاحباً للناس في حلهم وترحالهم. (انفاق المترو او الطائرات او السفن) ومما يقوي الستراتجيات المواجهة لذلك الخطر هو ((البحث عن كبش فداء (لكي) تحمى الذات من الخطر الخارجي)) الذي يأتي على شكل (احداث، افكار، خطط، اعلام)، وقد تقود الى اتخاذ ((قرارات صارمة ذات اثار خطيرة تحت ذرائع حماية اعتبارناالذاتي من الصدمات))[2] اعتماداً على وظائف عامة (الجيش/ الميزانيات). بهذه الكيفية تستسلم العديد من الشعوب، التي تخضع لاعلام موجه، نحو اثارة الخوف لدى مواطنيه الى خطط الحكومة في كل حين لذلك نجد ان اخطر مستويات تحريك فكرة الخطر هي لحظة تسللها الى مراكز وعي المواطنين بلا وعي انطلاقاً من قواعد التبرير الاعلامي[3] ضد (س) من الاعداء بعّده مصدراً لذلك الخوف!

اما الخلل الذي يسجل على اصحاب هذا النوع من الاساليب فيتمثل بذلك الطابع المرضي الذي نراه يظهر في حماسة كشف عيوب الاخرين وخطاياهم ((بما يوحي بأساس انفعالي وليس عقلاني))[4] فأن اقسى انواع (الخوف) ذلك الذي يتأجج على شكل صراع مقترن بعدوانية مستثارة من قبل الرؤوساء! وتحويلها نحو (قوى-جماعات-شعوب-حكومات-دول-زعماء) بهدف النيل منهم على اساس رمي الخطر خارج الحدود لصرف النظر عن عيوب داخلية او لتحقيق اطماع خارجية وقد ((يلاحظ هذا في الحالة المتطرفة لاؤلئك الذين يتصورون انفسهم

(1) أيضا ص 341.
(2) أيضا ص 342.
(3) أيضا ص 343-344.
(4) أيضا ص 345.

محاطين بالمتآمرين))[1] مما يؤجج الخصومة بين (العدوين) بعد اضفاء سمات المعتـدي على الاخر (اعلامياً) وبما يكشف حقيقة كون ((هدف الكره (الحقد) اخطر من ان يهاجم وان الانسحاب يكون (مستحيلاً) وغير ممكن))[2].

وتتصاعد وتائر تصنيع الخوف من جراء (الخطر المصنع) الى مستوى خطير من (العدوان) حين توظف جميع (عناصر الاعلام) وعناصر الدمار لمواجهة (الخطر المحتمل)، على اساس :ان الاستجابة ((البديلة للدفاع هو الهجوم))[3] الوقائي او ما يسمى في ايامنا هذه بالضربات او الحرب الاجهاضية لافشال خطط العدو المحتملة، هذا العدوان هو نوع من الارتكاس الى (حيوانية) انتقلت الى المجتمع البشري تحت دواعي (التحّوط المفرط) الذي تسخر فيه الحروب النفسية والاعلامية والثقافية (حرب الافكار)، وما العدوان العسكري والحروب الا جزء من السلوك الحيواني (الوراثي) و(المكتسب) ممثلاً بالدافع الذي ادركه فرويد وهو يفسر لنا ((احداث في العالم)) مؤكداً وجود دافع تدميري لدى البشر سماه ثانا توس Thanatos يكمل دافعهم الجنسيـ (Eros). كما وجد لورنز (Lorenz) ((باننا الفصيلة الوحيدة القادرة على قتل افراد نوعها وذلك بسبب افتقارنا للوسائل الفطرية اوالموروثة الرادعة او المقيدة لعدوانيتنا))[4] الاحين العودة الى وعينا وعقلانيتنا! وان كان مبرر العدوان يتجه ضد معيقات طاقتنا الموجهة نحو غاية ما مما يستدعي توظيف القوة لاجتياز هذه العقبة، وهو ما يعني (الفوز في الحرب او الانتصار) على صعيدي الثقافة والاعلام والحرب. وهو امر مألوف في الحروب المعاصرة ونحن نعلم مخاطر الاثارة الاعلامية في تأجيج الكراهية بين الشعوب على قاعدة ((ان بعض الظروف الاجتماعية (والاقتصادية والسياسية) قد تستنزف قابلية الانسان لمواجهة الكراهية والعدوان فتجعله مستعداً للقتل))[5] فحسب كما هو حاصل في فلسطين وغيرها. كما ان المحاكاة تلعب دوراً في تشجيع العدوان كاستجابة على الفشل والاحباط، فحين تعاني الرأسمالية من مظاهر الركود الاقتصادي تفتعل

---

(1) أيضا ص 345-346.
(2) أيضا ص 346.
(3) أيضا ص 347.
(4) أيضا ص 348.
(5) أيضا ص 349.

الازمــات الخارجيــة وتثــير النزاعــات والحــروب للخــروج مــن ازمتهــا، امــا المجتمعــات (المتوازنة/عقلياً ونفسياً) فهي وحدها القادرة على تنفيس (كبت الخوف) عـن طريـق النكتـة والتكيف واصلاح الخلل بعيداً عن الاساليـب العدوانية[1] بما يكشــف عــن مسـتوى النضـج الاخلاقي للشعوب من خلال هذا المعيار! الذي فشل الامريكان في استثماره مع انهم يعيشون في اقليم جغرافي حصين وآمن وثري وبعيد عن مكامــن الخطـر ومصـادر الخـوف! ((فـالعنف ليـس استجابة عفوية.. بل يعتمد على بعض التقييم لمدى التهديد (الخطر) في الحالة المعينـة (الارهاب) وافضل الوسائل لمواجهته ولاسـيما حـين تـزداد المخـاطر بازيـاد (قابليـة الجماعـة) للفكــر الرمــزي (الزئبقــي) التــي ((تعنــي اننــا نتصــور وجــود الاعــداء حيــث لاوجــود لهم))[2].

وان القدرة على كسب الولاء الجماعي دفعت بالعالم كوستلر على طرح فرضيته القائلـة [بأن البشر يكونون في اخطر حالاتهم عنـدما يكونـوا في اعـلى درجـات وعـيهم بعضـويتهم في جماعتهم وحقدهم على الغربـاء][3] (الانــغلاق). وان ((اسـتمرار اسـتثارة الخطـر قـد تنتهـي بالناس الى الانهيار العصبي مما يكشف الاثار المتطرفة للعـدوان والكـره بصـورة يشـترك فيهـا الحيوان مع الانسان وبما يعـبر عـن حقيقـة الاسـلوب التنافسي ـ المعقـد في الحيـاة الرأسـمالية المعاصرة))[4]. نقول هذا مع ان بعض العلماء يرون بالمؤثرات الانفعالية واحـدة مـن اسـاليب تطور الوعي الذي يخرج بالناس من السأم والملل الى الابداع. غير ان افتقاد السيطرة على نوع التغيير الحاصل في محيط الانسان وحياته. ((تفرض قوىً اعتى (وأشد) على انظمتنا الادراكيـة والعاطفية والفسلجية))[5]، تبعد بنا عن عقلانيتنا المنشـودة اذا مارغبنـا بعـالم يسـوده الامـن والامان وتبادل المصالح والمنافع ونيل التقدير. اما نحن الذين نتعـرض لتهمـة (الخطـر) الـذي يهدد رفاه الشمال ومدنيته! فنعيش حالة مـن (الخـوف) المركـب الـذي تكـون فيـه الضـحية مقتولاً قاتلاً وهو امر يتجاوز معايير

---

(1) أيضا ص 350.
(2) أيضا ص 351.
(3) أيضا ص 351.
(4) أيضا ص 352.
(5) أيضا ص 354.

المنطق والعقل! فالضحايا التي تستغيث من هول (المأساة) تعيش حالة من الخوف على الذات من الاخر وعلى الذات من الذات مثلما تحمل على عاتقها تهمة التخويف والارهاب من غير ان تملك القدرة على دفع هذه التهمة عن نفسها، لقصور وسائلها الاعلامية والثقافية في الاقناع والخطاب والدفاع عن النفس، شأننا شأن المتهم البريء الذي لايملك حجة او دليل لاثبات عدم جنونه مادام المجنون الذي غادر (المصحة) يحمل مثل هذه الشهادة.

رابعاً:

جدلية الخوف في عصر العولمة

نمطان من (الخوف) اختزنتهما ذاكرة الشعوب اخطره ماعلق لدى (الجنوب) بعامة من اثار مريرة وخوف مركب لحقبة الاستعمار الكولونيالي؛ الذي طلعت علينا به (الرأسمالية) في اطار نموها (الهندسي) وهي تتفنن في استلاب الشعوب واستغلالها وقهرها طوال القرون الاخيرة الى ان وجدت البلدان المتخلفة فرصتها التاريخية لتستفيد من (التوازن) بين المعسكرين الشرقي والغربي داخل (الحضارة الاوربية) بين الاشتراكية والرأسمالية فتحررت (شكلياً) من هذه الهيمنة كادارة وسلطة، لكنها ظلت محكومة بنوع من (الهيمنة الاقتصادية) التي ادخلتها في حقبة الاستعمار (الامبريالي) - (المحسن).

لكن انهيار ذلك التوازن مع تسعينات القرن العشرين ادى بالرأسمالية (الامبريالية) ودولها الى الاستفراد الكامل بالقرار السياسي والاقتصادي والاعلامي والعسكري تحت دعاوى نهاية التاريخ والقطبية الواحدية والكوكبية (العولمة=الحوسمة)[*]، على شكل (نظام عالمي جديد)، مدفوع برغبة جامحة للامساك باللحظة الحضارية (الامريكية) لنرى انفسنا امام شكل جديد من الاستعمار الرأسمالي هو (سوبر-امبريالي = استعمار عند الطلب مشفوع بضوء اخضر من المنظمة الدولية او مجلس الامن قدر المستطاع) يأخذ شكل شراكة في مواجهة (مواطن الشر ومحاوره) - بدأ ذلك مع عهد بوش الاب - تتعاون فيه (جيوش من المرتزقة تتحمل الدول المضيفة (المحمية) الصرف عليها) لضمان افضل الاوضاع لنشاط الشركات الكبرى (العملاقة) ورؤوساء دول مهمتهم الحصول على افضل الفرص والعقود لهذه الشركات في (القرية العالمية الصغيرة)، هذا هو واقع الحال المفروض من (دول الشمال) على (دول الجنوب) تحت عناوين (اقتصاد السوق) واطلاق حرية التجارة بلا قيد او شرط امام السلع والخدمات والافكار والاعلام انها حقبة الرأسمالية (السوبر امبريالية).

(*) الحوسمة من الحواسم، مصطلح عراقي يقصد به اللصوصية التي شهدتها بنوك العراق ومؤسساته ووزاراته خلال الغزو الامريكي سنة 2003.

مع ان الشرعة السائدة بين الفرقاء (العمالقة) تعود بنا الى عهود الغاب على قاعدة (اذا لم تأكل تؤكل) وتطبيق سياسة الانسياب عبر جميع السبل والدروب خلف، ووسط، الدول والانظمة، والامم، والاديان، والقوانين، لتحقيق اكبر قدر من المكاسب والاختراق والهيمنة هذا هو منطق استثمار اللحظة الحضارية في زماننا هذا فلنقف ملياً عند السياقات والتداعيات التي وصلت فيها الحال الى ما وصلت اليه على صعيد (الشمال) في ارهابه للجنوب عن طريق العولمة الاحتكارية (الامركة) معتمدين على شهادات محايدة (ومن أصحاب البيت) كما يقال:

1- شهادات من الشمال / الغرب عن حقيقة الخوف:

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ومفكرو الغرب / والشمال يشكون من خيبة الامل التي انتهت بالانسان الغربي الى حال وجد نفسه فيها اسير سلسلة من القوى والقيود على الرغم من الامل الذي داعب خياله في حقبتي (الحداثة وما بعدها)[1] فوجد نفسه غريباً وهو يعاني من غياب شروط نمو الماهية الانسانية كما وجدتها (الوجودية)، في ضوء قرائتها لمشروعات هيجل وماركس الانقاذية[2]. وبدلاً من معالجة النتائج الكارثية لسيرورة الحضارة الغربية تعقدت الحياة بسبب انقسام العالم[3] الى شمال يحتكر الرفاه والعلم واسباب التقدم والمدنية والمعرفة والسطوة بـ (**10%**) من سكان العالم، وجنوب مهمش مستعبد بـ (**90%**) من سكان الارض مما يعني فشل الحلول المقترحة لاصلاح شأن الانسان في القرن العشرين مادامت العلاقات قد اختلت بمثل هذه الصورة بين (الشمال والجنوب)، مع غلبة فكرة السوبرمان ومنطق الغاب والبقاء للاقوى، الذي ليس هو (الاعدل)، بدليل المعادلة المختلة بين عشر السكان وهو تستثمر**90%** من ثروة الارض تاركاً للبقية عشر الثروات.

---

(1) علي حسين الجابري: الخطاب الفلسفي المعاصر، ومستقبليات توفلر، من الحداثة الى العولمة بغداد 2002 ص 1-20.

(2) ريتشارد شاخت: الاغتراب. تر/ كامل يوسف حسين المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1 بيروت 1980 ص 56-298.

(3) أيضا ص 299-323.

(أ) وهو(واقع خطير) سبق وحذرت منه الدراسات الفلسفية / الاجتماعية المنصفة منذ اكتشفت (أخطاء) التطبيق في التجربتين (الاشتراكية) و(الرأسمالية) فكان الحديث يجري عـن (طريق ثالث) لابد ان تتهيأ له الانسانية مع الالفية الثالثة لكي تخرج من عنق الزجاجة الـذي وصلت اليه حضارة الغرب[1]. فشكا رجال فرانكفـورت وغـيرهم ولاسـيما مـاركوز، وهبرمـاس، وهوركهايمر وصولاً الى لاروش (ليندون ومعهد شلر) من غياب العدالة وفقـدان معـايير الخـير والجـمال والفـن النبيـل، واسـتنزاف الطبيعـة وطغيـان [اللامحتشـم واللاجميـل واللاعـادل واللامسوغ]، على الساحة الثقافية والاعلامية فكأنه يعاني نوبة جنون تهدد مستقبل الانسانية باخطر العواقب حتى بات (التقدم التكنولـوجي، وعقلنـة الخيـال) صـنوان لايفترقـان بسـبب طغيان الطابع الكارثي للاحداث فكأن عقل الانسان قد تحرر من جـبروت (القـوى الغيبيـة) - حسب ماركوز- ليقع تحت جبروت السـيطرة التكنولوجيـة فائقـة القـوة[2]، وكأننـا ازاء (علـم الخيال) الذي كادت الرياضيات ان تعبر عنه رقمياً في زماننا هذا! شأنها في ذلك شأن (الحلمية الرقمية) في دائرة التحليل النفسي، بعد ان حولنا الانسان الى شيء (بامتياز)[3]. وجرى الخطاب هكذا: الافراد المشوهون (البدائيون الارهابيون) ((سيميلون ... الى ان ينظمـوا ويـدمروا اكـثر حتى مما هو متاح في الوقت الراهن)) هذا هو ملخص موضوع الاعلان السوبر امبريالي لخطر الارهاب ومرجعياتـه مـما يطـرح سـؤالاً أخطـر هـو ((كيـف يسـتطيع الافـراد المساسـون (في الشمال)... ان يتحرروا من انفسهم ومن ساداتهم في آن واحد؟))[4] وهذا يعني ان بنا حاجـة للتهدئة واعادة ترتيب الحقائق من جديد: بهذه الكيفية ادرك ماركوز ماستؤول اليـه الاحـوال في القرن الحادي والعشرين؛ ولاسيما في قوله ((وعلى كل الاحوال وتبعاً لدرجة التطور لايمكـن ان تتعدد وتتنوع الاشكال التي تجمع بين السلطة المركزية والديمقراطية المباشرة: ولـن يصـبح تقرير المصير الذاتي فعلياً وواقعياً الا اذا لم تعد هناك (جماهير) بل مجرد افراد متحررين مـن كل دعاية ومن كل تكيف مذهبي ومن كـل تحكـم وتلاعـب وقـادرين عـلى معرفـة الوقـائع وفهمها

---

(1) هربرت ماركوز: الانسان ذو البعد الواحد تر/ جورج طرابيشي ط3 دار الادب بيروت 1988 ص 25-237.
(2) أيضا ص 259.
(3) أيضا ص 260.
(4) أيضا ص 261.

وعلى تقرير الحلول الممكنة)) وبعبارة اخرى ((ان المجتمع (الشـمالي) سيصـبح عقلانيـاً حراً بقدر ما يجري تنظيمه وتكوينه وتجديده من قبـل ذات تاريخيـة جديـدة جوهــرياً))[1] ولاسيمـا بعـد ان لاحظ تراجع دور الشغيلــة عالميــاً وازديـــاد مخـاطر الصــراع والحـروب والاستغلال وكـأن الانسانية قد تجردت عما هو انساني وعقلاني وبدت المهمة الصـعبة تقتضي تحويل ((وقت الفراغ الى زمن حر وتهدئـة النضـال في سـبيل البقـاء)) ضـد (قـوى الاسـتغلال الكونية)[2].

(ب) وهذا هو النداء - في نهايات القرن العشرين في الغرب- يقول : ان جميع المؤشرات تنبىء بمرحلة جديدة من السيطرة للادارات تتسـع دائـرة المنبـوذين فيهـا (نفايـات التقنيـة)، لاينجو منها حتى ابناء المجتمعات المرفهة[3]. فكيف سيكون الخـلاص؟ حـاول جيلـبرت بـوس، الاجابة على هذا السؤال في الفصل الثاني من كتابه (مدخل الى الفلسفة) في معرض شكواه من التباس المصطلح بسبب اضـطراب العلاقـة بـين (الشيـء=الهـدف) و(الفكـرة) وبخاصـة فكـرة العدالة[4] وهو امر منح (العقلانيـة النقديـة) فرصـة لـتمارس دورهـا في بيـان الحقـائق وفـك الارتباط بين العام والخاص[5]. من اجـل تسـمية الاشـياء باسـمائها الحقيقيـة فمحنـة الانسـان (الشمالي) تبدأ من اكتشاف التناقض بين (العدالة) و(فكرتهـا) عـلى صـعيد التطبيـق، بسـبب فقدان التوازن بين (عدل، وعدالة، وعدلنه) مما لايمكن تأسيس الحق على (العقل) وحـده مـا دام المطلوب (معايشة العدالة وتحقيقها بالعدلنة)[6]، لتأتي معبرة عـن (العقلنـة)- الاجرائيـة. وكأنه يريد القول ان المطلوب اليوم نوع من المواطنين يعيشون في (عالم محايد) اذا مـا رغبـوا حقاً بعدالة تحقق الحق وتتفادى ((الظلم او اعـادة الحقـوق الى الضحايا مـن اولئـك الـذين انتهكوها)) وبهذه الروح تكون (العدالة): مجموع المؤسسات التـي مـن واجبهـا السـهر عـلى حقوق السكان في بلد ما تكون قائمة

(1) أيضا ص 262.

(2) أيضا ص 263.

(3) أيضا ص 266-267.

(4) جيلبرت بوس: مدخل الى الفلسفة تر/ رجب بودبوس (الدار الجماهيرية) ط1 مصراته 1994 ص 77-79.

(5) أيضا ص 75.

(6) أيضا ص 52-53.

ومحترمة[1] والفلسفة لاينتهي واجبها بوجود (فكرة العدالـة) في القـوانين ولكـن -ايضـاً- بالاطمئنان الى تحققها على صعيد الحيـاة العمليـة عنـد كافـة الشـعوب[2] لـكي يـتم اجتثـاث الخوف من اعماق النفوس المظلومة!

(ج) وهو هدف بعيد المنال في ضوء وقائع الاحداث مادام الاتجاه القسري هـو الغالـب على علاقات الدول والشعوب وبخاصة بعد طغيان النزعة الشمالية (المعولمـة) في فـرض ارادة القوى وتسخير العلوم للتلاعب بالظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيطـة بالشـعوب بهـدف احداث تغير في قناعاتهم ومفاهيمهم الاخلاقية والنفسية مما يتطلب نظرية (عقلانية نقديـة) سليمة قائمة على قواعد ومذاهب واهداف ومبـادئ هـي مـن نتـاج العقـل النقـدي المعـاصر الذي لايمنح المشروعية لاية نظرية او مشروع الا عـلى اسـاس نتائجـه التطبيقيـة[3] وهـو امـر بعيد المنال في عالم اليوم كما يراه ادورنو (من مدرسة فرانكفورت). لانه عالم التضليل والكذب الاعلامي/السياسي من ابرز ملامحه:

ج/1- ان الكذابين وحدهم هم الذين يتحدثون ويسوّقون اضاليلهم للمشاهدين.

ج/2- انقلاب قوة الحقيقة والحق الى حقيقة القوة وشرعة الغاب للاعب غامض!

ج/3- ليس قمع الحق هو سمة العصر فحسب بل وضياع شروط الاختلاف بـين الحقيقـي والمزيف لتغليب التضليل والخداع واخفاء الحقائق عن المواطنين.

ج/4- ثمة هتلر جديد يبعث يعبث بأمن الحقائق الفلسفية والعملية[4].

(د) وبذلك يتوافق (خوف) أدورنو مع هواجس (نوريس) وهو يشخص مظـاهر الخطـر الذي يهدد امن الأنسان ومستقبله من خلال عدة تجارب:-

---

(1) أيضا ص 48.

(2) أيضا ص 75 و92-95.

(3) علي حسين الجابري: الانسان والواجب اشكالية فلسية ص 11-62 وص66-108 وص 149-181.

(4) ادورنو: مقدمة كتاب كريستوفر نوريس: نظرية لانقدية- مـا بعـد الحداثـة. تـر/ عابـد اسـماعيل دار الكنـوز الادبية بيروت 1999 ص 5.

الأولى: الوقـائع في حـروب الخلـيج جـاءت تعبـيراً عـن (خيـال جـامح) يتجـاوز منطـق الحقائق الواقعية استناداً الى حقائق علم النفس التطبيقي وحواراته مع بودريار[1].

الثانية: مناقشته لآراء (رورتي الأمـريكي) و(دريـدا الفرنسي) حـول الأكراهـات المنغصـة للحقيقة [2]. والمانعة للحرية والقامعة للعقل النقدي. ولاسيما ان دريدا قـد قـال قولتـه بعـد عام 1991 في (اطياف ماركس) حـول الحـروب المجنونـة التـي ترعـب ملايـين البشر وتجتـث الشعوب من جذورها من اجل التقدم خطوة على عتبات القدس[3]. امـا محـاورة (نـوريس) مع دريدا فتأتي شهادة لاحقة -على فكر الواقع - (القمعي) وليس واقع الفكر لحقبة (المابعد) حداثوياً وفلسفياً (ماركسية، وجودية، براجماتية، تفكيكية، ليبرالية وحتى صـهيونية) لـيخلص من ذلك الى كيفية تحول العالم الحقيقي الى (خرافة) بسبب (قلب الحقـائق وانقـلاب القـيم) وتلفيق المعلومات عـلى اسـس فوضـوية[4] (كيوسـية) - او براغماتيـة جديـدة - تكشـف عـن (الحوار المتحضر) الـذي انتقـل بـالفكر مـن المتسـامي (المثـال الجميـل) الى العبثـي (حسـب ليوتار)! في اطار من العاب اللغة لتسقط كافة الذرائع (الأخلاقية) للحملة على العراق في جـو من القمع والخداع (والتخويف) الذي يتنـافى مـع العقـل والقـيم[5] ويعـبر أوضـح تعبـير عـن مفهوم (الأرهاب الدولي الشمولي). فما الذي يهدد الحقيقة والحق غير العبث بهما والتلاعـب اللفظي المضلل الذي كشفه نعوم جومسكي وهو يبحث عن الضـمير الأخلاقـي للمفكـرين[6]؟ الذين يحاولون تحسـين الصـورة القبيحـة لمسـاوئ الرأسـمالية في مرحلـة (السـوبر)! المعادلـة لمفهوم (العولمة أو الأمركة).

الثالثة: تتعلق بعقدة فيتنام أو ما يسمى بالعامل السـايكولوجي / العصـابي للخـوف في الذاكرة الأمريكية الطرية في معرض - حديث نوريس - عن النظام العالمي الجديـد المتجـانس الذي خرج من حرب الخليج الثانية بنوع من (الشعور

---

(1) كريستوفر نوريس: نظرية لانقدية –ما بعد الحداثة ص 9-40 و274-280.

(2) أيضا ص 41-69.

(3) جاك دريدا: اطياف ماركس، او موت لاعب غامض: تر/ غازي عياش. حلب 1995 ص 8-134.

(4) نوريس: نظرية لانقدية ص 81-85 و87-90.

(5) أيضا ص 99-100 و109-123.

(6) أيضا ص 145-161 و165 و175.

بالغبطة) حين مكن (بوش الأب) الأمريكيين - هكذا جاءت صيغة الخطاب الأعلامي-الأمريكي في الخروج عن صدمة فيتنام و((بأن شعروا مرة ثانية بالمتانة وبالمصير المحتوم الذي تلقى - في فيتنام - كبوة مؤقتة)) وهاهو النصر يلوح من جديد في الخليج على العراق بعيداً عن الحيادية الاعلامية او الثقافية[1]. نعم ((لقد دفنت عقدة فيتنام في رمال الخليج والى الابد))[2] جرى ذلك حسب (نوريس) خارج المعايير الاخلاقية مادام الامر معلقاً بالنتائج النهائية للصراع بما يعبر عن خليط من الافكار النيتشوية ومابعد البنيوية[3]. وهذا يعني عودة ثانية الى (نهاية الايديولوجيا) وتأكيد القطبية الواحدية[4] على صعيد التطبيق العملي في (الجنوب) على وفق منطق الاكراه والتخويف.

اما في الشمال فكان التشكيك بعصر الانوار (ودور اوربا العجوز) واضحاً يتجلى في كتابات فوكوياما (نهاية التاريخ) و(صدام الحضارت) لهنتنغتون واراء رورتي وتناقضاتها مع افكار لهبرماس وسعيد[5] وصولاً الى حال الماركسية (المابعد) وما بعد الحداثة[6] وكأنهما جاءا تبريراً لموجة الحضارة الثالثة التي تحدث عنها توفلر كناية عن النجاح الامريكي في تخطي اخفاقات الحداثة وما بعدها في اوروبا من خلال النظام العالمي الجديد. يقول (نوريس) عن خطاب الادارة الامريكية في اعلان الحرب على العراق كتعبير عن ارادة الامم في النظام العالمي الجديد (والشراكة)، في مواجهة مصادر (الخوف) على الحياة المرفهة في المجتمعات الغربية: ((وفقاً لمبادئ مشتركة من الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق، ان قسماً كبيراً من العالم سيكون شبيهاً بالعراق وروريتانيا (المتخيلة) (Ruritania) وعرضة لصراعات وثورات دموية ولكن باستثناء الخليج (العربي) فأن مناطق قليلة سيكون لها تأثير يذكر على القسم المتطور من العالم الديمقراطي

---

(1) أيضا ص 91-92.

(2) من تصريح للرئيس الامريكي جورج بوش في 5 آذار 1991 (وكالات الانباء).

(3) نوريس: نظرية لانقدية ص 93 و95.

(4) أيضا ص 183 و191.

(5) أيضا ص 198-206 و216

(6) أيضا ص 210-216

الرأسمالي وبالتأكيد في هذا الجزء من العالم سنقوم ببناء بيوتنا))[1]. هذا كلام فوكوياما جاء موافقاً للخطاب الرسمي للادارة الامريكية آنئذ والمستمر حالياً لضمان التفوق الامريكي القائم على منطق (هم: العراق روريتانيا) [(ونحن) = الامريكان!] وهو امر يزعج (نوريس) لذلك عقب عليه قائلاً ((سيستمرون في التورط في صراعات وثورات دموية قديمة الطراز)).. في حين (نحن) القاطنين السعداء لليوتوبيا الموعودة: ((سنتفرج على بؤسهم دون ادنى احساس بالمسؤولية اتجاه الماضي او الحاضر))[2].

لكن الذي لم يدركه فوكوياما - حسب نوريس- وفكر ما بعدَ الحداثة ((ان حرب الخليج (الثانية) هي ليست سوى حصيلة لتاريخ طويل من التورط البريطاني- الامريكي والغربي في المنطقة يشتغل على وجهين من وجه يقدم دعماً لنظام دكتاتوري دموي لحمايته المؤقت من السقوط اثناء (انتفاضة عام 1991) في الوقت الذي (الوجه الثاني) يحشد الجهود لتقويضه لاحقاً بعّده خطراً على البشرية[3])) وهوما تحقق بالفعل عام 2003 مما يجعل احكام فوكوياما وخطابه الاعلامي خارج التاريخ.

(هـ) اما بيار بوردو فتحدث عن (الخوف الشمالي) في ظل الدولة الرأسمالية الرمزية Capital (الدولة الرأسمالية) المتضخمة هي في حقيقتها ((جهاز قمع وتنظيم يحتكر ادوات القمع وقوانين الصراع بين الفئات الاجتماعية)). هذا الاحتكار يسميه بوردو رأس مالاً لانه يمثل الرأس مال الاقتصادي في اي حقل من الحقول تحل فيه هذه الدولة. ((غير ان هذا الرأس مال لايكفي وحده لسيطرة الدولة اذ لابد لها ان تنتزع شرعيتها من اخصامها)) وحيازتها على رأس مال آخر يسميه الرأسمال الرمزي (حق الوصاية والاحتكار) وهذه الحيازة لها تاريخ يشهد على

---

(1) أيضا ص 223.

(النص لفرنسيس فوكوياما من مقال منشور في صحيفة الغارديان يوم 8 نيسان 1991 ص 190 تحت عنوان الايام المتغيرة. لروريتانسا).

(2) نوريس: نظرية لانقدية ص 223.

(3) أيضا ص 224-225 و258-268.

صراعات دموية قبل ان تفرض نفسها بصفتها شرعية بديهية أي انسانية (عامة) كونية عالمية[1]وفق آلية التمركز العولمي الاتية:

1- وجود الحاكم الاخطر هو الذي يقود دولة مهمته فيها لاتحقيق العدالة وحل المشكلات والاستثمار الامثل للثروات داخل وطنه بل مهمته مثل اقطاع الامس. ((توسيع الارض واعلان سيادته عليها ومركزة رأس المال)) الرمزي أي يتسم بالسمة الاجبارية (القسرية) ومنطق القوة للاعتراف بشرعيته الكونية (الواحدية)[2].

2- يرافق هذا التمركز ((توحيد المعلومات وتصنيفها لصالح مركزة السوق الثقافية)) ليقول لنا ان هذه المركزة جاءت حصيلة مسار سلسلة طويلة من عمليات التأسيس قبل ان تأخذ مظهر ما هو طبيعي بديهي))[3].

3- مركزة القضاء واخضاع الأخرين لقرارات الحاكم المركزي (الواحد) وسلطته.

4- مركزة القوة والسطوة والهيمنة؛ لفرض نمط حياته على الأخرين في الكوكب الصغير، من خلال اصدار قوانين التدخل في شؤون الدول الأخرى[4] حتى أصبح رجال الدولة هم القضاة والقادة العسكريون في آن معاً[5].

يخلص بورديو من هذه الألية (العولمية) الى القول: ان اخطر أشكال الرأسمال الرمزي هو مركزيته العالمية الماثلة بالعولمة[6]. بهذه الكيفية ينطلق بورديو من الفلسفة الى التطبيق وصولاً الى فلسفة الفعل في عالمنا المعاصر في اطار هذا الفهم (للتمركز الرأسمالي) وآثاره الكونية مما يوجب دوراً جديداً[7] على الفلسفة لتحرير

---

(1) بيار بوردو: اسباب عملية؟ اعادة النظر بالفلسفة تعريب انور مغيث (الدار الجماهيرية) سرت 1425م/ 2000م. ص 8-9.
(2) أيضا ص 9.
(3) أيضا ص 9.
(4) أيضا ص 9-10.
(5) أيضا ص 10-11.
(6) أيضا ص 13.
(7) أيضا ص 16-17 و21-285.

الناس من الخوف وهو الدور الخطير الذي ينتظر المثقفين اليوم لمواجهة ديكتاتورية الليبراليين الجدد[1].

(و) ويتحدث (ديفيد هوكس) عن الصنمية العملية[2] بعد أن وجد أن عقلانية التنوير في الممارسة - الخاطئة - قد هيئت ذريعة لجميع أنواع السيطرة والأستغلال بأعلان ((سيادة الحائزين الأوربيين للعقل على السكان البدائيين للعالم غير المتطور)) (المتخلف/النامي/الجنوبي) على هذه الأسس وضعت ((أخلاقيات العمل البروتستانتية حسب ماكس فيبر[3] ولتأجيج الخوف)) والخوف المضاد ينقل لنا (هوكس) رأي فرويد في قوله: ((باب ما يخافه المتوحشون)) هو الخوف نفسه (الخوف المتموضع) الذي أسقطوه على موضوع مغاير (الأخر)[4] تلك هي خلاصة حكاية (شيطان على الصليب) تقال في مقابل نقد عقلاني للأمبريالية الأقتصادية في معرض الحديث عن (قوى الشر ـ الميتافيزيقية) التي تتموضع قرب (مأدبة الشيطان) المقامة من قبل (ابليس ملك الجحيم) نيابة عن (منظمة السرقة والسطو الحديثين)، بما يكشف عن حقيقة التضليل الذي يجري تسويقه ضد عالم الجنوب، وبما يبهج العالم المتمدن[5]. اذاً نحن نعيش في (فانتازيا خرافية) مفارقة للواقع، هكذا جرت حكاية (زيزك والصنمية العملية) حين اصبحت ((الذات الفردية - المهيمنة - بدلاً عن لوحة التاريخ العالمي الرحبة هي البؤرة المعبرة عن الممارسة السياسية المعاصرة)) مادام الشعار الاثير ((نمضي متجاوزين)) نحو غاياتنا خارج الارادة الدولية ليصل بنا الى اخلاقية الربا والسحت الحرام لا من اجل ((مواجهة اتباع زاباتا))[6] بل من اجل اقامة ((مملكة سليمان الجديدة)) على اشلاء ملايين الضحايا!

(ز) وهي ذات المعضلات التي دفعت بهبرماس الى طرح سؤاله الجوهري: ((هل نتعلم من الكوارث)) ؟ في معرض بحثه في ازمة دولة الرخاء و دورها في

---

(1) وهو حديث لبورديو متلفز مع غونتر غراس بث يوم 1999/12/5 من الفضائية الاوروبية.

(2) ديفيد هوكس: الايديولوجية تر/ ابراهيم فتحي (المشروع القومي للترجمة) ت 159 القاهرة 2000 ص 142.

(3) أيضا ص 15-116.

(4) أيضا ص 117.

(5) أيضا ص 119.

(6) أيضا ص 142 و145 و151.

استهلاك الطاقات الطوباوية[1]. ولكن - حسب الخطاب الاعلامي - ((تخرج السلطة السياسية من بنيان الرأي العام وتسري عبر التشريع والادارة مخترقة جهاز الدولة. (ثم) تعود راجعة الى الجمهور مزدوج الرأس))[2]. والاشكالية التي تسبب الخوف - ويحذر منها هبرماس - حسب (غرامشي) هي تقاطع الحلبات الثلاث (النخب، والعاملين والقوى الخفية) لتدفع سلوك السلطة نحو غايات يقررون بها (الاسئلة السياسية) لفرض ((هيمنة حضارية)). وهذا يعني ((الدفاع عن حضارات داخلية وان جاءت جل هذه الصراعات لتبقى مخفية الى ان ترتقي الى اعلى مرتبة))[3]. ولاسيما بعد ان شطب على (المجتمع) كناتج عرضي لحقبة مابعد الحداثة[4].

اما مصير الدولة القومية في ايامنا هذه فالمتوقع ((ان السياسة القومية ستتقلص في المستقبل لتصبح ادارة ذكية الى حد ما لتكيف مفروض تبعاً لاوامر (ضمان الموقع) يبعد عن الجدالات السياسية اخر ماتبقى فيها من جوهر، وينعكس على امركة الحملات الانتخابية المشكو منها مأزقاً يبدو انه لايسمح بأية وجهات نظر متسقة))[5] اومعقولة.

(ح) نخلص من ذلك الى القول ان عموم الشهادات الفلسفية المحايدة لرجال (مدرسة فرانكفورت) وغيرهم جاءت من خوفها على الانسان في الشمال المرفه اولاً وعلى كرتنا الارضية ثانياً لذلك لم يجد ادورنو من سبيل امام الانسان المغلوب على امره وهو محاصر بأشكال الخوف والعنف والارهاب من كل مكان الا (الفن المبدع) فهو وحده يحررالانسان من جميع اشكال العبودية والتسلط، عبودية الحاجة وتسلطها، ليكشف عن المواجهة الشمولية المعاصرة بين هيمنة (الكلي) وتلاشي حرية الفرد مما يمنح الفن فرصة انقاذ الانسان بعد فشل العلم والتقنية والدولة والمؤسسات من تحقيق هذا الهدف النبيل. فبالفن وحده يمتلك الانسان فرصة

---

(1) يورغن هبرماس: الحداثة وخطابها السياسي تر/ جورج تامر مراجعة جورج كتورة ط1 دار النهار بيروت 2002 ص 73-97.
(2) أيضا ص 114.
(3) أيضا ص 115.
(4) أيضا ص 122.
(5) أيضا ص 124.

التعبير الحرة[1]. مذكراً بغربة الانسان واغترابه التي سبق وشكا منها هيجل وماركس ونيتشه وغيرهم ومن تبعهم من تلامذة في القرن العشرين بعد ان هالهم نزوع الحضارة الغربية المعاصرة نحو القمع والتسلط والالغاء (عناصر التخويف). وبعد ان خاب امله بالعلم الذي حوله الى عبد (للطبيعة والالة). نعم فالانسان عند ادورنو عبد خاضع لسلطات مختلفة سلبته حريته بسبب اجتماع (القمع والبيروقراطية والتسلط والنزعة الاستهلاكية والاجراءات الشمولية)[2]. التي سخرت لتشييء الانسان مما يتطلب ادانة جماعية لنظام يظهر من خلال مؤسسات عقلانية تبدد فيه المصادر الانسانية[3] وتحول بسببها الفرد الانساني الى مجرد موضوع للتبادل السلعي بين ايدي الاحتكارات واشكال التنظيم الاجتماعي للدولة كما ان ((امكانية الفرد على ادراك القمع تمحى تحت تأثير الحصار المضروب حول وعيه)) مادام (وعي القمع) يعتمد على المعرفة والمعرفة مرصودة فالانسان اذاً محاصر بأجهزة الاعلام والتربية[4]، امعاناً بتجهيله. ويعزو ذلك الى النزعة الاستهلاكية التي تصادر فردانية الفرد وتحوله الى تابع لاعلان السوق ودعايته المبهرة. حقاً ان اقتصاد السوق البرجوازي ينطوي على بذرة بربرية تهدد انسانية الانسان[5]. هكذا جرى تدجين الانسان وتقنينه لصالح (مرجعيات وسلطات كبرى في عالم السوق والسياسة والاقتصاد)[6]، بعد ان فشل العقل التنويري في تحرير الانسان من (الجمود والحتمية والتسلط)، (فشل في تحرير الانسان من الخوف)[7]، مما يعني انه يعيش عصر العبودية الجديدة. لقد جاء كتاب (هوركهايمر وادورنو)؛ (جدل التنوير) اصلاً لتحرير الانسان من خطر التدجين والعبودية الجديدة، التي نشأت في المجتمع الصناعي الرأسمالي الغربي وحربها الشاملة ضد الانسان واعتمادها لغريزة (البربرية) التي لاحد لها، غريزة التحمس للموت (القتل)

---

(1) النص اورده من مصادره، الباحث/ رمضان بسطاويسي في بحثه الموسوم: الاسس الفلسفية لنظرية ادورنو الجمالية منشور في اوراق فلسفية ع7 ج/ 2 القاهرة 2002 ص 225.

(2) أيضا ص 233.

(3) أيضا ص 234.

(4) أيضا ص 235.

(5) أيضا ص 236-237.

(6) أيضا ص 238.

(7) أيضا ص 238-239.

والتدمير، انه سلوك لا عقلاني مرعب يهدد الانسانية. نعم انه سلوك الدول ضـد الافـراد والشعوب من خلال الحروب المجنونة، انها العبودية الجديدة، عبودية السيطرة على الانسـان والطبيعة انها حروب تدمير الانسـان وعظمتـه[1]. ومـثلما وجـدنا هبرمـاس يحـث عـلى انقـاذ الحقائق النسبية من ركام الغايات الزائفة للسلطات المستبدة كذلك بنا حاجة ماسة (لتحريـر الانسان من الخوف)[2] ولعل (الفن) يفتح امامه(عالم الامل) لتحريره من (عالم الالم) المستولد من قلب المأساة[3]. في ظل الرأسمالية الجديـدة وجـد هبرمـاس تراجـع حريـة الافـراد بسـبب تدخل الدولة الرأسـمالية بـدواعي الازمـات الاقتصـادية العالميـة حتـى زاد تـدخلها في شـؤون الافراد الداخلية وتخويفهم والتنصت على هواتفهم ومراقبة حياتهم الداخلية وصولاً الى غرف نومهم وبريدهم كـما هـيمن الاعـلام والدعايـة والاعـلان عـلى حيـاة النـاس بهـدف التلاعـب بـالعقول والامزجـة بعـد ان اقتصرـ نشـاط الانسـان عـلى التصـويت والتصـفير والتهليـل![4] اوالمقاطعة والصمت. لقـد تعـرض الانسان الـى غسيـل دماغ (اعلامي / سـايكولوجي) غلبـت بفضله؛ البيروقراطية السلطوية واحتكار الحقيقة على (حقهم في اكتشاف الحقيقة ومعرفتهـا) وتحول الناس الى قطيع يساس بمكـر، مـما لا مخـرج منـه بغـير الحـوار والتفـاهم والعقلانيـة النقدية[5] وهي حقيقة مرة حذر من مخاطرها الامين العام للامم المتحـدة كـوفي عنـان[6]، في مؤتمر دافوس في سويسرا مطلع عام 2004.

---

(1) أيضا ص 228.

(2) أيضا ص 248.

(3) أيضا ص 244.

(4) اشرف منصور: مدرسة فرانكفورت مجلة اوراق فلسفية ع/ 7 ج/ 2 ص 260.

(5) أيضا ص 261-262.

(6) كوفي عنان: على هامش مؤتمر دافوس: قانون الغاب يهدد النظام العالمي الجديد. الترجمة العربية منشورة يوم السبت 2004/1/24 ع1718 في جريدة الزمان الدولية بغداد وهـو يحـذر مـن مخـاطر التفـاوت ومشـكلات الارهاب والحرب على الارهاب ويحث مدراء الشركات الكبرى الى التـدخل للضـغط عـلى السياسـيين لاصـلاح المعادلة والا سيكون الصراع دمويا مؤلما على صعيد العالم.

2-العولمة الاحتكارية وجدلية الخوف (بربرية جديدة):

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والولايات المتحدة تشتغل على وراثة الدول الاوربية (الاستعمارية) وتقصي دورها العالمي في القارات الجنوبية (افريقيا، اسيا، امريكا اللاتينية) وتعمل في الوقت نفسه على تطبيق سياسة (الحد من سيادة الدول الاخرى) مستخدمة الوسائل الاقتصادية والعسكرية لمد نفوذها بأسم المثل الديمقراطية ومساعدة الشعوب المظلومة والتبشير بالحرية والليبرالية.

أ- فلقد حرص (ترومان) على جعل امريكا الدولة الاقوى في العالم لكي يكون ((لديها الحق بموجب هذه القوة بأن تتولى ادارة تنظيم العالم)) وجميع النظريات اللاحقة من ايزنهاور الى نكسن فكارتر اكدت على رسالة (امركة العالم)[1] واستكملت هذه الوراثة بعد حرب 1956 فيما يتعلق بشرق القناة وبهذه الكيفية استبدلت امريكا (المركزية الاوربية= الاوربة) با(المركزية الامريكية) في السياسة والاقتصاد والثقافة والاعلام جرى ذلك في سياق التمييز بين عالمين (بربري وحشي) و(مدني/متحضر)[2] وفي هذا التوجه عدت (اسرائيل: آخر محطة حضارية مطلة على عالم الهمجية) تجد الدعم والاسناد من الولايات المتحدة.

ب- وتعزز اتجاه التدخل الامريكي في شؤون سيادة الاخرين وارهابهم لاحقاً حتى وجدنا الرئيس (ريغان) يقول ان امريكا ((تمتلك مشروعية اعمالها التي تحد من سيادة دول في منطقة النفوذ الامريكي وبعض الدول الاخرى تقع خارج هذه المنطقة))[3]. والذريعة الجاهزة هي ان المثل ((الامريكي للديمقراطية هو منتوج للتصدير العالمي وان كل تعطيل لنشره بأسم السيادة الوطنية يثير ضراراً على الاقتصاد العالمي ويشكل خطراً على السلم))[4] الى جانب ذريعة حماية الاثنية في البلدان الاخرى حسب كيسنجر وللحيلولة دون وقوع الاغنياء رهائن للفقراء لابد ان

---

(1) النصوص الاصلية للاحاديث وردت في باسيل يوسف: أثر النظرية الامريكية للسيادة المحدودة على العولمة ونظام واليات منظمة التجارة العالمية ضمن ملف بحوث ندوة بغداد العالمية (ج/ 5) بيت الحكمة بغداد 2002 ص 175.

(2) أيضا 176/5.

(3) أيضا 174/5.

(4) أيضا 177/5.

يتلاشى مفهوم ((سيادة الدول التـي تحمـل تهديـداً عـلى سـلامة المـواطنين الامريكـان)) ويكفي ان تكون (حقوق الانسان) حسب الـرئيس كـارتر (والارهـاب) حسـب ريغـان وبـوش سبباً كافياً لتخطي مفهوم السيادة الوطنيـة للارهـابين او الـديكتاتوريين فالارهـاب ومخـاطره على امريكا هو المبرر القانوني الجديد لاعلان الحرب على الارهابيين[1].

ج- في ظل حقبة القطبية الواحدية والنظام العالمي الجديد واسـتفراد الولايـات المتحـدة بالقرارات الدولية تحت دعاوي الشراكة في مواجهة (الخطر) تصاعدت موجة (الانتقاص) مـن سيادة الاخرين وتهديد (الامن والاطمئنان) لدى شعوب كثيرة، وصولاً بها الى احـداث الحـادي عشر من ايلول عام 2001 في امريكا لتشن الحروب بأسم مكافحة الارهاب[2] فيما بعد! بهـذه الكيفية عصف اعصار العولمة الاحتكارية بسيادة الـدول القوميـة لصعوبة امكانيـة الصـمود امامه او مواجهته ولهول القـوة التي تسـخرها العولمـة وامريكـا -حسـب الامـين العـام كـوفي عنان- في حربها على الارهاب[3]، من غير ان تتردد امريكا لتحقيق هذا الهدف في التعـاون مـع المافيـات الدوليـة التـي اصـبحت تعمـل في خدمـة المشرـوع المعـولم، عـبر نشـاطات اجراميـة مفضوحـة المخاطر[4]. ان عولمـة الاقتصاد هو الظـاهرة الارهابيــة الاولى، لانهـا تـنعكس عـلى حقوق الانسان الاساسية التي اختلت بموجب حالـة **10%** تسـتغل **90%** مـن الـثروات، تاركـة **10%** منها لـ**90%** منهم، قبل ان تستكمل حركة رياح حرية السـوق واقتصـاده حلقاتهـا مـن خلال (الخصخصة)[5]، لتجهض على بقايا هيبة الدول النامية.

---

(1) أيضا 5/ 177-178.

(2) أيضا 5/ 179.

(3) أيضا 179/5، حسب تصريح الامين العام للامم المتحدة (سنة 1999).

(4) التقرير السنوي لجريدة اللوموند- دبلوماتيـك بـاريس 2001 ترجمـة واعـداد نـادرة سـلامة (الجـرائم الكـبرى للعولمة) المشعل ع 112 لسنة 2001 ص 30-34.

(5) علي حسين الجابري: الشمال والجنـوب في ظـل العولمـة حـوار ام صراع الخصخصـة واثارهـا الاجتماعيـة ملـف المائدة المستديرة لجامعة ناصر الاممية الدورة (12) طرابلس 2002 ص 1-26 (العدد 15).

كما كتب عبد الهادي مرهون (البحرين) عن امريكا اللتينية وخصخصة الاسواق: جريدة الزمـان عـدد 1725 في 2004/2/7.

د- لقد وصلت الحرب على (امن الشعوب وطمأنينتها)[1]، وتسخير(الخوف) لتحقيق الاهداف ذروتها، مع تصاعد وتائر الدعوة (لارهاب الدول)او دولة الارهاب، من خلال التشريع (الخاص بامريكا) بحقها في التدخل بشؤون الدول الاخرى وتسخير اتفاقات الجات والتربز (Trips) وتيرمز(Trims) بما يخدم فكرة الهيمنة (الامركة)[2] ومصادرة حق الشعوب في تقرير مصيرها والعمل خارج الارادة الدولية، وسرقة العقول واصدار تشريعات[3] امريكية للحد من سيادة الدول الاخرى، (ضد ليبيا، وايران، وسوريا، والعراق، والسودان، وكوريا الشمالية...وو الخ).

3-الخطاب العربي الثقافي / الاعلامي بين (الخوف والشر المحض):

ان ما انتهى اليه واحد من المفكرين العرب القريبين من الساحة الثقافية الغربية، يلخص حقيقة الواقع العالمي الذي يهدد امن الانسان العربي وامان الدول والشعوب كافة، ويهدد وجودها وهويتها وارادتها الشعبية، ويكشف المآل الذي انتهت اليه الفلسفات الغربية /الشمالية المعروفة، من(مأزق) سياسة(امركة العالم) بعده المصطلح الذي ينطبق على واقع الحال في زماننا هذا.

الامركة التي يراد بها طبع العالم (ناقصاً الولايات المتحدة الامريكية)، بطابع الحياة الامريكية اعتماداً على المنطق المرآوي الذي يداعب الاحاسيس والغرائز، ويحّول ملايين البشر الى كائنات استهلاكية للبضائع والسلع والخدمات والفكر، المسوق عبر وسائل الاعلام المرئي والمسموع والمقروء (الاعلام المبهر) والحسي. ان اعلاماً مرآوياً (تنعكس عليه صورة الاخر) موضوع على اساس سايكولوجي، يتسلل عبر انفاق -لاشعورية- الى وعي الناس. انه عصر الادمانات المسّوقة بدهاء وحذق من خلال سلسلة من التقنيات والعلوم والحواسيب، وبما يخدم منطق الشر المحض[4] الذي يخضع الغالبية من الشعوب والدول الى (عبودية) لايمكن الخلاص منها بغير عمل مشترك لجميع المستهدفين في هذا المشروع العولمي! وبما يخدم

(1) عبد الستار كاظم الطائي: العولمة واثرها في نقل التكنولوجيا في الوطن العربي الملف- بيت الحكمة 5/ 78.

(2) سامي عطو: حماية الملكية الفكرية ونقل التكنولوجيا (الملف) 5/ 12. ويوسف: مصدر سابق 5/ 184-185.

(3) عصمت عبد المجيد بكر: حماية الملكية الفكرية ومنظمة التجارة العالمية ملف العولمة- بيت الحكمة مصدر سابق 5/ 189-208.

(4) مطاع صفدي: نقد الشر المحض: نظرية الاستبداد في عتبة الالفية الثالثة مركز الانماء القومي- بيروت 2001 ص 288-9.

حق الشعوب في خياراتها الانسانية.

ان تداعيات الاحداث للسنوات الاخيرة وصولاً الى يوم الناس هذا يعني ((ان الامركة... سواء استطاعت ان تحشر حدثها في اطار (التداعيات الفلسفية المعلقة بنهاية التاريخ أم لم تحشرهُ) هي اخطر ماينعطف نحوه اليوم الما يحدث العالمي انه تصفية التصفيات (تلك) التي لن تتأتى الدولة العالمية المنسجمة نتيجة لها.. بل سوف تأتي على انقاضها بالذات وعند بوابة عالم المستقبل نفسه كما لو كانت بدءاً من الصحاري العربية)) هذا منطق (نهاية التاريخ) الامريكي اما (التأريخ الاخر= تاريخنا وتاريخ الامم المنسية خارج التاريخ) الذي لانتحدث عن نهايته ((من صنع كل من يقدر على المشاركة في صنعه ونقش اسمه بحروف لغته الخاصة وجعله تاريخ بعض - مالم -يدون-بعد[1])).

اما حرب العولمة على العالم من خلال (عدو وهمي مصّنع اسمه الارهاب[2]) فهو اخطر ما توصل الى تصنيعه العقل الادهوقراطي في لحظة (الزيغ الزماني) لمحركات الشمال المرفه / القوي ضد الجنوب، الذي يشاركه العيش في القرية الكونية الصغيرة.

(1) أيضا ص 91 وص 213-287.

(2) تحدث عسكريون امريكيون [في امريكا والعراق] عن القوات الامريكية الخاصة بحرب الارهاب (راجع عن ذلك جريدة الزمان الدولية ع1725 يوم السبت المواق 2004/2/7) ص 1 حول مؤتمر خاص عقد يومي 5 6 شباط 2004].

خلاصة القول

ما هو وضع (العرب اليوم) وهم يعيشون بين خطابين، عن الخوف؟ فـاذا كانـت ذاكـرة التاريخ والعلوم السايكولوجية، وشهادات المفكرين المحايدين، تجمع على ان (الخوف) واحـد من الاسباب التي تلحق اذى بالافراد والشعوب والدول، وان وطننا العـربي قـد تعـرض لجبـال من (الانشطة الاعلامية والثقافية)، في خطاب موجه ومقنن بهدف اسقاط ثقة المواطن بنفسه وبامته وبسلطته ودولته؛ فكيف سنضمن امناً وطمأنينة؟ لملايين النساء والرجال والاطفال مـن ابناء العروبة وهم يعيشون اجواء الخوف اليومي في شتى صوره طوال عقود القرن العشرين؛ حتى دخلوا القرن الواحد والعشرين وهم مثقلون (بهول الارهاب) الذي لم يعرفوا غير صورته (الرسمية)، على هيئة اعلانات وبيانات تحذيرية موجهـة لهـذا الشـعب او ذاك مطلـوب منـه الاذعـان لارادة القـوي والتنـازل عـن كرامتـه الوطنيـة، بعـد حقـب متتابعـة مـن الاسـتعمار الكولونيـالي والامبريـالي ثـم السـوبر امبريـالي، فقـدنا خلالهـا الكثـير مـن الارواح والـثروات والطمأنينة. لم تنفع معه استغاثة العرب بالامم المتحدة ومجلس الامن والمنظمات الانسانية.

والمفارقة الغريبة في زماننا هذا تعثر الخطاب الاعلامي العربي ازاء الحالة المشوشـة بعـد ان جاء الارهاب في صورة انسان يسـتغيث مـن هـول العـدوان عليـه، وحجـم الخـوف الـذي يحاصره، وخوفاً عـلى وجـوده وحـاضره ومسـتقبله، بعـد ان بـدا (اعلاميـاً للغـربي/ الشـمالي): ارهابياً ناكراً لفضل دعاة المدنية (اليهو- مسيحية) مـما يسـتوجب الـردع والاسـكات! واعـلان الحرب العالمية الثالثة عليه باخطر الاسلحة.

هذا هو منطق (الخوف المصّنع) والخوف المضاد، انها جدلية (الخوف والخوف المضـاد) المنتج في الاقبية السرية التي يخشى اصحابها على مستقبل البشرية من مخاطر السلام! كانت حصة (العرب/المسلمين) والجنوبيين من ذلـك -حصـة الاسـد- لـذلك يتوجـب علـيهم (افـراداً وجماعـات وحكومـات) ان يثبتـوا حسـن سـلوكهم والا فهـم ارهـابيون، ارهـابيون يهـددون الانسانية ويبثون الخوف في قلوب الشماليين! ولاندري كيف، ولماذا، يجري بث رسائل اعلامية عربية مختلفة تحت اسماء (مصّنعة) لخدمة الهدف المعلن للاخر بطريقة خفيـة وبمـا يعـزز-الاعلام

المسـوق - لخدمـة الاهـداف الكونيـة عـن فكـرة (الخطـر) التـي تحـاصر المـواطن (الغربي/الامريكي) بطريقة (فنطازية!) مفتعلة.

اما الارهاب الذي تعّرض له مواطنو افغانستان، والسودان، والعـراق، وفلسـطين و.. فـلا صلة له باسباب الخوف ومحركاته الفطرية. فماذا يقصد من هذا (الخـوف) المصـنع والخطـر الجديد الذي حاصر الناخب الغربي / الامـريكي (اعلاميـاً) ويكـاد يفسـد عليـه سـاعات فرحـه وسعادته؟ وما هي طبيعة (الخطر الاخضر) او (الاسود) او (الاصفر) الذي ربمـا يسّـوق لاحقـاً عبر الاعلام الغربي والى ما شاء اللـه من الحقب؟ بعـد ان قطـع (الخطـر الشـيوعي الاحمـر) نصف قرن وهو يحـاصر اعلاميـاً دافـع الضرـائب وبعـد ان دفنـت (امـراض العولمـة) افريقيـا الوسطى والجنوبية في (قبـر جماعي من الايدز)، وبعـد حـروب الميـاه والطقـس والبيولوجيـا الاسيوية. فهل تحولت كثرة المسلمين، وثرواتهم، وسعة مساحة اقليمهم الجغـرافي الممتـد عـبر اسيا وافريقيا الى اوربا وغيرها الى عبء عليهم والى سبب لخـوف الاخـرين مـنهم؟ مـع انهـم يعيشون واقعا مخيفاً مفروضاً عليهم فرضاً، لا قوة لهم على دفعـه لانـه مـن صـنف (ارهـاب الدولة الاعظم)، الماسكة بمفاتيح (المال والاعلام والمعلوماتية) وقوة الاسـاطيل والعسـكر؟ اننـا نعيش خوفاً مركباً من ارهاب لايمكن التمييز فيه بين القاتل والمقتـول؛ اذا لم نقـل ان المقتـول بات يحمل هوية (القاتل) -اعلامياً- بعد ان تحول القاتل الحقيقي الى قـاضٍ يفصـل في قضـايا الارهاب وحقوق الانسان فأين هي الحقيقة ولماذا هذه الضبابية التي تلف الموقف الاعلامـي العربي جميعه ومن المستفيد منه والى متى سيبقى المواطن والاوطان عرضة لصدمات (ذاتيـة وموضوعية) بعد ان صدقنا كذب الكذابين ورحنـا نـردد مصـطلحاتهم وافكـارهم المصـنعة في اقبية مراكز البحوث المعادية التي حـاصرت حتـى عقولنـا فتركتهـا امـا مسـخرة او مهجـرة او مخدرة او مـدمرة ؟ مـع انهـا جـوهر الـثروات للشـعوب الى جانـب الاسـاءة لمقاصـد الاديـان والمبادئ والقيم والاخلاق بين الامم والشعوب في ظل العولمة.

الفصل السادس

الاعلام ومشكلات الشباب العراقي
دراسة في مخاطر ثقافة العنف
والفضائيات والمخدرات

المقدمة

الشـباب، في العـراق الجديـد، مشـكلة متراكمـة والفتـاة بـين الشـباب مشـكلة مركبـة، والانسان في هذا البلد اشكالية معقدة! تلك حقيقة لايختلف عليها عاقلان فكيف السـبيل الى حل هذه المشـكلات، التـي ارتقـت الى مسـتوى (اشـكالية)؟ ومـا هـو دور مراكـز الشـباب في معالجتها؟ وايـن نحـن مـن غيـاب (الخطـة التكامليـة) بـين وزارات التربيـة والتعلـيم العـالي، والشباب، والداخلية والمالية في تنفيذ [حملة وطنية لاعمار الشباب!] ولاسـيما الفتيـات فـأين نحن من الاجراءات العملية في تحويل برامجنا (العلمية) الى (العلمنة)، وخططنا (العقلانيـة / الثقافية) الى (العقلنة!) وشبابنا يعيش بين سندان الحياة المشوشة وحبل الامن المضطرب مـن جانب، ومطرقة ثقافة العنف والبث الفضائي الواقعي والمخدرات من جانب آخـر؟ تلـك هـي (ثيمة) هذه الدراسة المتواضعة فعسانا نوفق في معالجتها ومن اللـه التوفيق والسداد.

الباحث

بغداد في 2004

أولا

الشباب بين صعوبات الواقع والضغط الخارجي

من اظهر معطيات المرحلة الحالية (الضبابية) التي تلف أدوار الشباب مزدوجة بسبب (الوضع الاستثنائي/ والانتقالي) الذي عاشه ويعيشه الشباب من سلطة مركزية أحادية النظرة تورطت بسلسلة من الحروب وأوزارها! الى تعددية السلطة ولا مركزيتها التي تركت آثارا معقدة عاشها الشباب ولاسيما الإناث منهم ذهبت به من مركزية السياسة والأعلام والثقافة والتربية والفكر الى لامركزية في كل شئ تكاد نفقد ملامح حدودها بين المسؤولية واللامسؤولية والمجتمع ينتقل من (حياة عسكرة المجتمع والاقتصاد والتعليم) الى (واقع التسيب والاختلاف والتنوع والتعدد!) ومن واقع الاشتباك مع الاخرين وسؤ الظن بالغرباء والمغتربين واللاجئين والمهجرين الى خلل في التحالفات والجبهات والوسائل على الرغم من (وحدة الهدف!)؟

جميع ذلك أفقد الحياة السياسية والاجتماعية السابقة في منظور الشباب عنصر الاختلاف والتنوع في الرأي والحوار وذهب بالفرقاء مذاهب شتى وصلت حد التناقض بين (التنظير، والتطبيق) حتى كثر كلامنا وقل فعلنا عن العقل والعقلانية والعلم والعلمية والحرية والديمقراطية وحقوق الانسان وسلامة البيئة بخلاف ما انطوى عليه الحال الانتقالي من انفتاح مفرط للحدود على الاخر وعلى الحقوق لم نعهده من قبل. جميع هذه الملابسات ولدت مناخا ثقافيا وتربويا (عنيفا) يستسهل العنف ويغض الطرف عن التجاوز ويتراخى ازاء القاتل والسارق والمزور والمتجاوز على حرمة القانون.

1-المعضلة الشبابية تركة الماضي الثقيلة على الحاضر الانتقالي المشوش:

عانى الشباب العراقي (ذكورا واناثا) من ظروف الحروب القاسية والاقصاءات المتطرفة والحصارات الجائرة حتى خسر الوطن الملايين من شبابه في هذه الحروب[1] ناهيك عن محرقة (العقوبات) الجانبية التي ازهقت ارواح مئات

(1) قضى في الحرب العراقية الايرانية (حرب الخليج الاولى) وتعرض للاعاقة في حدود مليون شاب عراقي، حسب السجلات الرسمية للدوائر ذات العلاقة الى جانب الاسرى والمفقودين.

الالاف من البشر (بتهمة التقاعس او الهروب او التمرد على السلطة المركزية في ظل سيادة قانون الحرب)[1] كانت حصة المرأة فيها ليست قليلة.

هـذا الى جانب اكثر من مليون ضحية قضوا خلال سنوات الحصار (1990-2003) لنقص في الغذاء والدواء ومشكلات التنقل والاتصال مع العالم الخارجي الى جانب مشكلات الحياة الاخرى التي استمرت مع الوجود الاجنبي في العراق بعد عام 2003 وما يزال. انه نهر من الدماء لم ينقطع وبحيرة من الاحزان تتسع ومحيط من اليأس والقنوط يلف الجميع! كانت حصة الشباب فيه فوق طاقتهم حرموا فيه من الترفيه البرئ والفسحة الامنة لذلك تركت اثارها السلبية على الجميع! فكيف السبيل الى مواجهة هذه الاشكالية ولاسيما في دائرة الفتيات[2]؟ ان اخطر ما اثر على نفسيات الشباب وشخصياتهم ذلك التراكم الهائل من (ثقافة العنف)[3] التي وجدت فرصتها التهديمية في غياب السلطة يوم انهار كل شئ في العراق مع دخول الجيوش الاجنبية في نيسان 2003 حتى فقد الجميع السلام الداخلي والامن الاجتماعي وعاش خائفا، كل ذلك ترك فجوة في وعي الشباب مثلما تركت حالة التغيير العنيف ارتباكا في اداء المجتمع بسبب حالة الفوضى التي طبعت كل شئ ومسحت من الوجود دولة ومؤسسات وقوى وجبهات على الصعيدين (الذاتي) و(الموضوعي) الحق ضررا بالغا في العراق لم يقتصر على الجانب المادي والهيكلي انما تجاوزه الى الحصون الاخلاقية والتربوية والدينية التي عرف بها المجتمع العراقي ولاسيما في دائرة الشباب وبخاصة (الاناث). مما يتطلب مشروعا للاعمار يتعلق بالشباب للحفاظ على حسن اداء الشرائح الشبابية وحمايتها من الوقوع في مطبات خطيرة ومزالق كثيرة تحت وهج المظاهر البراقة

---

(1) خسر العراق، وعلى امتدد الأعوام (1980 – 2004) مئات الآلاف من ابنائه تحت شتى العناوين، نشرت جريدة الزمان في عددها 1768 يوم 2004/3/30، قوائم لأسماء أحد عشر ألفا و 137، فقط لمغدورين لم يسأل عنهم أحدا من ذويهم، قضوا خلال الإعدام 1982 – 1984 فقط. ناهيك عن ضحايا العنف والإنتفاض، بعد حرب الخليج الثانية عام 1991 التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية، وقوات التحالف، ضد العراق بعد دخوله الكويت.

(2) علي حسين الجابري: شهيدات العراق. ج/1 بغداد 1985 و ج/2 بغداد في 1988 و ج/3 بغداد في 1999 وج/4 بغدا د في 1999 غطت ما يقارت من ألف صفحة).

(3) د. قاسم حسين صالح: ثقافة العنف: حوار أجراه رزاق إبرايه حسن معه ونشره، في جريدة الزمان الدولية عدد 1758 بغداد في 2004/3/18.

ودعاوى الحرية المنفلتة والمغرية ولاسيما تلك التـي تـدفقت عـبر نهـر الاعـلام الفضـائي القادم من خارج المنظومة الاجتماعية والتربوية المألوفة في عالمنـا (العـربي/الاسـلامي/النـامي) لاتقف مخاطرها عند حدود (الشباب) بل تتعداهم الى الوطن الذي يتطلب هو الاخر عمليـة اعمار شامل لمنظومته القيمية وبنيته التحتية.

ان الثقافة التي ولدت في ظلها اجيال من الشباب وترعرعت طوال ربع قـرن لايمكـن ان تمحى بقرار سـياسي ولابوقـت قصـير هـذا ناهيـك عـن تواصـلها في الحقبـة الجديـدة بسـبب الظروف (الحربية) التي عايشـها المـواطن العراقـي منـذ اذار 2003 ومـا تـلاه. ان مثـل هـذه الثقافـة المسـتمرة والمعقـدة والمشـحونة باسـباب التـوجس والقلـق والترقـب وردود الافعـال والرفض كشفت عن توجهات لاادرية غير واثقة بحاضرها ومستقبلها على صعيد الشباب مـن الذكور فكيف سـيكون عليـه الحـال عـلى صـعيد الانـاث؟ هـذا اولا، وثانيـا كيـف سـيأتي اداء الشباب في العراق (الجديد) وقد رافق الضـغوط السـابقة دخـول الجيـوش الاجنبيـة للعـراق تحت دواعي التحرير! من غير ان يكون للدوافع الخفية حضور في هذه الحرب؟ وثالثا: دخول عامل جديد من المستجدات على اصل المشكلة الشبابية واعني به (البث الفضائي الواقعي)[1]. الذي جاء مثل وهج من ضـوء سـاطع اعشى العيـون الكليلـة لسـكان الكهـف العراقـي مـن الشباب حتى افقدهم القدرة على الابصار او تلمس طريقهم نحو الحياة الحـرة الكريمـة مـما يتطلب المزيد من التثقيف وبيان الحقائق امامهم كيلا يضلوا الطريق.

2-الشباب وسبل مواجهة العقبات الحيوية:

هذه المؤثرات الثلاثة لم تفرق بين فتى وفتاة هذا ما اكدته الدراسات الحديثة عـن هـذا الحال[2] فيما يتعلق بالفتيان فكيف سيكون عليه الامر مع الفتيات؟ ان الامـر يتطلـب اضـافة عامل رابع على عوامل التركة السابقة وثقافة العنف والبث الفضائي المصاحب لوجود الجـيش الاجنبي على ارض الوطن هو ان الفتاة لدينا تعاني من

---

(1) د. ياس حضير البياتي: سلطة الصورة وتصادم الثقافات. دراسـة عرضـتها جريـدة الزمـان الدوليـة في العـدد 1778 يـوم 2004/4/13.

(2) نشر العديد من الباحثين بحـوثهم حـول الواقـع الشـبابي وهـي حصـيلة النـدوة التـي عقـدها (مركـز الزمـان للدراسـات الاستراتيجية في مدينة البصرة حول الشباب ودورهم في بناء الدولة خلال الايام 18-19 شـباط 2004. يراجـع عـدد 1764 في 2004/3/25 ص 14) والاعداد السابقة عليه.

اشكالية (التصادم) بين (الاقوال والسلوك) او قـل بـين (القـيم الاجتماعيـة والثقافيـة والدينية) السائدة وصدمات الحرية والاستقلالية وشـيوع الثقافـات المغتربـة وقضـايا الجـنس التي اوحت بها وسائل الاعلام المصاحبة للظرف المتغير ولاسـيما الفضـائية منهـا بخاصـة تلـك التي تنقل نمط الحياة الغربية (المعولمة) الاستهلاكية و(ثورة الاعلان) المبهـر في قنـوات عالميـة (عربية-استعارت من الاجنبية) برامج تخلب اللباب وتـداعب الغرائـز وتطلـق العنـان لخيـال جامح لم تتوفر فيه المقدمات الثقافية التي تعينه على التوافق مع الجديد والغريـب والشـاذ! تركت الفتى والفتاة يعيشان في مناخ قيمي آخر من المـؤثرات عـلى الـرغم مـن الفـراغ الـذي يشكوان منـه[1] وهـو امـر سـيقود الى خلـل في الاداء يتطلـب المزيـد مـن العنايـة بالشر يحة الشبابية ولاسيما الفتيات كيلا يساء لهن بسبب استغلال البعض لمفهوم الحرية السائبة الانف او تلك التي ترسلها الفضائيات لتداعب بها خيـالهن وغرائـزهن! بتـأثير انمـاط حيويـة لاتمـت للمجتمع بصلة قد تقود الى مواقف هي بالضد من دوافعنا الانسانية قد يـترك الـبعض مـنهن (صيدا سهلا) لذوي العقليات التي لاتؤمن اصلا بالمضمون الاجتماعي لمفهوم التغـير بقـدر مـا يعد (المال والثروة والتملك والجاه) هو المعيار لكل شئ فكيف بـه اذا كـان مـالا (حوسـميا)؟ عند ذاك تفقد الفتاة عناصر اعتزازها بشخصيتها وكرامتها-من غـير ان تـدري- عنـدما تتحـول الى شئ يباع ويشترى خارج إنسانية الإنسان الحر هكذا تبدو لنا صورة الفتاة اليـوم محـاصرة بظروف موضوعية تضغط على كينونتها ووجودها الفردي ومستقبلها.

فالفتاة بعض من أسرة ومجتمع محلي وقرابة اجتماعيـة ذات قـيم ومفـاهيم وعلاقـات يجب ان تحضر أمامها في كل حين، حتى وهي في الجامعة او المؤسسة الخدمية والانتاجيـة او في الرحلات الترفيهية والإجازات الترويحية لا تنفصل عن مشكلات هذه المرجعيات الاجتماعية والتربوية والرسمية والعلمية مما لا نتصور معه إصلاح لظروفها (الفتاة) من غير إصلاح هـذه القوى والمكونات لذلك نجدها تعاني من:-

(1) تراجع دراسة انجزها د. علي حسين الجابري وجماعة من الباحثين في علم الـنفس وعلـم الاجـتماع تحـت عنـوان دراسـة المشـكلات الطلابيـة في كليـة الاداب/ السـليمانية. ملحـق مجلـة زانكـو السـليمانية 1979 ص 2-104. ولا سـيما الثقافـة الجنسية والاجتماعية للطلبة تقارن مع واقعهم الحالي بعد ربع قرن من الاولى.

أ- بيت، لها، محافظ، يحرص على سلامتها من كل خطر أو انحراف أو استغلال.

ب- شارع، مضطرب، مشوش، غير آمن، لا يرحم، يضم من هب ودب.

ج- ثقافة خاصة (تربوية، وعلمية وفكرية) تصدم فيها أو تتصارع معها [قيم، مظاهر، أعراف، تصرفات، ممارسات] مختلفة قد تؤول الى تصادم مؤذ لو لم نتحوط (قدر الإمكان) لمواقع أقدامنا.

د- أعلام، فضائي، منفلت، يداعب الغرائز، ويعرض الوجه الآخر من الحرية والعلاقات الشبابية، والأسر المفككة، والظواهر السلبية التي هي نتاج واقع حضاري، غير الواقع الذي تنتمي أليه ولا الثقافة الدينية والاجتماعية التي نشأت عليها قد يقود الى تصادم مع (قيم الأسرة) إذا لم تحكم السيطرة عليه.

هـ- واقع اقتصادي تغيرت فيه، ثوابت الافراد والجماعات، وتسلقت فيه، شرائح، أو انتكست، لاسباب كثيرة، اخطرها تلك التي نشأت عن سبل غير مشروعة، خلقت فجوة بين ملايين الاسر والعوائل، والشباب، والفتيات مما يصعب معه تقليدالاقران او محاكاتهم فكيف السبيل الى التوازن بين هذه العوامل الضاغطة على الذات الشبابية (ولاسيما الانثوية)؟ من هنا يبدأ دور مراكز الشباب.

ثانيا:

مراكز الشباب وادوارها الثقافية المنشودة

1- ابعاد البناء المنشود للشباب في المرحلة الانتقالية:-

في مثل هذه الاجواء للمشكلات المتراكمة والآنية كيف يكون عمل مراكز الشباب في المحلات الشعبية والمناطق المختلفة في (المدن والقصبات)؟ لكي تأتي برامجها ونشاطاتها (عونا يخفف ومكانا يحقق التكيف والموائمة) بين الشباب وحياتهم العلمية والاجتماعية والعملية والترويحية؟ وما هي الفرص التي تحقق التوازن [بين المنطلقات الفكرية المتنوعة ومحيطنا الاجتماعي وأهدافنا الإنسانية كأفراد] في مجتمع يفتش عن ثوابته ومؤسساته؟ لبلوغ مستوى من التناغم والتوافق بين الحاجات والدوافع والوسائل والأهداف. تجري على سبيل الحوار والتفاعل والتفوق والتقدم على قواعد من الاعتراف بالنجاح للأفضل والأحسن والأكثر اتزانا وعقلانية وعلمية وموضوعية وثقة بالنفس والجماعة والمستقبل والوطن! ان الخطط، والبرامج، والمشاريع، المتنوعة للشباب ومراكزهم ولاسيما تلك التي يتطلب منها استقطابا للفتيات في المناطق والمحلات والمدارس والجامعات ملحة وضرورية وبخاصة الثقافية منها والمنفتحة والشفافة والترفيهية البريئة كما نتصورها على وفق اجتهاد عقلاني تقول:

(اولا) ان بنا حاجة الى ترويح برئ، وهادف، يسد فراغ الشباب يقوم على اسس واقعية تتوافق وظروف كل محلة ومستواها الحضاري وواقعها الاجتماعي وقدرتها الاقتصادية.

(ثانيا) وان بالشباب حاجات الى برامج متنوعة مقرؤة ومسموعة ومرئية ذات ابعاد اربعة:-

البعد الاول: حملة تثقيفية لاقتلاع الافكار المتخلفة والعادات السلبية والممارسات المنحرفة... لبلوغ المستوى المنشود من الوعي الشبابي الذي يعترف بحق الاختلاف والتنوع في الرأي والقناعة، والمتحرر من التقليد الاعمى والببغاوي للنصوص والاراء الايديولوجية!

البعد الثاني: غرس البدائل الايجابية في ثقافات الشباب عن اهمية الانسان وحقه في ثمار الوطن وعدم احتكار (الحقائق) وتنوع مصادر المعرفة واختلاف ممرات الحقيقة والتحلي بروح المحبة وحسن الظن بالمختلفين معنا من ابناء الوطن جميع ذلك يجري على اساس الابداع والتنافس الشريف من اجل الافضل والاحسن والتعبير عن العقلية الجديدة التي تؤمن بـ:

أ- القول بنسبية الحقائق وتجاوزها لمنطق الاحتكار والانغلاق والاثرة! وجعل سلوكنا متوافقا مع اقوالنا ومبادئنا.

ب- الانفتاح المتوازن على فئات المجتمع كافة واجياله مع اطار من الحرية المسؤولة في تبادل الرأي والخبرة والمنفعة خارج منطق الاقصاء والوصاية او الاستهانه بالاخرين او التعالي عليهم على وفق القاعدة القائلة ((من اراد ان يكون رأيه محترما فعليه ان يحترم رأي الاخرين)) وبحسب مقولة السيد المسيح (عليه السلام) ((افعل للناس ما تحب ان يفعلونه لك ولاتفعل بهم مالاتحب ان يفعلونه بك)) لكي تكون بحق مثل (ملح الطعام)[1] لوطنك وناسك.

البعد الثالث: تأكيد المرجعية الاولى للشباب جميعا واعني بها (الوطن) وحسن المواطنة فالعراق هو عنوان للجميع قبل ان يكونوا من هذه الامة او تلك او من هذا الدين او ذاك او من هذا المذهب او ذاك او من هذه الطبقة او تلك او من هذه العشيرة او تلك؟ ((فالدين لله والوطن للجميع))[2] فلا تفلح الجهود في بناء (الشباب) والوطن الابالاعتماد على اداء الاخرين وحسن الظن بالجميع وجعل (السلوك) والعمل هو اساس تقييم الافراد وقدرتهم على الابداع والتقدم خارج الخطب والمزايدات اللفظية. ان بنا حاجة الى العمل، والى العمل والى العلم والى

(1) محمود البريكان: فساد الملح، مقال افتتاحي لمجلة الفكر الحي البصرية العدد 2 السنة 1969 البصرة ص 3 بورد قول السيد المسيح (عليه السلام) ((ان فسد الملح فبماذا يملح)).

(2) تلك مقولة معروفة عن الملك فيصل الاول، رددها في خطبه ورسائله خلال الحرب العالمية الاولى. وبعد قيام الدولة العربية في الشام والحكم الوطني في العراق- تراجع في:

علي حسين الجابري: لسفة التاريخ في الفكر العربي/ ق/ 1 بغداد 1993 ص 316 نقلا عن، ذوقيان قرطوط. المشرق العربي في مواجهة الاستعمار. القاهرة 1977 ص 25 و26.

الاخلاق والى السلوك ! بغض النظر عن جنس المواطن ولونه ودينه وقوميته مادام يحمل هويته العراقية.

البعد الربع: العقلانية النقدية والموضوعية العلمية والتجرد عن (الحساسيات والاحكام المسبقة) هي المدخل لتحرير عقلياتنا من التعصب الاعمى والجاهلية المنغلقة أو احتكار الحقيقة فالانسان حاجة، ودهشة، ورهبة، وعلينا ان نميز بين دواعيها بالعلم والعقل والايمان ! ولكن بالكيفية التي يعتقد الشاب انها الاكثر تعبيرا عن قناعته ووعيه فبالعقلانية النقدية نكشف عيوب الواقع ونسمو عليه ونستشرف افاق المستقبل ونحسب الخطوات التي بها نرتقي ونتقدم حضاريا وبواسطتها نخرج عن (قيودنا) ونطلق طاقاتنا ونسخر قدراتنا العلمية والذاتية من غير ان نفكر بالقفز على الواقع او حرق المراحل؟ فكيف يمكننا تفعيل هذه الابعاد في خططنا ونحن نعيد تأهيل شبابنا في المرحلة الحالية والمستقبل القريب ولاسيما الفتيات منهم؟

2- الفتيات والتحدي الاخطر:

على تنوع التحديات التي تواجه الشباب اليوم ثمة عامل اخطر بين جميع هذه التحديات يواجه الفتيات واعني به الاعلام الفضائي المعولم او (الواقعي)؟ فبعد ان وجدت ملايين الفتيات انفسهن ازاء (عصف اعلامي فضائي) مبهر وبراق يسلب الالباب بعد قطيعة عاشتها الفتاة العراقية بسبب ظروف الحصار ونواتج الحروب المجنونة كانت صدمتها (الفجائية) مثل صدمة (رواد كهف افلاطون)[1] وهم يواجهون اشعة الشمس القوية لاول مرة ولاسيما ان الخطاب الاعلامي الفضائي الذي نتحدث عنه جاء مسلحا بلغة تحث على الاستهلاك في كل شئ والتقليد والمحاكاة والانفعال بالاخر في السلوك والعلاقات والقيم الغربية. واجهت الفتاة ذلك من غير تهيئة مسبقة او اعداد نفسي وتربوي يمكنها من مجاراته ومحاورته وامتصاص انعكاساته قدر الامكان. هذه المعضلة وحدها تتطلب اهتماما خاصا من المعنيين بالشأن الشبابي بعامة والنسوي بخاصة ولاسيما ضمن انشطة مراكز الشباب القريبة من هذه الشريحة.

(1) تحدث أفلاطون عن ذلك في مفتتح المقالة السابعة من الجمهورية (طبعات عديدة) اعتمدنا هنا ترجمة ودراسة فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1974 ص 432-436.

نعم يتطلب الامر جملة برامج ثقافية وتربوية جادة تعين الشابة في هذه الفترة على:

1- الخروج من ثقافة (الاستهلاك والتقليد) التي يضخها الاعلام الفضائي الواقعي (المقلد لمناشئ غربية) في رسائل تنطوي على اهداف خفية والتأكيد على مخاطر هـذه الرسـائل التـي تنطوي على (ثقافة التحلـل) و(العنـف) والابتـذال والتمايـز الاجتماعـي والاسـتعلاء الطبقـي. وضرورة الخروج منها الى حيث الحوار العقلاني والوعي الجـاد بالحريـة المنضـبطة والشـفافية والاختلاف والثقة بالنفس.

2- التذكير بصـلابة فتياتنـا وقـوة شخصـياتهن فلـولا تلـك الحقيقـة لمـا صـمدت المـرأة العراقية طوال عقود من الحروب والمآسي والالام التي تركتها وحيدة تواجـه مشـكلات الحيـاة ومســؤولية التربيــة وادارة شــؤون الاسرة بعــد ان اخــذ الرجــال الى الجبهــات والحــروب والمعسكرات، او السجون والمنافي، فليس الفتاة زجاجا قابلا للتهشم! من الصدمة الاولى، مادام المعيار الواقعي لمتانة الشخصية العراقية وقوتها قد كشف ويكشف لنـا عـن جـوهر الانسـان [وليس ثروته او مقدار قربه او بعده عن مركز السلطة والقرار!] فالحقـائق العمليـة كشـفت للباحثين ان وطأة المعاناة للمرأة العراقيـة كانـت في الظـروف القاسـية اكـثر وقعـا منهـا عـلى الرجال، مما جعل من فتياتنا (الرقيقات) مثل بلورات الماس او الكرستال او القـوارير الاصـلية، صلبة البناء متماسكة على الرغم من زجاجية التكوين، فكن الاقوى على الصـدمات. هـذا هـو المدخل النفسي والتربوي والثقافي لهن لالتحصينهن من سـيل الاعـلام الخـادع! الـذي يـداعب الغرائز فحسب بل وكذلك لتأكيد فـاعليتهن وقـدرتهن عـلى تحمـل المسـؤوليات[1] فـالمطلوب انشطة ثقافية متنوعة لمراكز الشباب ولوسائل الاعلام المتنوعة والمؤسسات ذات العلاقة؛ تعزز ثقة المرأة بنفسها وبمجتمعها ومسـتقبلها وبمؤسسـاتها وبوطنهـا بعـد ان اهتـزت هـذه الثقـة خلال حرب الخليج الثالثة والغزو الامريكي للعراق عام 2003.

---

(1) بالامكان الوقوف على امثلة من هذه الشخصيات، في تقارير ولقاءات منشورة، على صفحات الصحف العراقية، ولا سـيما صحيفة الزمان الدولية العـدد 1764 في 2004/3/25. حـوار بقلـم ليـث الصـندوق مـع نـازك الاعرجـي وعاليـة ممـدوح ولطيفة الدليمي ص11.

3- التذكير بالعلاقة الجدلية بين الانسان ومجتمعه ودوره الحضاري وظرفه المحيط واثر ذلك على الاهداف الخاصة ذات الافق العام ومايترتب عليه من (مسؤوليات) مشتركة وواجبات وادوار تتكامل مع بعضها. فالوطن ايحميه (جماعة) او يبنيه (جماعة) او يرفع رايته (جماعة) او يرتقي به (جماعة) دون غيرها! مادام (الجميع) عليهم واجب الحماية والبناء والارتقاء والتقدم ولاسيما الشباب فيه! نعم فتكامل الادوار هو الذي يبني الوطن والمواطن لاتقاطعها فمتى ما غرسنا هذه الفلسفة مهدنا لاجتياز الامتحان الصعب في هذه المرحلة وانتزعنا المكانة بجدارة واستحقاق.

4- تحذير الشابات من خطورة الضعف واستجداء الحقوق اذا ما كن جديرات بها. نعم فما ضاع حق وراءه مطالب[1] اما القاعد فمسؤول عن قعوده! مادام الاساس في التغيير هو القيام والحركة نحو الاهداف المنشودة فلاتحرر مبتذل ولاتسيب في الادوار والاعمال والتصرفات وحذار حذار من السقوط تحت دواعي الانفلات واللاابالية فهذه امور (تسقط) الانسان قبل ان يكون فتاة او فتى ولايرتقي بهما حيث نريد فليكن شعار الجميع: لنرتقي بجهودنا ووسائلنا الشريفة وامكاناتنا المتيسرة بلا منة من احد او شعور بالنقص او الضعف او الدونية او القصور! فالناس سواسية (كأسنان الحمار) ولافضل لابن البيضاء على ابن السوداء الابالحق! هكذا علمنا نبي الانسانية محمد بن عبد الله (ﷺ).

5- ان توظيف ادوات العلم والتقنية في خطط التطهير والتنقية والغرس الجميل والتحصين السليم؛ ادوار لابد منها في التنمية الاجتماعية والمعرفية للشباب. فمن غير روح الحوار المنفتح وثورة المعلومات (الحاسوب) والانترنيت وحوار الثقافات والحضارات لاسبيل الى بناء (شباب) في مستوى تحديات المرحلة؛ نتعامل معها على سبيل التثاقف وعدم التضاؤل امام الاخر او تقليده تقليدا اعمى او محاكاته! فذلك اغتراب لانريده لشبابنا وشاباتنا!

(1) اوردت لنا ازدهار سلمان حوارات جادة وصريحة مع عالية طالب وذكرى محمد نادر وريم قيس كبة، تؤكد الثقة بالمستقبل والخروج من ضبابية الظروف الاستثنائية (منشورة في صحيفة الزمان الدولية عدد 1766 في 2004/3/28 ص 3).

6- ان بنا حاجة الى احكام (شروط الحوار الصحيح) فمن غيرها سينقلب الى الضد مما تريد الفتاة وترغب وتطمح. فالمطلوب من مراكز الشباب ان يكون لها توجها عمليا - ومنذ الان- نحو الانشطة الثقافية (مسألة الوعي) فمن غيرها تضيع الحدود والمعايير! المطلوب التوجه نحو المهم والضروري والحساس والاني من المعضلات نتعامل معها على وفق روح التسامح وحسن النية والنصح والمحبة ونسمو على التمييز والتفوق العنصري او المذهبي او الاقليمي.

نعم بنا حاجة الى حوار وطني (حوار اجيال) وحوار شبابي شبابي (ذكور واناث) وحوار انساني تتسع دائرته من الاقرب فالابعد! وان اختفت حدود المسافات في زمن العولمة لكي ندير حوار (جنوب/شمال) على اساس متكافئ غير منقوص! فليس لشباب الشمال (المرفه) من دالة يتفوقون بها على شبابنا غير دوال العلم والمعرفة والسلوك المتوازن والثقة بالنفس! وتلك امور يتوجب علينا التشبث بها في زماننا هذا ونعض عليها بالنواجذ، بعد ان توفرت فرص القيام بالزيارات المتبادلة بين الوفود الشبابية والبعثات العلمية والدورات الثقافية والفنية واللقاءات الرياضية والمنتديات النسوية والمهرجانات الادبية.

ثالثا:

الحملة الوطنية لاعمار الشباب ومعيقاتها

1- اعمار النفوس قبل الابدان والانسان قبل الهياكل والبنايات:-

ما اعظم المنطلق الرباني الذي انطوت عليه حكمة الخالق سبحانه وتعالى وهو يخاطب الجميع في قوله تعالى: ﴿ **يٰأيها ٱلناس إنا خلقنٰكم من ذكر وأنثىٰ وجعلنٰكم شعوبا وقبآئل لتعٰرفوا إن أكرمكم عند الله أتقٰكم إن الله عليمٌ خبيرٌ** ﴾ [سورة الحجرات: أية 13]، مادامت التقوى تعبر عن افعال محمودة تسمو باصحابها على دوافع الانانية واكتناز الذهب والفضة او التباهي بهما! وهو امر يصدق على واقعنا، مطلوب استحضاره في وعي شبابنا اليوم قبل غيرهم بعد ان اختلطت مفاهيم الكسب والعمل الصالح والرزق الحلال! وتداخلت الحيلة والضحك على الذقون والنهب والسلب كتداخل الربا مع الربح! بهدف (التحايل على الشرع!) والقانون. فكيف نرتقي بمشروعاتنا الثقافية لمراكز الشباب بهدف (اعمار النفوس) والافئدة التي بها تتحقق الطمأنينة للشباب وعموم المجتمع؟ بلى ان حملة وطنية (لاعمار وعي الشباب) وترميم عقلانيتهم ولتعزيز ثقتهم بنفسهم وبمستقبلهم وبقيمهم الفاضلة كضرورة اكثر من ضرورة الناس لاعمار الشوارع والمعامل والجامعات والمؤسسات والوزارات! على اهمية هذه المشاريع! نعم ان النسيج الاجتماعي والقيمي والاخلاقي الذي تعرض للصدمات! منذ ثلاثة عقود ومازال به حاجة الى اعادة الاعمار و(الريافة) بعد ان تعرض لجبال من الهزات. فأن الخطر كل الخطر يكمن في اهمال النسيج القيمي للشباب ولاسيما الفتيان! الذين لاتكتمل معادلة الاعمار الشبابي للانثى الا بهم مع قناعتنا بأن المرأة اكثر (طراوة) في النسيج المذكور لاسباب اجتماعية وتربوية وتاريخية مما يتطلب توفير مناطق (امن اجتماعي) لاكتمال خطط ذلك البناء. هذا لايعني ان الشرائح الاخرى كانت مبرأة من العطب! في هذا النسيج! فالجميع تضرر بشكل او اخر لكن الفئة الاكثر تضررا هي النساء وعموم الفتيات! وذلك لان علماء الاجتماع، وعلم النفس يقولون:-

أ- الشباب هم المنطقة الرخوة في البناء الاجتماعي ولاسيما الـذين يعيشـون بـين واقـع الحاجة الى غيره (أهله) والرغبة في تأكيد فردانيتـه وشخصـيته واسـتقلاله، وعـلى تمتـين هـذه الشريحة وتحصينها يستقيم البناء المعنوي والمادي.

ب- الفتيات في ذلك البناء بمثابة (كعب اخيل)[1] الاسرع لكنه الاوهى مما يتطلب عناية استثنائية ثقافية واجتماعية لكي يدخلن الحياة الجديدة وهن اقوى ثقـة بانفسـهن وبـوطنهن ومجتمعهن.

ج- حين نقترح برامج وخطط لاعادة الاعمار لانتحدث عن انواع البرامج الواجب تقديمها لهذه الشريحة عبر الوسائل الاعلاميـة المتنوعـة في الدولـة والمجتمـع والمـنظمات والجامعـات والاحزاب والحركات والنوادي فقط بل ونذكر بذلك النوع من التثقيف المتكـافئ القـائم عـلى حوار اجتماعي وثقافي وحضاري ناضج [بـين الفتيـان والفتيـات] وقبلـه بـين الشـباب والجيـل السابق للوصول به الى الحقيقة القائلة: انه من غير التكافؤ في الفرص والاحترام المتبادل يمكـن معرفة قدرات الانسان ذكرا كـان ام انثـى، وان الانسـان الانسـان هـو الـذي يكتسـب قيمتـه الانسانية من دوره [العلمي، والاجتماعي والسياسي والانساني] وقد يتفـاوت في ذلـك الرجـال مع بعضهم فكيف بالنساء في مجتمع عانت المرأة فيه من ضغوط كثيرة وكأننا لم نتأمل جيـدا الحكمة الالهية التي وردت في الاية السابقة من سورة الحجرات؟ وبمعنـى اخـر كيـف نرتقـي بمشروعاتنا الثقافية (للاعـمار القيمـي) المعنـوي الى مسـتوى بنـاء شخصـية الشـباب ولاسـيما (الفتاة) في مجتمع مثقل بـذكريات المـاضي القريـب المريـرة كـما ويعـاني مـن تحـديات آنيـة معقدة ذاتية وموضوعية داخلية وخارجية؟!

ولانختلف على القول انـه متـى مـا ادرك الفتـى هـذه الحقـائق وكـذلك الفتـاة جـاءت العلاقة متوازنة والسلوك حميدا ونأت باقدام الشباب مواطن الزلل واكدوا وجودهم في ساحة البناء والتقدم. بذلك فقط يمكن تعـويض سـنوات الحـروب والـدمار والحصـار وغيـاب الامـن والامان مادامت العملية في رمتها مثل ساحة صراع وبناء ولكن

(1) اسرع شخصية في المأثورات اليونانية، لكنه يعاني من ضعف في (كعب قدمه) في حروب طروادة مع أثينا. ضرب به زينون الايلي مثلا. يراجع في يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية ط4 القاهرة 1985 ص 31-32 وفي احالته الى الاعـمال والايـام واصل الالهة لهزيود والالياذة والاوديسا وحروب طروادة، لهوميرس، تراجع ص 2-5 من المصدر الآنف.

لا تستعمل فيها الاسـلحة انمـا يوظـف فيهـا الفكـر والعلـم والمعرفـة في الـدفاع لاقـتلاع اسباب الضعف بين دواخل الشباب واقصاء العادات السيئة والممارسات المنحرفـة وتحصـينهم بالفاضل من القيم والمحمود من العادات والمعقول من المفاهيم لكي يكونوا اكـثر قـدرة عـلى التعامل مع الاعاصير الاعلامية المتنوعة (كالبث الفضائي الواقعي) الذي يهـدد شـجرة الشـباب من جذورها! لامن خلال (سـتار اكـاديمي) او (المسسـلات المدبلجـة..) بـل وكـذلك مـن ذلـك السيل الجارف الذي يأتي من مصادر شتى لايمكن الصمود ازائها الاباعادة بناء شبابنا وتعميـق وعيهم وقيمهم مع مواكبة الجديد. فهناك فرق شاسع بين الجميـل والجليـل والصـائب الـذي نريده وبين الغريب والمتسيب والشاذ وغير المألوف الـذي تسـوقه الفضـائيات مـادام الهـدف ردم الفجـوات وتعزيـز الخنـادق وتحصـين البنـاء لـكي نقصىـ جانبـا عوامـل الضـعف في اداء الواجب[1] ونعالجها بنجاح. نكرر القـول ان الاكـثر خطـورة عـلى الشـباب وعـلى الـوطن مـن الناحية الذاتية الوقوع تحت تأثير الفكرة المحبطة واليأس القاتل والقول باسـتحالة النجـاح او استحالة الخروج من ازمات الحياة الانتقالية مما قد يدفع بالشـباب الى الهجـرة او الاحسـاس بالغربة والاغتراب وسوء الظن بالنفس والاهل والوطن.

2- التذكير بقيمة المواطنة وعدم الاغتراب:

ان الانتماء للوطن والاطمئنان على عائديتنا الاجتماعية والوطنية هدف لايقل اهميـة عن الاهداف العمرانية الاخرى[2] للحيلولة دون استقالة العقل او التخاذل امام مايجري حولنا او وقوع الشباب اسرى التشكيك بكـل مـا هـو عراقـي والتعلـق بـالاخر والسـعي الى خدمتـه بسبب طغيـان الانفعـال اللاواعـي بتقدمـه. او العاطفـة الجامحـة والنظـرة الضـيقة والنزعـة الانانية الفردية التي لاتنظر ابعد من مصالحها مما يعني تهشم العلاقة العضوية التـي تـربط الشاب بوطنه ومجتمعه الكبير، انه (الانتحار القيمي) الـذي قـد يـدفع بالشـباب الى مصـيدة المتربصين بالوطن الدوائر والمفتشين عن (الفجوات الاجتماعية) و(الثقافية) للعبور من خلالها الى حيث (مقتل الاحلام والامال) مع مقتل روح المواطنة الحقة ولاسيما حين تجـري الاحـداث بالكيفية التي (تمزق الوطن) وتشتت شمل المواطنين! الامن بقايا علاقات

(1) علي حسين الجابري: الانسان والواجب اشكالية فلسفية. الموسوعة الصغيرة ع11 بغداد 1998 ص 17-198.

(2) ميثم الجنابي: العمران الديمقراطي في العراق (الدولة الشرعية) جريدة المدى البغدادية ع84 في 2004/3/31.

مهلهلة لاتقوى على الصمود امام اعاصير الاعداء واحابيلهم على الصعد كافة! وكأن ثمة خصومه بين الفتى ووطنه وناسه ومستقبله يدفعه للهروب والهجرة او يؤجج الخصومة بين الشباب انفسهم لذرائع ثانوية لاتصمد امام منطق المواطنة الحقة، ودور الشباب في التمسك بها ولاسيما في الظروف الاستثنائية المعاصرة. نعم ان التركيز على (قيمة المواطنة الصادقة) هدف نبيل يشمل (الفتى والفتاة) العراقية ناهيك عن عموم المواطنين. فالمطلوب في انشطتنا تمييزا واضحا بين (العقبات الكبرى) التي تهدد وحدة العراق وحريته وكيانه المستقل والمطالب الذاتية الضيقة! ان دائرة العراق اكبر من دائرة اية مجموعة بشرية تستوطنه اذا ما نظرت الى وجودها منعزلا وكأنه (الوجود الاوحد)! وليأخذ الطوفان بقية العراقيين ان مثل هذا المنطق يرفضه العقل والعلم والعقيدة السليمة لان المواطنة وحضورها في عراق (واحد موحد) تدخل مدخل (المحرمات) التي لايجوز تخطيها والاافتقدنا علامات الطريق وتاهت بأرجل السأئرين (الشباب) السبل، وتشتت الجمع وافتقد دلالات الطريق المفضي الى النهضة والتقدم ووقع في دوامة الغربة والاغتراب[1].

فمن سمات المواطنة الحقة التمييز بين الجوهري من المشكلات والتناقضات والتحديات والمخاطر! والثانوي من الحلول والاجوبة! فالاول يهدد صلب الوطنية المقدسة والثاني اجتهاد مقبول لايفسد الاختلاف فيه للود قضية اما فيما يتعلق بالفتيات! فلا يختلفن عن الفتيان في اهمية (المواطنة) والتشبث بها. اذا لم نقل هي (القيمة) الاكثر دلالة على استقامة شخصية (الانسان العراقي) وتتوحد فيه المواقف والاراء والقناعات: فالوطن الحر والمستقل والديمقراطي هو المناخ الافضل لازدهار حياة جميع المواطنين والعكس بالعكس!. ان ازدهار المواطن هو من ازدهار وطنه وعليه يصبح القول: ان من المواطنة والكرامة ان نعين الفتاة على بناء حياتها وتأكيد دورها في وطن مزدهر؛ صائبا ومتوافقا مع منطق العقل والوعي والديمقراطية وحقوق الانسان.

(1) يمكن الوقوف على المزيد في هذا الشأن في الباب الاول الانسان المعاصر بين غروب الحضارة واغترابه ص 1-128.

3- الصحة العقلية، والشباب القوي (مخاطر المخدرات):

كتب الزيدي(*) مقالا في جريدة الزمان يـوم 3 نيسـان 2004 قـائلا انتشرـت ظـاهرة المتاجرة بالمخدرات وتعاطيها في العراق بشكل لافت للنظر في الاشهر الاخيرة الماضـية ولاسـيما (الحشيشة والافيون والترياك) مما شكل تحديا خطيرا جديدا اضيف الى المخاطر التي واجههـا ولم يزل المجتمع العراقي في هذه المرحلة الصـعبة التـي اعقبـت سـقوط النظـام السـابق ومـا اعقب ذلك من غياب قانوني وامني مما يضع البلاد في أتون مسـتقبل مجهـول في حـين تبقـى اصابع الاتهام موجهة الى دول الجوار -على وجه التحديد- ممثلة بأجهزتها الامنية والمخابراتية التي تعمل على تغذية وانتشار تلك الظاهرة في المجتمع العراقي ولاسيما عن طريق تسرـيبها مع زوار العتبات المقدسة بشكل خـاص او مـع غـيرهم مـن الوافـدين الى الـبلاد بشـكل عـام ولاسباب تكمن وراءها اغراض سياسية ودوافع تخريبية كما يرى عدد من المراقبين.

ومع ان وزارة الصحة العراقية كانت قد اعلنت قبل فترة قصـيرة قيامهـا بتشـكيل لجـان تخصصية للحد من تسلل المخدرات الى العراق -بالتنسيق مع الاجهزة والـوزارات المعنيـة- الا ان استمرار تدفقها لم يزل مستمرا دون هوادة.

وتبعا لما أوردته احدى الصـحف المحليـة العراقيـة فـأن مدينـة السـماوة التـي تقـع الى الجنوب قريبا من الحدود السعودية والتي لايتجاوز عدد سـكانها الــ 600 الـف نسـمة تعـد اليوم اكبر مرتع لتجارة المخدرات والحشيشة بأنواعها في العراق؛ مشـكلة بـذلك حلقـة وصـل بين ايران وافغانستان - التي تضم اكبر حقول الخشخاش الذي يستخلص منه الافيون في العالم اذ يأتي نحو 75% من المنتوج العالمي مـن ذلك البلد - وبين الخليج العربي.

لقد كان للدخول غير المنظم للزوار الايرانيين في الاشهر التي سبقت شـهر محـرم المـاضي ولاسيما عبر معبر مهـران الحـدودي الـذي بلـغ بـين 40-50 الـف ايـراني يوميـا ان جعـل مـن عمليات السيطرة والتفتيش على تلك السموم احد ابرز

(*) وليد كاصد الزيدي: غزو المخدرات للعراق والصمت المطبق- جريدة الزمان الدولية ع 1771 في 3 نيسان 2004.

التحديات التي تواجه الدوائر الامنية والحدودية العراقية هذا ما اعلنه الوكيل الامني لوزارة الداخلية العراقية الذي طالب بتشديد الرقابة على الحدود للقضاء على عمليات تهريب المخدرات في حين اعلن في وقت سابق وزير الداخلية العراقي بأن الغاء قوات حرس الحدود كان السبب الرئيس في جعلها مشرعة امام المتسللين ومهربي المخدرات.

وفي اخر محاولة لتهريب المخدرات عبر الحدود العراقية الايرانية القت الشرطة العراقية قبل ايام عدة، القبض على عدد من القادمين الافغان والايرانيين عبر معبر المنذرية الحدودي وهم يخفون بحوزتهم كمية كبيرة من الافيون والحشيشة هذا ولم يقتصر ادخال المخدرات لاغراض المتاجرة بها او تعاطيها بشكل مباشر بل جلبت (نبتة القات) الى مدن كربلاء والنجف لكي تباع في الاسواق بهدف التشجيع على زراعتها وتسهيل انتشارها!

ومن الجدير بالذكر ان قانون المخدرات العراقي المرقم 68 لسنة 1965المعدل في (مادته الثانية) منع وعاقب زراعتها في العراق وبشكل عام عالج المشرع العراقي في القانون اعلاه جرائم التعامل بالمخدرات سواء عن طريق الاستيراد او البيع او الاتجار او التنازل عنها بأي صفة؛ كذلك حيازتها او زراعة نباتات القنب وخشخاش الافيون والقات وجنبة الكوكا وغيرها بعقوبات رادعة وردت في المادة (الرابعة عشر اولا) منه اذ عاقب بالاعدام او السجن المؤبد وبالغرامة كل من ارتكب ايا من الجرائم اعلاه وعلى الرغم من الغاء عقوبة الاعدام من قبل قوات الاحتلال في اعقاب سقوط النظام السابق. مع ذلك تبقى العقوبات التي اوردها المشرع العراقي في القانون اعلاه الاكثر صرامة مقارنة بنظيراته من قوانين دول المنطقة الا ان مسألة تطبيق تلك النصوص تبقى مثار جدل في وسط غياب امني وقانوني شبه كلي يردع من تسول له نفسه العمل على توجيه ضربة اخرى الى جسد المجتمع العراقي الذي ينوء بهموم ثقال وجراح عميقة، السؤال المطروح هنا: هل الرادع الجزائي هو الحل الوحيد والامثل لايقاف تسلل المخدرات الى المجتمع العراقي في هذه المرحلة المحرجة من تاريخه المعاصر؟ ام ان الرادعين الروحي والاخلاقي لهما دور لا يقل تاثيرا عن الجزاء؟ ان هذه السموم الخطيرة التي تزحف نحو المجتمع العراقي مهددة كيانه المتداعي تتطلب وقفة جادة من قبل جميع

المعنيين في مجالات الامن والقانون والصحة والاجتماع وغيرها مـن اجـل ايقـاف زحفهـا وتجنيب الشعب العراقي من شرورها قبل ان يسري داء الادمان في الجسـد العراقـي لا سـمح اللـه)).

قلنـا ونقـول لمـا كـان الشـباب هـم (المنطقـة الرخـوة) في البنيـة الاجتماعيـة أي الاكـثر حساسية وقلقا من حيث (اعتمادهم على اهلهم) و(حرصهم على استقلال شخصيتهم وتأكيـد هويتهم) فأن خطط الاعـداء والغربـاء عـادة مـا تتجـه صـوبهم اعلامـا وتخريبـا للتـأثير عـلى نفسياتهم ومعنوياتهم مستغلين ظروف (غياب الرقابة الاسرية) او الفراغ القاتل (البطالـة) او (اقران السوء) والفوضى السياسية والايديولوجية والفـراغ الفكـري والتسرب مـن الدراسـة او (تقليد افلام العنف والجريمة والانحراف) مما يلحق خطرا فادحا بهم.

والاخطر من جميع ذلك الانشطة المشبوهة لمافيات دولية تعمل عـلى اخـتراق السـاحة الشبابية العراقية والوصول الى (عقول الشباب) قبل اجسـادهم للعبـث بهـا وفي ذلـك تتعـدد الوسائل وتتنوع السبل الجهنمية! حتى كادت ملامح كسب غير مشروع حققه الاعـداء تظهـر في هذا الميـدان مـن خـلال الـترويج للمخـدرات والاقـراص والابـر وحبـوب الهلوسـة وجميـع مسببات الموت الازرق تلك حقيقة لابد من الاعتراف بها وان تعذرت علينا الاحصاءات. ولعـل دراسة الدكتور اكرم المشهداني[1] هي الاحدث عن اتساع نشـاط مافيـات الـترويج للمخـدرات خلال العام 2003-2004 الذي خلص فيها الى تأشير الظواهر الاتية:-

أ- تأكيد مخاطر انتشار نشـاط مافيـات المخـدرات والممنوعـات بـين الشـباب والخطـر يتضاعف حين ينال الفتيات ايضا وان كانت بنسب محدودة! لكنها محتملة.

ب- كان العـراق مـن اكـثر دول المنطقـة نظافـة لاسـباب تربويـة وعقيديـة واجتماعيـة وامنية! اما اليوم فالامر مختلف.

---

(1) د. اكرم عبد الـرزاق المشـهداني: المخـدرات واسـتباحة حـدود العـراق وتـدهور امنـه، جريـدة الزمـان الدوليـة بغـداد في 2004/3/25 ص 4.

ج- مع تراكم مشكلات الحروب طوال ربع قرن والحصار؛ ازداد نشاط المتاجرة الممنوعة بالمخدرات والترويج لها ولاسيما عبر الحدود الشرقية للعراق (ايران) الجسر الذي يربط افغانستان (موطن زراعة المخدرات) مع العراق ولاسيما بعد الاحتلال الامريكي لهما (افغانستان والعراق).

د- ان غياب الاجهزة المختصة وغياب الرقابة على الحدود وكثرة تدفق الزوار الايرانيين كان وراء تزايد التدفق على هذه المنطقة وانتشار التعاطي للمخدرات!

هـ-كان غياب وسائل الترويح البرئ وانعدام فرص اللهو البرئ والمدن السياحية وتعطل الانشطة الشبابية الرسمية وراء شعور الشباب بالفراغ القاتل! ولما كان الفراغ مفسدة؛ استغلت الشلليات! هذه المسألة وراحت تنشط بين الشباب خارج الرقابة الاسرية والرسمية مستغلة الاضطراب الامني في الشارع العراقي.

هكذا يبدو لنا - على الرغم من غياب الاحصاءات الرسمية- كيف تضررت فئة الشباب من الظروف الاستثنائية وتهدد بسبب ذلك مستقبل الالاف ومستقبل الوطن ايضا فكيف السبيل الى مواجهة هذه الآفة الخطيرة! وماهو دور مراكز الشباب في توفير وسائل الترفيه البرئ والتثقيف بالاتجاه الصحيح الذي يحمي هولاء الشباب من مخاطر النشاط المعادي، النشاط الذي يهدد وعيهم (عقولهم) ومعنوياتهم قبل اجسادهم؟ للاجابة على هذا السؤال علينا الحديث عن خطط مشتركة تستكمل مشروع (اعمار الشباب العراقي) في حملة وطنية. حصة المراكز فيها لاتقل اهمية عن حصص الوزارات الاخرى ما دامت هذه المراكز قريبة من البيوت والمحلات شأنها شأن المدارس فهي الاكثر تاثيرا في التحصين والحماية وتقديم البدائل والحوار المباشر بين الشباب من الذكور والاناث شرط توفير برامج علمية وعملية واقعية محببة تشغل الفراغ وتستقطب الشباب وتزودهم باسباب الحصانة وتعين الذين تضرروا من المخدرات على الخروج من ورطتهم بالتعاون مع الدوائر الصحية والامنية والاجتماعية. نحن نعلم انه بفضل متانة الاسرة ورقابتها الفاعلة ودور المؤسسات التربوية ورقابة المجتمع المدني والثقافة الدينية التي يقدمها المسجد والحسينية والكنيسة والمعبد للشباب وحرص الدولة واجهزتها على حماية شبابها؛ والادوار الجادة لوسائل الاعلام؛ جميع ذلك يشكل المداخل

السليمة التي تتمكن بها المراكز من محاورة الشباب وكسب ثقتهم. ونتفق تماما مع ما ذهب اليه الدكتور المشهداني من ان اتساع دائرة الموت الازرق الذي يهدد عقول الاف الشباب قبل اجسامهم جاء بسبب عوامل ذاتية وموضوعية غير التي نوهنا بها مثل:-

اولا: الاختلالات الاجتماعية التي صاحبت التحول المجتمعي والتي رافقت الحروب والاحتلال العسكري مما قاد الى ضعف العلاقات الاجتماعية وتفكك العديد من الاسر وظهور الانحرافات السلوكية الخطيرة وحالات السلب والنهب او ما يعرف بظاهرة (الحوسمة).

ثانيا: الازمات الاقتصادية وظاهرة البطالة التي تجاوزت **50**% بين الشباب والفراغ المدمر وفقدان الامل بمستقبل آمن.

ثالثا: اغتراب الشباب نشأ بسبب تعميق النزعات الانانية واتساع الفجوة بين الاجيال (الاباء والابناء) والانتماء الهامشي للمؤسسات وظهور اساليب غير مشروعة للحياة وانقلاب مفهوم الكسب وتراجع الكوابح الاخلاقية المألوفة.

رابعا: الدور السلبي للفضائيات واختلال برامجها الترفيهية وتسخير الصورة والصوت والتقنية الراقية لمداعبة الغرائز؛ وتشجيع العنف واغراق الشباب (بنين وبنات) بحشد هائل من (المواقف المنحرفة) على انها النمط المنشود في الحياة الجديدة، للصلة المعروفة بين واقع الوجود الاجنبي الامريكي والمراكز المسوقة لهذه البرامج والافلام والرسائل الخطيرة! مستغلين بذلك ظروف الحرمان والانقطاع التي عاشها الشباب في ظل النظام السابق والحصار واثاره المدمرة التي نوهنا بها في الصفحات الفائتة.

ان النزعات الاستهلاكية واغراق المتلقين بسيل من الرسائل المبهرة اسقطت حدود المحرمات وبات الكثير من الشباب في غيبوبة وضياع اذا لم نسعفه ببرامج تعينه على الخروج من كهفه المصنع من قبل الغرباء مستغلين غياب الاعلام الوطني الذي يعين الشباب على التكيف الصحيح في الازمات المصيرية.

خامسا: الازدواجية التي يعيشها الشباب والصراع بين [قيم دينية واجتماعية واخلاقية تحث على السلوك الحميد والمتوازن] مع اعلام وواقع يحثانه على تخطي هذه القيم والتمرد عليها. انها ثنائية تشبه الشيزوفرينا التي سبق وتحدث عنها المرحوم (الدكتور علي الوردي)[1] تعود من جديد اكثر تحديا لطموحات الشباب العراقي وهمومه الوطنية.

سادسا: دخول التقنيات الحديثة كالمعلوماتية والانترنيت (والموبايل) ووسائل الاتصال السريع في العالم وما يتركه ذلك من حوار مع الاخر (المتقدم) قياسا مع (الذات المتخلفة) فيترك ذلك الحوار حالة من الاحباط تصل ذروتها بفقدان الامل من اصلاح الحال! بدا معها الشباب تائها في ازقة الاخر الاعلامية مع ان شعار العولمة يقول: (المعرفة قوة) الى جانب الخطط الموضوعة اصلا لارباك الشباب واقصائهم عن مسيرة المجتمع او وضعهم بالضد من هذه المسيرة وهو امر يتطلب المزيد من الجيوش للاصلاح نعم جيوش[2] لاصلاح البيئة واعادة الحياة للنخلة وغاباتها الى جانب:-

1- جيش لاعادة الشهامة والغيرة العراقية لمن فقدها.

2- جيش للالتزام بالاخلاق واحترام الناس ومحبتهم.

3- جيش للتآخي والمصالحة وانتزاع الحقد من نفوس العراقيين على بعضهم لكي يتفرغوا لمواجهة جيوش الاعداء غير العسكرية.

وهو المنطلق نفسه الذي تحدثت عنه كل من ايثار راضي (طبيبة) وازهار عبد الكريم (دكتوراه قانون) ومشكاة المؤمن (دكتوراه في القانون الدولي) وشذى عبد الباقي (علوم تربوية) في توصيفهن لاثار عام من الوجود الاجنبي في العراق (2003-2004) مجمعات على ضرورة معالجة (البطالة) ومشكلاتها و(الامن) وغيابه وضرورة وعي الانسان لحقوقه من قبل المسؤولين والمواطنين[3] ولاسيما الشباب منهم.

---

(1) الوقوف على خلاصة اراء العلامة الوردي: يراجع د. علي حسين الجابري: علي الوردي السيرة والاراء اصدارات بيت الحكمة بغداد 2002 ص 13-119.

(2) د. اكرم الحمداني: جيوش من نوع آخر، جريدة المدى البغدادية. ع 84 يوم الاربعاء 2004/3/31 ص 15.

(3) حوار منشور في جريدة الزمان العالمية الصادر يوم 2004/3/25 بمناسبة مرور عام على الحرب.

رابعا:

مراكز الشباب ودورها الثقافي / التربوي: خطة عملية

يمكن توزيع ادوار المراكز الشبابية الى مجموعتين الاولى اجرائية، والثانية ثقافية

الاولى: من الحلول الاجرائية لهذه المراكز ما يأتي:-

أ- اشغال اوقات فراغ الشباب بالمفيد من البرامج والنشاطات الرياضية والمسرحية والترفيهية المختلفة وتوفير اسباب اللهو البرئ لهم.

ب- تدريبهم على المفيد من الحرف والصنائع والمهارات الفنية التي توفر لهم مصدرا للعيش الكريم وتسد فراغهم.

ج- فتح دورات للحاسوب والانترنيت وتقنياتها مادامت هذه النشاطات هي لغة العصر التي لايستغني عنها الشباب في حياته الجديدة ذكرا كان ام انثى.

د- توفير اجواء ممارسة الرياضات والانشطة المختلفة البدنية والفكرية والثقافية والموسيقية واشباع الهوايات المتنوعة.

هـ- الاهتمام بالمكتبة المقروءة والمرئية وعرض الافلام الهادفة والقيام بسفرات ترفيهية وثقافية وسياحية بكلفة زهيدة.

و- استثمار قاعات المراكز لتحقيق غايات اجتماعية لابناء المحلة للتعارف ولحفلات الزواج والمناسبات الاخرى لكي تكسب هذه المراكز ثقة الاباء وتعزز علاقاتهم معها.

ز- الحرص على القيام بنشاطات مشتركة مع الوزارات ذات العلاقة بالشباب مثل (التربية والتعليم العالي والاعلام والثقافة والبيئة) على ان تكون حصة الفتاة فيها كبيرة وبالتعاون مع المنظمات النسوية والمؤسسات الاعلامية الحكومية وغير الحكومية المحلية والعربية والدولية.

الثانية: اما على الصعيد الثقافي الموجه للجميع اجيالا وشبابا ذكورا واناثا، فالاخطر - من وجهة نظرنا- المتواضعة يتصل بوضع الفتاة بين التحديات يظهر في (الحوار الساخن) الذي يستهدف الحاق الاذى بالشباب (ذكورا واناثا) اولا وبالوطن ثانيا مما يتطلب عملا جادا للرد على الخصوم الذين ينطلقون من نوايا سيئة في خطابهم الاعلامي الموجهة الى الشباب ولاسيما الفتيات والخطورة فيه لاتكمن بالظاهر منه بل بالخفي الذي يأتي مغلفا بالوان براقة تخلب اللب وتأخذ الشباب بعيدا عن الطرق النافعة تحت دعاوى الحرية والاستقلالية والمتعة والانطلاق! والفرفشة واللهو مما يتطلب برامج جادة من مراكز الشباب والدوائر ذات العلاقة تقوم على طرق علمية وتربوية معقولة وميسورة ومجدية تعود بالشباب الى ارومتهم وانسانيتهم تحصنهم وتبصرهم بمواطن الخلل تاركة لهم هامشا من الحرية للتعبير عن الذات وتأكيد الهوية الثقافية.

(1) ومتى ما عرف الشباب ان المهم في كل قول وسلوك وموقف ورأي هو (المعرفة) والقناعة وان مامن مشروع او قرار الا وله منطلق فلسفي او علمي او ديني. ومتى ماعرفنا العلاقة بين الفعل ومنطلقه الفكري وصلنا الى مستوى من (العقلانية) تتيح لنا فرصة واضحة في اتخاذ قرارتنا وتحديد مواقفنا ومسؤولياتنا. هذه المعادلة العقلانية التقدية هي التي تحرر الشباب (فتى وفتاة) من قيود التقليد الاعمى والتصرفات العشوائية العبثية وتضعه في قلب الحقيقة بعد ان بصرته بالملابسات التي تكتنف الوقائع والاحداث. فمتى ماتوضح المنطلق الفكري وتكاملت مكوناته، اعاننا في الحكم على الافعال ومحاكمة المواقف انطلاقا من قاعدة تقول ان الاشياء بطبائعها والاشخاص بمواقفهم المتوافقة مع تصوراتهم الفكرية ومحرماتهم الايديولوجية وبنتائج تصرفاتهم فمتى ماجاءت هذه نافعة بناءة ذات اثر ايجابي انتسبت الى دوائر العقلنة والعلمنة والانفتاح العقيدي الحر.

(2) ولكي نخرج من دائرة (التنظير) الى(التحقق) ونحن نتتبع طبيعة المشكلات الشبابية للذكور والاناث في العراق الجديد والدور الثقافي لمراكز الشباب اقف عند واحدة من الدراسات الحديثة جدا التي تناولت (اتجاه الشباب العربي نحو المرأة، دراسة في ابجديات الوعي التنموي)[1] الصادرة سنة 2004 والتي جاءت

(1) عقيل نوري محمد: قياس اتجاهات الشباب العربي نحو المرأة، دراسة في ابجديات الوعي التنموي، مجلة المستقبل العربي ع2 لسنة 2004 بيروت 2004 ص 66-84.

في سياق التوجه العالمي نحو تطوير مكانة المرأة في عملية الازدهار الحضاري والتقدم الاجتماعي لا من اجل دوافع انسانية خاصة بالمرأة فحسب بل ولحاجة مسيرة التقدم الاجتماعي لجهود النساء في هذه المسيرة وهن يشكلن اكثر من 50% من المكونات السكانية للمجتمعات النامية ومنها العراق ومنطقتنا العربية.

فالقصد هو ((تمكين المرأة من الحصول على مكانة متكافئة مع الرجل عن طريق المساواة في الحقوق والواجبات))(1) لقد عمد الباحث الفاضل الى تتبع خارطة (الفروق) بين الجنسين معتمدا على الوسط الجامعي للشباب والشابات(2) والتي تذكرنا بوجهة نظر الفيلسوف المسلم (الفارابي ت 339هـ /950م) التي يقول فيها بخصائص بيولوجية مميزة لكل جنس الى جانب تكاملية القدرات المكتسبة من حيث الوعي والمعرفة والتعلم والتفوق بحسب الجهد المبذول لأي من الجنسين بغض النظر عن جنسه حتى فاقت الكثير من النساء، الرجال في مهارات متنوعة وبهذا الفهم كشف الفارابي عن (المضمون الانساني)(*) للمرأة.

لهذا السبب -على ما نظن- انتهى الباحث الفاضل الى بيان موقفه من المرأة من حيث كونها (انسانا) ومن حيث كونها (منتجا مشاركا) في قوة العلم والعمل وفي اطار من المتغيرات الجنسية(3) والاتجاه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي فوجد مايأتي :-

اولا: الاتجاه نحو المرأة ايجابي الملامح -مع تحفظ- لتفاوت المؤثرات الخاصة بالوسط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والاسري.

ثانيا: سيادة النظام الابوي والقيم الاجتماعية وقوته على الرغم من هامش الحرية والانفتاح على التعليم والاعلام للنساء!

---

(1) أيضا ص 68.

(2) أيضا ص 72-73.

(*) الفارابي: اراء اهل المدينة الفاضلة نشر ابراهيم جزيني بيروت 1979 ص 80.

(3) عقيل نوري: المصدر السابق 78-82.

ثالثا: الدور الفاعل للتعليم والمستويات العليا التي وصلتها المرأة كان وراء تغير النظرة للمرأة وشراكتها بما يتناسب طرديا مع اتساع دائرة المتعلمات في سوق العلم والعمل ونجاحهن في ذلك وحصولهن على المواقع الاولى.

رابعا: الشراكة المحدودة في الدور الاعلامي الذي يؤكد حضور المرأة في مهنة لاتخلو من متاعب ومصاعب في حياتنا المعاصرة!

خامسا: نضوج الشباب وارتقاء وعيهم بأهمية الدور النسوي في الحياة وقدرتها على المشاركة الايجابية ومثل هذا الوعي لم يكن للشباب لو لم تثبت المرأة جدارتها في التجربة العملية الميدانية وادراك اهمية دور الأم المتعلمة في الاسرة والمجتمع والحياة الانسانية.

سادسا: اتساع دورها في سوق العمل والانتاج والتجارة والصناعة والخدمات في شتى المهن والاختصاصات وقدرتها على التكيف مع ظروف العمل الشاقة وبلوغ المراتب العليا في علوم مختلفة مصرفية ومكتبية وهندسية وطبية وصيدلانية وزراعية وتجارية[1] الخ.

هذه النتائج تتوافق مع الادوار المنتظرة للمرأة ولاسيما الفتاة في العراق الجديد وقد يتيح لها فرصة احتلال مكانتها في ماكنة البناء الجديد التي قد تغطي في القيادة مساحة (25%-40%) كما هي عليه اتجاهات القيادات مستقبلا. مع ذلك يقر الباحث وبموضوعية وجود معيقات متفاوتة بتفاوت ثقافة الشباب واسرهم وواقعهم الاجتماعي وظروفهم الاقتصادية ومنطلقاتهم العقيدية المحافظة تحد من الفرص المتاحة امام الشابة يشهد على ذلك وجود (31 سؤالا عن النظرة السلبية لادوار المرأة)[2] في البحث.فمتى ما ادركت (الفتاة) هذه الحقائق وعرفت عناصر (القوة فيها) والظروف المتاحة لها ولمجتمعها ووطنها الى جانب الانتباه الى مكامن الضعف والتراخي والخطر الذي يهدد أي من هذه الحلقات، تمكنت من تحديد طريق تقدمها بنجاح!

(1) أيضا ص 82-83.

(2) أيضا ص 84.

تلك واحدة من مهام مراكز الشباب تتصل بالجانب الثقافي (التوعوي) الموجه للفتاة وللفتى وللعائلة، مطلوب الان منا ومن الدوائر الاعلامية والثقافية والترويحية والاكاديمية تأكيده كل في ميدان اختصاصه شرط اعتماد خطة متكاملة لهذه المؤسسات لكي يستقيم البناء ونتجاوز ظاهرة (البناء والهدم!) التي لانكسب منها غير (الفراغ والتصغير واللاتراكم!) فالعالم اليوم يقوم على منطق التراكم العلمي والمعرفي التطوري والتقدمي الذي يجعل من (المعرفة قوة) وان بدا لنا -خطأ- ان القوة العضلية والعسكرية والسوبرمان هي المفتاح! لكن الاصوب هو ان نقوى بمعرفة كل جديد وامتلاك العلوم والفنون والاداب والحكمة والقيم الجميلة والفاضلة في مواجهة (التحديات) التي تنطلق من الفوضى وغياب النظام واسقاط قيم الحق والخير والجمال في حياتنا المعاصرة! تحت دعاوى العولمة ومنطقها العاصف، مستفيدين من ادوات العلم والعولمة وتقنياتها الفائقة في اختصار الجهد والزمن والمسافة والكلفة!

(3) لنخرج من جميع ذلك (فتيان وفتيات) بالحقائق الاتية:-

1- ان الخطر يكمن في اهمال الادوار الثقافية والاجتماعية للافراد ولاسيما المرأة.

2- تكامل الادوار وتبادلها بين النساء والرجال في الميادين العلمية والعملية حقيقة اكدها سير الاحداث ومنطق العصر في اطار فكرة (الجنيدر)[1] من غير ان ينصرف ذلك -في مجتمعنا ذي المعين الروحي- الى تبادل الادوار البيولوجية وان تحدث العلماء عنها في مستقبل العلاقات الانسانية وصدمته[2] بتأثير الجينوم والاستنساخ والتلقيح الصناعي.

---

(1) مفهوم ينطوي على القيمة الانسانية لفرد في ضوء ادائه لادواره الحيوية انثى كان ام ذكر.

(2) ولا سيما في كتابات الفين توفلر وزوجه وهي:

أ- صدمة المستقبل تر/ عبد اللطيف الخياط دار الفكر دمشق (ب ت) اعتمادا على طبعة 1972 الباب الاول جميعه، ص 7-80.

ب- خرائط المستقبل تر/ اسعد صقر- منشورات اتحاد الكتاب دمشق 1987 ص194-214.

ج- حضارة الموجة الثالثة تر/ عصام الشيخ قاسم الدار الجماهيرية للنشر ط1 مصراته 1990 ص 225-243.

د- تحول السلطة تر/ فتحي بن شتوان ونبيل عثمان –الدار الجماهيرية مصراته 1992 ص 248-251 و324.

3- ان حرية المأكل والملبس والعمل والعلم والترويح وحق الانسان في العيش بسعادة وهناء، لاتكتمل الابالتوازن والاعتدال والجد والاجتهاد والاخلاص والسهر والمعاناة، ومن خلال قيم اخلاقية واجتماعية وجمالية وعقيدية فاضلة من غيرها يضيع الانسان ويلفه اعصار الغربة والاغتراب او الانغلاق والتحجر! وفي ذلك تهديد للهوية التي يحرص العقلاء على حمايتها والدفاع عنها، ومن غيرها يصبح الشباب صفرا على الشمال في الحياة الرقمية المعاصرة.

4- ان منطق التطور والارتقاء المدني والحضاري يتخذ سماته ووجهته في سياقات تطور المجتمع التاريخية بعيدا عن التطرف والاكراه والتقليد والقسر او القطيعة والجمود هكذا يجري ضمان التغير الايجابي في المجتمع المعاصر للفتى والفتاة لصالح التطور النوعي للانسان والمجتمع والوطن وانماء شخصياتهم.

5- ان اخطر ما يهدد النمو السليم لشخصية الفتاة وعموم الشباب تداخل المفاهيم وازدواجية القول والسلوك وثنائية المواقف (تقليد، تحرر) وتقاطعهما مما يؤدي الى اضطراب الاداء الفردي داخل الهيكل الاجتماعي فيبدو الشاب (نشازا) حيث يجب ان يكون متوافقا مع مجموعته! فيتحول بسبب ذلك الاغتراب الى عقبة في طريق التقدم بدلا من ان يكون الشاب عامل رقي وازدهار! وهو امر استغلته بعض الجماعات لتحقيق غايات خفية غير وطنية.

6- صحيح ان ثمة حاجة للانفتاح على ثقافات الامم الاخرى وتفاعل التجارب الانسانية (الشبابية)، لكن ثمة خصوصية لكل مجتمع توجب ادراك حدودها وما يهددها، وتلك هي العلامة الفارقة للوعي الشبابي الذي نريده ولاسيما للفتاة، فالمطلوب التوفيق بين الدوافع الخاصة للشباب والشروط العامة للمجتمع وقيمه [فحلق ما شئت وكيف شئت في فضاءات الحياة والمعرفة.. شرط ان تعرف طريق عودتك الى ارومتك في الوقت المناسب] ذلك هو الفهم العقلاني الذي ننشده.

= + (مشترك) مع هايدي توفلر:

هـ- الحرب والحرب المضادة تر/ صلاح عبد اللـه – الدار الجماهيرية للنشر سرت 1995 ص 209-210 و ص 227.

7- الانتباه لمكامن الخطر الذي ينتظر الشاب حين ينزلق -لاسمح الله- في متاهات الغرباء بهدف (تسخيره او تخديره او تهجيره او تدميره) فالعراق مكمن الخيرات اولى بجهود شبابه (ذكورا واناثا) ومتى ما امسكنا بالمعادلة السليمة تمكنا من حاضرنا ومستقبلنا الذي لايتحقق التقدم فيه للرجل دون المرأة! او للمسؤول دون المواطن او للاغنياء دون البؤساء! او للمدينة دون الريف! اذا ما انطلقنا من نظرة احادية ضيقة تقوم على (رجل سيد حر متفوق) و(امرأة عبدة مستلبة ودونية!) عندها نتحدث عن صراع طبقي جنسي وتصادم اجتماعي وتناقض اخلاقي! وهي امور لانريدها لمجتمعنا الذي لايزدهر الا بجهود مواطنين احرار سعداء شرفاء من النساء والرجال ومثلما لا يكون المجتمع الذي يستعمر مجتمعا اخرا حرا مهما تغنى بالحرية مادام قد تصرف بالضد منها كذلك الحال مع الرجل او الفتى الذي لايرتبط بفتاة حرة وشريفة ومبدعة! هذا هومنطق العصر والعقل والحرية.

8- ان الذي يهدد ادوار المرأة الشابة الوقوع تحت وهم: الشعارات السياسية فحسب والمزايدات الحزبية: لانها ستبقى مجرد (كلام وبلاغة انسانية راقية) لامعنى لها اذا لم تتحول الى تطبيق ووعي ومواقف وحقائق معاشة!

9- المرأة لاتحررها الحركات النسوية المنغلقة والمنقطعة عن تيار حركة المجتمع! والتي تظهر التجمعات النسوية وكأنها خندق نسوي لمواجهة الخندق الذكوري الرجالي! فمثل هذا الاصطفاف ليس في صالح المرأة لاسباب لامجال للحديث عنها هنا بل الاوفق ان تكون مسيرة التحرر والتقدم في مواقع العمل والادارة والقرار في سياق مسيرة وعي المجتمع ومؤسساته القانونية والتشريعية والادارية وللادوار الايجابية للمرأة عندها يأتي التطور في سياقه الحضاري والتاريخي وليس قفزا عليه او تجاوزا له او اقحاما فيه؛ فمثل هذه الامور ستؤول الى نقيض اهدافها فتنكفئ الفتاة على نفسها وتتخلف عن المسيرة بدلا من الارتقاء والتقدم لهذا السبب يهمنا ان نعرف مكانة المرأة في قناعات الساسة قبل وجودها في انظمة احزابهم وحركاتهم بعدها سيأتي موقعها في الدستور والقوانين تطبيقا واقعيا بتلك المواقع! لا ان ندبج الشعارات والوعود! على الورق لاغراض الكسب الحزبي دون التطبيق العملي. اننا نفتش عن هذا الموقع في (الاطار النظري/الفلسفي) لكل حزب وحركة لننتقل منه الى الجانب الاجرائي الذي يشد من

أزر المؤسسات الشبابية والنسوية في عراقنا الجديد ويدعم الانشطة في مراكز الشباب ومؤسسات اعادة اعمار الانسان.

(4) وكدلالة ايجابية على مكانة المرأة في خارطة الثقافة والنشاط الاجتماعي في الساحة العراقية والعربية وعلى الرغم من صعوبة ظروف البحث العلمي نقف عند تجربتين.

الاولى: الندوة النسوية التي اقامتها صحيفة الزمان الدولية في العراق تحت عنوان (شبعاد ملكة من العراق وجائزة لحرية المرأة)[1] بعد القرن الواحد والعشرين هو(قرن النساء)[2].

التي انتهت مع نهاية عام 2003 بمشاركات متواضعة لكنها جادة خلت من الدراسة الميدانية الجريئة كتلك التي انجزتها الباحثة الاردنية سهير سلطي التل ونشرت تحت عنوان مدينة الورد والحجر عام 1997 في عمان[3].

اما الثانية: فهي المائدة المستديرة لجامعة ناصر - في دورة المسابقة العلمية للطلبة العرب- الخامسة عشر[4] المنعقدة في تموز /2003 في طرابلس حيث شكلت مساهمة الفتاة (الباحثة) فيها (43) طالبة مقابل (93) للطلاب وهو نسبة طيبة قياسا الى ظرف المشاركة الذي يأتي من اقطار عربية مختلفة غاب عنها الحضور الشبابي للفتاة العراقية.

---

(1) التي بدا الحث عليها في اعداد جريدة الزمان الدولية منذ آب/ اغسطس 2003 الى حين انتهاء المدة المقررة لها كما بدأت الدورة الثانية للجائزة مع مطلع عام 2004 فالجائزة نصف سنوية تجري حصريا في دائرة الباحثات من النساء [راجع العدد 1588 الصادر في 2003/8/20].

(2) حين رهن البحث بالنساء ما دمن صاحبات الشأن وليس كما يريد لهن الاوصياء والموهومون بامتلاك سلطة غامضة المصدر تتيح لهم الهيمنة اللامشروعة على المجتمع العراقي. [يراجع العدد 1596 من جريدة الزمان الدولية يوم 2004/3/30].

(3) سهير سلطي التل: مدينة الورد والحجر سلسلة دراسات اردنية عمان 1997 ص 39-195.

(4) الاحصاءات في مجلة (الوطن الكبير) التي تصدرها الهيئة المشرفة على المائدة المستديرة للاساتذة العرب والمسابقة العلمية (15) للطلاب العرب عن جامعة ناصر الاممية طرابلس في 2003 عدد خاص. الاسماء في ص 29-50.

خلاصة القول

ان اصل المشكلة فكري، ثقافي، يتعلق بالوعي يتطلب متابعة وخطوات اجرائية بها نرتقي بالوعي الجاد الى مستويات تليق بالوطن وقيمة المواطنة وبالانسان وقيمته الانسانية ولاسيما الاجيال الصاعدة نحو مراقي الادارة والقيادة والعمل والانتاج ان كانت في حياتها الاسرية المنشودة ام في مناخاتها الثقافية والاعلامية والنفسية. انها تشمل جميع المواطنين وان دارت حركتها حول الشباب من الذكور والاناث وتلك مهمة تبدو فيها مسؤولية الدولة والحكومة والسلطات الرسمية اكبر من مسؤوليات جميع الافراد (من مرجعيات مختلفة، ومنظمات غير حكومية) ثم تأتي مسؤولية الاحزاب والحركات والقوى الوطنية على تنوع اطيافها الى جانب المنظمات الشعبية والمهنية الى جانب مسؤولية الافراد.

تلك قضية توجب (حملة وطنية) لاعمار الشباب واعمار العقول والنفوس والافئدة قبل الهياكل المادية للمجتمع لانها موجهة لعموم الشباب اولا وللفتيات ثانيا وللانسان العراقي ثالثا تفرض على الجميع عملا مشتركا وتناغما في الخطط والبرامج (العمرانية) لاتقاطعا او قطعية او انكفاء الى الوراء. فليس هناك اخطر على الوطن والمواطنين من الازدواجية في المواقف او الالغاء او النفي بسبب كوننا نختلف في وجهات نظرنا حول مشكلاتنا الحيوية وعن ادوار الاسرة والمدرسة ووسائل الاعلام المختلفة والفعاليات الشعبية والمرجعيات الثقافية والفكرية والعقيدية.

المطلوب في اللغة العراقية الجديدة خطاب عقلاني/نقدي يمكن دمجه مع خطابنا الشبابي لكي نتمكن من النجاح في حملة الاعمار هذه وصولا الى (العقلنة والعلمنة والعقيدة المتسامحة) مثلما هو ايقاع هذا المثلث (العلم، والفكر، والايمان) في مسيرة النهوض المنشود لاعمار الشباب ولاسيما المرأة ومن اجلها وفي سبيل اعمار المجتمع. فأنت لاتستطيع ان تنهض بمجتمع لم ينغرس في وعي بناته! فكرة النهوض المخلص والتقدم الجاد وشروط ذلك النهوض والتقدم ومثل هذا البرنامج (المشروع او قل الحملة) لايعطى ثماره اذا لم يستقم على ايدي ابناء العراق من الشباب الواعي والناهض والعارف مادام يعيش في زمن شعاره (المعرفة قوة).

فهل ستجد هذه الدعوة اذنا صاغية لكي نحول دون ضياع الشباب في (المزاد المعولم) ام نخسر الفتيات في اسواق النخاسة والجنس وعصر المتاجرة بالغرائز كما يتمناه اللقطاء في جميع انحاء العالم وهم يبشرون بحقبة الشيطان؟ لاظن ذلك مادمنا ننتمي الى وطن الحضارات ومركز العلوم ومنبع العقائد الموحدة! وعبق الروح التي شاعت وتشيع في الانسانية محبة لاحدود لها للحق والخير والصدق والجمال.

الباحث

بغداد في نيسان **2004**

الانسان المعاصر

ISBN 9957-02-197-4



Dar Majdalawi Pub. & Dis.
Telefax: 5349497 - 5349499
P.O.Box: 1758 Aljubaiha
11941 Amman - Jordan



دار مجدلاوي للنشر والتوزيع
تليفاكس: ٥٣٤٩٤٩٧ - ٥٣٤٩٤٩٩
ص.ب ١٧٥٨ الجبيهة ١١٩٤١
عمان - الأردن

www.majdalawibooks.com
e-mail: customer@majdalawibooks.com